

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الجهم

المجلد

بمزاو النسخة الأولى

دار النشر: دار الفکر للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



مكتبة الإمام الفاضل أبي حامد

الجزء الثامن عشر

دار الفقه الإسلامي  
بيبي الباني الجليلي وشركاه



منشورات مکتبه آية الله العظمى المرعشي النجفي  
قم - ایران ۱۴۰۴ هـ ق

# بسم الله الرحمن الرحيم

## بيان

يشتمل هذا الجزء على بقية المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله إلى أعدائه وأمرائه  
بلاذه ، ثم على طائفة من مختار حكمه ومواعظه ، وأجوبة مسائله ، والكلام القصير الخارج  
في سائر أغراضه .

ولقد روجع على الجزء الثالث من المجموعة الخامسة من النسخة المصورة عن أصلها  
المحفوظ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ١٢٦ ؟ وهي النسخة التي رمزت لها بالحرف ( ا ) .  
وأصل هذا الجزء مكتوب بخط نسخ حديث واضح ، يبدو أنه كتب في القرن الثاني عشر ؛  
ويكاد يكون خاليا من الشكل والضبط ؟ حتى فيما جاء فيه من أصل كلام الإمام . ويبدأ  
من التشرح ببقية الكلام على فتح مكة ؟ إلا أن بآخره تنصا يبدأ في أثناء الكلام على  
شرح قول أمير المؤمنين : « الإيجاب يمنع من الازدياد » ، إلى آخر الجزء . ويقع في ٥٦  
ورقة ، مسطرتها ٢٩ سطرا ، وفي كل سطر ١٥ كلمة تقريبا ، ولا يوجد فيه ذكر لاسم ناسخه  
ولا تاريخ نسخه .

كما روجع أيضا على الجزء الثاني من المجلد الأخير من مخطوطة دار الكتب برقم ١٨٦٨ -  
أدب ، وهي التي رمزت لها بالحرف ( د ) ، وسبق وصفها في مقدمة الجزء السادس عشر ،  
وعلى النسخة المطبوعة على الحجر في طهران سنة ١٣٧١ هـ ؟ وهي التي رمزت لها بالحرف ( ب ) .  
وأسأل الله أن يوفق ويبين .



مرکز تحقیقات اسلامی علوم اسلامی

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

(٥٨٦ - ٦٥٨)

تحقيق  
محمد باقر اقبال برهان



مرکز تحقیقات اسلامی علوم اسلامی

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل<sup>(١)</sup>

## [ ذكر بقية الخبر عن فتح مكة ]

قال الواقدي : وهرب هبيرة بن أبي وهب وعبد الله بن الزُبَيْرِ جميعا حتى اتبعا  
إلى نَجْرَانِ فلم يأمنَا الخُوفَ حتى دخلا حِمْنَ نَجْرَانِ ؛ فقيل : ما شأنكما ؟ قالا : أما قريش  
فقد قُتِلَتْ ودخل محمد مكة ، ونحن والله نرى أن محمدا سائر إلى حصنكم هذا ، فجعلت  
بلعازث بن كعب يُصلحون مآثر<sup>(٢)</sup> من حصنهم ، وجعلوا ملثمتهم ؛ فأرسل حسان بن ثابت  
إلى ابن الزُبَيْرِ :

لا تَمْنَنَّ رجلاً أحلك بُغْضُهُ نَجْرَانِ في عيشٍ أجَدَ ذَمِيرِ<sup>(٣)</sup>

بليتَ قناتك في الحُرُوبِ فأليتَ جِوَاءَ ذاتِ مَنايِبٍ ووُصُومِ<sup>(٤)</sup>

غضب الإله على الزُبَيْرِ وابنه بمذابٍ سوء في الحيلة مقيم

فلما جاء ابن الزُبَيْرِ شمرُ حسان تهنياً للخروج ، فقال هبيرة بن وهب : أين تريد  
يا ابن عم ؟ قال له : أريد والله محمدا ، قال : أريد أن تتبعه ؟ قال : أي والله ، قال هبيرة :  
بأيت أتى كنتُ رافقتُ غيرك ، والله ما ظننتُ أنك تتبع محمدا أبدا . قال ابن الزُبَيْرِ :  
هو ذلك ، فقل أي شيء أقم مع بني الحارث بن كعب وأترك ابن عمي وخير الناس  
وأبرهم ، وبين قومي وداري ! فأنحدر ابن الزُبَيْرِ حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) د : « لطفك اللهم لإمامه بالخبر » . (٢) ديوانه ٣٦٠ .

(٣) الرصوم : العيوب ؛ جمع وصم ، ورواية البروان : « حانة جِوَاءَ ذاتِ وصوم » .



وهو جالس في أصحابه ، فلما نظر إليه قال : هذا ابنُ الزُّبَيْرِ ومعه وجهٌ فيه نورُ الإسلام ، فلما وقف على رسول الله صلى الله عليه وآله قال : السلامُ عليك يا رسولَ الله ، شهدتُ أن لا إلهَ إلا الله ، وأنتَ عبدهُ ورسوله ، والحمد لله الذي هداني للإسلام ، لقد عادتُك وأجلبتُ عليك ، وركبتُ الفرسَ والبعيرَ ، ومَشَيْتُ على قدمي في عداوتِكَ ، ثم هربتُ منك إلى نَجْرَانَ ، وأما أريدُ ألا أقربَ الإسلامَ أبداً ؟ ثم أرادني اللهُ منه بخير ، فألقاه في قلبي ، وحبَّبه إليَّ ، وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضَّلَالِ واتِّباعِ ما لا ينفعُ ناعقلُ ؛ من حَجَرٍ يُبَدِّدُ ، ويُذَيِّعُ له لا يدري من عبده ومن لا يُعْبده . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، احمَدِ اللهَ ، إنَّ الإسلامَ يَحِبُّ ما كانَ قبْلَه . وأقامَ هُبَيْرَةُ بَنَجْرَانَ ، وأسَلَّتْ أُمُّ هَانِ ، فقال هُبَيْرَةُ حينَ بَلَغَهُ إسلامُها يومَ الفَتْحِ يؤنَّبُها شِعْراً من مَجْلَته <sup>(١)</sup> :

وإن كنتِ قد تابعتِ دينَ محمدٍ  وعظمتِ الأَرْحَامَ منكِ حَبَالُهَا <sup>(٢)</sup>  
فكوفِّي على أعلى سَخُوفٍ بِهَشِيئَةٍ <sup>(٣)</sup> حُلُمِلِمَةٍ <sup>(٤)</sup> غبراءِ يَبْسُ <sup>(٥)</sup> بِلَالُهَا <sup>(٦)</sup>  
فأقامَ بَنَجْرَانَ حتَّى ماتَ مُشْرِكاً .

قال الواقدي : وهرب حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْمُرِّي فدخلَ حَائِطًا <sup>(٧)</sup> بِمَكَّةَ ، وجاء أبو ذَرٍّ لِحَاجَتِهِ ، فدخلَ الحَائِطَ فَرَأَاهُ ، فَهَرَبَ حُوَيْطِبُ ، فقال أبو ذَرٍّ : تَمَالَ فَاثَتْ آمِينَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْتَ آمِنٌ ؟ فَأَذْهَبَ حَيْثُ شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَدْخَلْتُكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ شِئْتَ قَاتِلِي مُتْرَكٌ . قال : وهل من سَبِيلٍ إِلَى مَنْزِلِ أُمِّي فَأَقْتُلَ قَبْلَ أَنْ أُصِلَ إِلَى مَنْزِلِي ،

(١) من قصيدة له في ابن هشام : ٤ : ٤٧ ؛ وأولها :

أَشَاقَتْكَ هِنْدٌ أَمْ أَنَاكَ مُؤَالِهَا      كَذَلِكَ التَّوَيَّ أَسْبَابُهَا وَانْفِتَالُهَا

(٢) ابن هشام : « وعظمت الأَرْحَامَ منكِ حَبَالُهَا » .

(٣) كذا في أ ، وفي ب « سَخُوفٌ » ؛ وفي د : « سَجُوفٌ » . وفي ابن هشام : « سَجِيقٌ » .

(٤) اللغظة : المستدرة ، والغبراء : التي علاها الغبار . واليَبْسُ : المكان اليابس .

(٥) المَلَطُ هنا : البُطْيان .

أو يدخل على منزلي فأقتل ! قال : فانا أبليغ ملك مذكك ، فبلغ معه منزله ، ثم جعل ينادي على يابه : إن حوطينا آمن فلا يهيج . ثم أصرَف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فقال : أو ليس قد آمنّا الناس كلهم إلّا من أمرت بقتله !

قال الواقدي : وهرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن حتى ركب البحر ، قال : وجاءت زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في نسوة منهن هند بنت عتبة - وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتلها - والبنو<sup>(١)</sup> بنت المعدل السكّانية امرأة صفوان بن أمية ، وفاطمة بنت الوليد بن النيرة امرأة الحارث بن هشام ، وهند بنت عتبة بن الحجاج أم عبدالله بن عمرو بن المص ، ورسول الله صلى الله عليه وآله بالأبطح ، فاستنن ، ولما دخلن عليه دخلن وعنده زوجتا وابنته فاطمة ونساء من نساء بني عبد المطلب وسألن أن يبايعهن ، فقال : إني لا أسافح النساء - ويقال : إنه وضع على يده ثوباً فسحن عليه ، ويقال : كل يؤتى بقدر من ما فيه دخل يده فيه ثم يرفعه إليهن ، فيدخلن أيديهن فيه - فكانت أم حكيم امرأة عكرمة : يا رسول الله ، إن عكرمة هرب منك إلى اليمن ، خف أن تقتله ، فأمنته ، فقال : هو آمن . فخرجت أم حكيم في طلبه ، ومعه غلام لها رومي ، فراودها عن نفسها ، فجمعت ثمنه حتى فدمت به على حي ، فاستغاثت بهم عليه ، فأوثقوه رباطاً ، وأدركت عكرمة وقد اتنعى إلى ساحل من سواحل تهامة ، فركب البحر ، فهاج بهم ، فجعل توثق السفينة يقول له : أن أخلص ، قال : أي شيء أقول ؟ قال : قل لا إله إلا الله ، قال عكرمة : ما هربت إلّا من هذا ، فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر ، فجعلت تليح عليه وتقول : يا ابن عم ، جئتك من عند خير الناس ، وأوصل الناس ، وأبر الناس ، لا تهلك نفسك ، فوقف لها حتى أدركته ، فقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنتك ، قال :

(١) ١ ، ب : « اليوم » . د : « اليوم » ، تحريف ، والصواب ما أثبتته ، وانظر اللاموس .

أنتِ فلتِ؟ قالت: نعم أنا كلمته، فأنتك، فرجع معها، فطأنت: ما لفت من غلامك الزوي! وأخبرته حرمه، ففتكه عكرمة، فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: يا أيكم عكرمة بن أبل جمل مؤبى، فلا تَسُوا أباه، فإن سبَّ التيَّ يؤذى الحى. ولا يَسُغُ التيَّ. فلما وصل عكرمة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وثب إليه صلى الله عليه وسلم وليس عليه رداء، فرح به، ثم جلس فوق عكرمة بين يديه ومعه زوجته سقية، فقال: يا محمد، إن هذه أحرستى أنك أمتقى؟ فقال: صدقت، أنت آمين، فقال عكرمة: «لَا تَدْعُو؟» فقال: إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، وأن تنبىء الصلاة، وتؤتى الزكاة... وعدة حصال الإسلام، فقال عكرمة: ما دعوت إلا إلى حق، وإلى حسن جميل، ولقد كنت فينا من قبل أن تدعوا إلى ما دعوت إليه، وأنت أصدقنا حديثاً، وأعظمنا راء. ثم قال: «يا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسألنى اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتك، قال: فإني أسألك أن تعزلى كلَّ عداوة عداوتكها أو مسير أوصمتُ فيه، أو مقام لتبتك فيه، أو كلام قُتته ووجهك، أو أنت عائب عنه. فقال: اللهم اعزله ما نال منى ومن عراضى؛ ووجهى أو أعايب عنه. فقال عكرمة: ربيتُ بذلك يا رسول الله، ثم قال: أما والله لا أدع نقمة كنت أرفعها في صدرى عن سبيل الله إلا أفتت ضمعها في سبيل الإسلام وفي سبيل الله، ولأحتهدن في القتال بين يديك حتى أقتل شهيداً؛ قال: فردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أمراته بذلك التمسك الأول.

قال الواقدي: وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعبة، وحمل يقول للامام

يسار - وليس منه عبرة : وَيَحْثُكُمُ أَنْ تَرَوْا نَارَ اللَّهِ : هذا مُعْبِرٌ بِن وَه : قال صفوان : ما أسمع يُعْمِر ! والله ما جاء إلّا يريد قَتْلَ ، قد ظاهراً محمداً عليّ ، فليحقه ، فقال صفوان : يا مُعْبِر ، مالك ؟ ما كذاك ما سمعت ، حثتني دِينُكَ وعِيَالُكَ ، ثم حثتَ تريد قَتْلَ ! فقال : يا أبا وه ، جُمِلْتُ بِذَلِكَ احْتِثُكَ مِنْ عَدُوِّ النَّاسِ ، وَأَبْرَ النَّاسِ وَأَوْسَلِ النَّاسِ ، وقد كان مُعْبِرٌ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله . يا رسول الله ، سيّد قَوْمِ صَمَوَانَ أُمِّيَّةٌ حَرَجَ هَارِباً لِيَقْدِفَ بِهِ فِي الْبَحْرِ ؛ حَلَفَ أَلَّا تَزُمَّهُ ، فَمَنْتُهُ فَبَذَلَ أَبِ وَأُمِّي : قد أَمْسَتْهُ ، نَفَرَ فِي لَيْلِهِ ، فقال : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمْسَكَ صَمَوَانَ : لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَأْتِنِي بِمَلَأَةٍ أَعْرِفُهَا ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَأُخْبِرَهُ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَتَمْتُ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُقْتَلَ بِسَبَبِهِ قَالَ : لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِسَلَامَةٍ أَعْرِفُهَا ، فَضَلَّ : حَدَّ هَمَامِي ، فَرَجَعَ عَمِيرٌ إِلَيْهِ بِسَلَامَةٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ - وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مَسْكَةً مَسْجُوراً ، بِرَدِّهِ أَحْمَرٌ - فَرَجَعَ عَمِيرٌ فِي ظِلِّهِ أَمْسَتْ<sup>(١)</sup> حَتَّى جَاءَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ : يَا أبا وَه ، احْتِثُكَ مِنْ عَدُوِّ النَّاسِ وَأَوْسَلِ النَّاسِ وَأَبْرَ النَّاسِ وَأَحْلَمِ النَّاسِ ، عَمِدَةُ مُحَمَّدٍ ، وَهَرَمَةُ بَرَكٍ ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ، إِنْ أُنِيكَ وَأَمْسَتْ ، أَدْكُرُكَ اللَّهُ فِي سَكِّ ، فقال : أَحِبُّ أَنْ أَقْتَلَ ؛ قَالَ : فَإِنَّكَ دَعَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ رَضَيْتَ وَإِلَّا سِرْتُكَ شَهْرَيْنِ فَهُوَ أَوْسَى النَّاسِ وَأَبْرَهُمْ ، وَقَدْ نَسَتْ إِلَيْكَ بَرْدَهُ الَّذِي دَخَلَ بِهِ مَسْجُوراً ، أَنْفَرَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأُخْرِجَهُ ، فقال : نَعَمْ هُوَ هُوَ ، فَرَجَعَ صَمَوَانٌ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَوَحَّدَهُ يَصَلِّيَ الْمَعْرُوفَ النَّاسِ ، قَالَ : كَيْمُ يَصَلُّونَ ؟ قَالُوا : حَسْبُ صَلَوَاتِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ : أَعْمَدُ يَصَلِّيَ بِهِمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَمَا سَمِعْنَا مِنْ صَلَاةِ صَمَوَانَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ عَمِيرٌ

ابن وهب جاءني بِرُؤدك ، ودرّكُم أنك دعوتني إلى القدوم إليك ، فإن رضيت أمراً ، وإلا  
سيرتني شهرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنزل أبا وهب ، فقال : لا والله  
أو تبين لي ؟ قال : بل سِرُّ أُرْسلة أئمة . فقول صفوان وخرج معه إلى حُتَيْن وهو كافر ،  
وأرسل إليه يستمير أذرعه . وكانت مائة درع . فقال : أطوعاً أم كرها ؟ فقال عليه  
السلام : بل طوعاً طرية مؤدّاة ، فأمره إليها ، ثم أهداها إليه بعد اختفاء حُتَيْن والطائف ،  
فلما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في حِجْرانة يسير في عاتم هوازن ينظر إليها ، فنظر  
صفوان إلى شيب هناك مموء كتما وشاء ورعاء ، فادّام النظر إليه ورسول الله صلى الله عليه  
وسلم يرمقه ، فقال : أبا وهب : بصحك هذا شيب أقال . سم ، قال : هو لك وما فيه .  
فقال صفوان : ما طابت عس أحدي بمن هذا إلا عس مني ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : فأما عبد الله بن سنان بن أبي مراح فكان قد أسلم ، وكل يكف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحي ، فرمى أُمّلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله « صميح »  
عليه « فيكتب » عربز حكيم » وبمحو ذلك ، وبقرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله  
فيقول : كذلك الله ، وبقرأ ، فاهتز ؛ وقال : والله ما يذري ما يقول : ! إني لأكتب له  
ما شئت فلا يسكر ، وإني لبوحي إلى كما بوحي إلى محمد ، وخرج هارباً من المدينة إلى  
مسكة مرنداً ، فأهدر رسول الله دمّه ، وأمر بقتله يوم الفتح ، فلما كان يومئذ جاء إلى  
عُثان . وكان أحد من الرّساعة . فقال : يا أخي ، إني قد أحرّكت فاحترسني ها هنا  
وأذهب إلى محمد فسكره في ، فإن محمد إن رأى صرَب عُنق ، إن خزي أعظم الخزم ،  
وقد جئتُ ثانياً ؛ فقال عُثان : قم فذهب معي إليه ، قال : كلاً ، والله إني إن رأيته  
ضربَ عُنق ولم ينالني ، قد أهدرتني وأهدرتني يطلعون في كل موضع ، فقال عُثان :  
اطلعي معي فإنّه لا يقتلك إن شاء الله . فلم يُرغ رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بعثان

آخِذًا بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ وَاقْبِرْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ عُمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ ، إِنْ أَمَسَهُ كَانَتْ تَحْيِيْلِي وَتَحْيَاهُ وَتَرْصِيْعِي وَتَعْطِيْهِ وَتَنْطَلِقُنِي وَتَتْرَكُهُ ، فَهَبْهُ لِي . فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ عَنْهُ ، وَحَمَلَ عُمَانُ كُلَّمَا أَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُ اسْتَقْبَلَهُ بِوَجْهِهِ ، وَأَعَادَ عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامَ ، وَبِمَا أَعْرَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ إِرَادَةً لَّأَنَ يَقُومَ وَجُلٌّ فَيَضْرِبُ عَقْبَهُ ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ أَحَدٌ وَعُمَانُ قَدْ أَكْبَبَ عَلَيْهِ بِقَبْلِ رَأْسِهِ وَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَابُنِي فَعِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي عَلَى الْإِسْلَامِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ : بَسْمٌ ، فَبَابِهِ .

قال الواقدي : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك للمسلمين : ما منكم أن يقومَ منكم واحدٌ إلى هذا الكاب فيقتله - أو قال : إلماسق ! فقال عساذ بن بشر : وأندى بعتك الملقى ، إلى أن تسع طرفك من كل ناحية ، رجاء أبي تنشير إلى فأضرب عنه . ويقال : إن أبا التنشير هو أندي قال هذا ! ويقال : بل قاله عمر بن الخطاب ، قال عليه السلام : إنني لا أقتل بالإشارة ؛ وقيل : إنه قال : إن النبي لا يكون له حائفة الأعين .

قال الواقدي : فحمل سعدُ الله بنُ سعدَ يمر من رسولِ الله صلى الله عليه وآله كلما رآه ، فقال له عثمان : بأبي أنت وأُمي ! لو ترى ابنَ أمِّ عبدٍ يمر منك كلها رآك ! فقتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : أو لم أباينه وأؤتمه ؟ قال : بلى ، ولكنه يتذكر عظم جُرمه في الإسلام ، فقال : إن الإسلام يحب ما قلته .

قال الواقدي : وأما الحويرث بنُ مسد - وهو من ولد قصي بن كلاب - فإنه كان يؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وآله بمكة ، فأهدر دمه ، فبينما هو في منزله يوم الفتح وقد أعلق عليه بابه ، جاء على عليه السلام يسأل عنه ، فقيل له : هو في البادية ، وأخبر الحويرث أنه حاد يطله وتتجى على عليه السلام عن بابه ، فخرج الحويرث يريد أن

يهرب من بيت إلى بيت آخر ، فتلغاه على عليه السلام فصرَب عنه .

قال الواقدي : وأما هَزار بن الأسود ، صدك رسول الله صلى الله عليه وآله أمران يُحرقه بالنار ، ثم قال : إنما يمدب بهار رب النار ، اظلموا بدينه ورجليه إن قدرتم عليه ، ثم اقتلوه ، وكان حُرْمه أن نخس ذيبَ ست رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجرت ، وصرَب ظهرها بالرمح وهي حُتلى ، فاستقطت ، فلم يقدِر السهون عليه يوم الفتح ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة طَمَع هَزار بن الأسود قائلا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فسل النبي صلى الله عليه وآله إسلامه ، فخرحت سُنَمَى مولاة النبي صلى الله عليه وآله صالت : لا أتم الله بك عبداً ! أنت الذي فعلت وفعلت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهَزار يمتد إليه : إن الإسلام بما ذلك ، ونهَى عن الترض له .

قال الواقدي : قال أس عَاس رضى الله عنه : أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهَزار يمتد إليه وهو يُطالَى رأسه استحب ، مما يمتد هَزار ويقول له : قد صوّتُ هنك !

قال الواقدي : وأما أس حَظَل فإنه خرج حتى دخل بين أسفار السكبة ، فأخرجه أبو بَرزة الأسلمي مها ، فصرَب عنه بين الرُّكُن والغمام - ويقال : بل قتله عمار بن ياسر ، وقيل : سعد بن خُريث المرومي ، وقيل : شريك بن عبد المَجْلاني ؟ والأئمة أنه أبو بَرزة . قال : وكان حُرْمه أنه أَسَم وهاجر إلى المدينة وبمته رسول الله صلى الله عليه وآله ساعياً<sup>(١)</sup> ، وبعث معه رجلاً من حُرعة فقتله ، وساق ما أخذ من مال الصدقة ، ورحم إلى مكة ، فقالت له عريش : ما معك ؟ قال : لم أجد ديناً حياً من دينكم ، وكانت له قيسان : إحداهما مري ، والأخرى فريسة - أو أرب ، وكان ابن حَظَل يقول

(١) ساعياً : أي حانيا للركاة .

الشَّعْرَ يَهْجُو بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَنْتَهِانَ بِهِ ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بَيْتَهُ  
فَيُشْرِكُونَ عِندَهُ الْخَمْرَ ، وَيَسْمَعُونَ النِّسَاءَ يَهْجَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَأَمَّا مِقْبِسُ بْنُ صُبَّانٍ فَإِنَّ أُمَّهُ سَهْمِيَّةً ، وَكَانَ يَوْمَ النَّتِجِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ  
بِئْسَ تَهْنِئَةً ، فَاصْطَلَحَ الْخَمْرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي بَدَايِئِهِ لَهُ ، وَحَرَحَ تَحِيلاً يَتَعَنَّى وَيُشْتَمَلُ نَائِيَاتٍ  
مِنْهَا :

دَعَيْتُ أَسْطِخْ يَا بَكْرُ إِلَى رَأَيْتُ الْوَتَّ نَقَبَ عَنِ هِشَامِ  
وَنَقَبَ عَنِ أَسْكَ ابْنِ بَرِيدٍ أَيْحَى الْغَيْثَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ  
يَخْبَرُنَا ابْنُ كَثْنَةَ أَنْ سَخِيئًا وَكَيْفَ حَيَاةُ أُمِّدَادٍ وَهَامِرٍ أ  
إِذَا مَا الرَّاسُ رَالَ بِمَسْكِيهِ فَهَذَا شَيْعُ الْأَيْسُ مِنَ الطَّامِرِ  
أَسْتَنْبِي إِذَا مَا كَتُّ بَيْئًا وَنُحْيِي إِذَا زَمَّ يَطَايِ أ  
فَدَيْتُهُ نَحِيلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَيْتِ وَهُوَ مِنْ رَهْطِهِ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَكَانَتْ  
أَحَنُّ تَرْثِيهِ :

لَمَعَرَى لَقَدْ أَخْزَى نَحِيلَةً رَهْطُهُ وَفَتَحَ اصْنَانُ النِّسَاءِ بِمِقْبِسِ  
هَلَّةً عَيْمًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقْبِسٍ إِذَا النِّسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ نَحْرَسْ (١)

وَكَانَ جُرْهُمُ مِقْبِسُ بْنُ قَيْسٍ أَنْ أَحْلَاهُ هَاشِمُ بْنُ صُبَّانٍ أَسْمَ وَشَهِدَ الرَّيْثِيُّ مَعَ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَفَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِ عُيَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - وَقِيلَ : مِنْ بَنِي عَمْرِو  
ابْنِ عَوْفٍ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ - هَلَّةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَخَصَّى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
بِالَّذِي عَلَى النَّاعِلَةِ ، فَقَدِمَ مِقْبِسُ أَخُوهُ الْمَدِينَةَ فَأَخَذَ دِيْنَتَهُ ، وَأَسْلَمَ ، ثُمَّ مَدَّ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ ،  
فَقَتَلَهُ ، وَهَرَبَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ بِالشَّعْرِ ، فَأُخْذَ دَمُهُ .

(١) بِقَالَ : حَرَسَتْ الْمَرْأَةُ تَحْرِيسًا ؟ إِذْ أَسْعَمَتْ وَوَلَدَهَا ؟ وَابْتِغَى فِي النَّسْلِ ( حَرَسَ ) .



قال الواقدي : فأما سارة مولاة بني هاشم - وكانت منفية نولحة بمكة ، وكانت قد قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة تطلب أن يعيها ، وشكت إليه الحاجة وذلك بعد بدر وأحد - فقال لها : أما كان لك في رعايتك ورياحك ما يضيئك ! قالت : يا محمد ، إن قريشا قد قتل من قتل منهم يندر تركوا استماع النبأ ، هوسوها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأقر لها بغيراً طعماً ، فرحمت إلى قريش وهي على دينها ، وكانت يئسها عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وآله ففطنني به ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أن تقتل ، ففطنت ، وأما قتيبة ابن حنظل فقتل يوم الفتح إحداها ، وهي أرس ، أو قريظة ، وأما فريسي مستؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنسها وعاشت حتى ماتت في أيام عثمان .

قال الواقدي : وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بمقتل وحيث يوم الفتح ، فهرب إلى الطائف ، فلم يرل لها مقبلاً حتى هدم مع وعد الطائف على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل عليه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، فقال : أوحشني ؟ قال : نعم ، قال : اجلس وحدثني كيف قتلت حرة ؟ قلت أجزء قال : ثم وعيت عني وجهك ، فكان إذا رآه تذكرني به .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي دؤب ومعمّر عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي عمرو بن قديس بن أبي الحراء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول بعد قرأه من أمر الفتح وهو يريد الخروج من مكة : أما والله إنك غلبت أرض الله ، وأحب بلاد الله إلّ ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت .

\*\*\*

وزاد محمد بن إسحاق في كتاب " المنازي " أن هند بنت عتبة جاءت إلى رسول الله

صلى الله عليه وآله مع ساء فريق متكبرة متنفذة لخدمتها الذي كان في الإسلام ، وامسنت  
بحمزة حين جدته وموت بطه من كده ؛ معى نحاس أن يأخذها رسول الله صلى الله  
عليه وآله بخدمتها ذلك ، فها دنت منه ، وقال حين بابنه على ألا يشركن بالله شيئا فلن :  
نم ؛ قال : ولا يسرفن ، ففالت هند : والله أيا كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة  
والهسيمة فما أعلم أحلال ذلك أم لا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وأياك لحند !  
فالت ، نم ، أنا هند ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وألئ رسول الله ، هفت عن سلف  
عسا الله عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ولا برين ، ففالت هند : وهل رزى  
الحرمة ! فقال : لا ، ولا يقتلن أولادهن ، ففالت هند : قد لمرى ربناهم صفارا وقتلتهم  
كبارا يذر ، فالت وهم أعراف . فصحك عمر بن الخطاب من قولها حتى أسعرت  
نواجذه ، قال : ولا يأتين بهتان [ بغيره <sup>(١)</sup> ] ، ففالت هند : إن إتيان البهتان  
لقدسح ، فقال . ولا يتمينك في مروت ؛ ففالت : يا حليما هذه الجليلة ونحن نريد  
أن نصيبك .

قال محمد بن إسحاق : ومن حين شعر صدر الله من الزمري الذي اعتذر به إلى رسول  
الله صلى الله عليه وآله حين قدم عليه :

سبح الرقاد بلايل وموم	ثليل ممتد الزواق بهيم <sup>(٢)</sup>
مما اتاني أن أحمد لا مبي	فيه ، فبت كآني محوم
ما حير من حلت على أو سارها	عيراة سرح اليدنين سموم <sup>(٣)</sup>

(١) من د .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ٣٩ . اللابل الرساوس لمصطف . والنهيم : التي لا سباء فيه . وفي  
ابن هشام : « والليل ممتد الزواق » .

(٣) البراءة : الزافة إلى تشه الغير ( حار الوحش ) في شدة نشاطه . مروح اليدنين : خفيتهما .  
وسموم : سربة . وفي ابن هشام : « سموم » .

إِنِّي لَمُنذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الدَّيْرِ      أَسَدَيْتَ دَأَانًا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ (١)  
 أَيَّتَ (٢) تَأْمُرُنِي بِأَعْوَى حُطَفَةٍ      تَسْمِيهِ ، وَتَأْمُرُنِي بِهِ مَحْزُومُ  
 وَأَمَدُ أَسَابِيبِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي      أَمْرُ أُنُوقَةٍ وَأَمْرُ مَشْنُومِ  
 فَالْيَوْمَ آمَنَ نَالِي مُحَمَّدٍ      قَلْبِي ، وَحَيْثُ هَدَى مَحْرُومُ  
 مَعَتِ الْعِدَاوَةَ وَانْقَعَصَتْ أَسَابِيبُهَا      وَدَعَتْ أَوَاصِرُ يَسَا وَحُلُومُ (٣)  
 فَاعْفُ فِدَى لَكَ وَاللَّيْ كَلَامُهَا      زَلَى ، فَإِنَّكَ رَاجِعٌ مَرْحُومِ  
 وَعَلَيْكَ مِنْ عَمَلِ أَدْلِيكِ عِلَامَةٌ      نَوْرٌ أَمْرٌ وَحَاتَمٌ غَنُومُ  
 أَعْطَاكَ بَعْدَ عَسْفَرٍ بَرَهَةٍ      شَرَفًا وَبُرْهَانًا لِلَّهِ عَظِيمِ  
 وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَارَ دِيكَ صَادِقُ      مَرَّ شَأْنُكَ فِي الْعَسَادِ جَسِيمِ  
 وَاللَّهِ بِشَهِدَانِ أَحْمَدَ مَطْلَعَتِي      مَقَرَّرٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمِ  
 فَرَحٌ عِلَا نِيَاهُ مِنْ هَاشِمٍ      فَرَحٌ تَحْكَنَ فِي الدُّرَا وَأُرُومِ (٤)

قال الواقدي : وفي يوم انتخبتم رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة الذين دخلها عليهم الطلقاء ، لئلا عليهم بعد أن أصره فقه بهم ، فصاروا أرقاء له . وقد قيل له يوم الفتح : قد أمسكك الله تعالى فخذ ما شئت من أثمار على عصور - يبنون النساء ؛ فقال عليه السلام : يأتي ذلك إطماعهم الضيف ، وإكرامهم البيت ، ووجعهم مناخر الهدى .

\*\*\*

ثم تعود إلى تفسير مايق من أصاط انصعل (٥) ؛ فوله : « فإن كان فيك تجل فاسترفه »

(١) أسديت : صحت . (٢) في د : « أهيام » .

(٣) الحلوم : جمع حلم ؛ وهو الغفل . (٤) ان هشام :

فرح عِلَا نِيَاهُ مِنْ هَاشِمٍ      فرح تَحْكَنَ فِي الدُّرَا وَأُرُومِ

قال ابن هشام : « وبس أهل العلم بالشر يسكرها » .

(٥) انظر ص ٢٥٠ من الجزء السابع عشر من هذا الكتاب

أَيُّ كُنْ خَارِغِيهِ ، وَلَا تُرْهِقَنَّ عَيْنَكَ بِالْحِجْلِ ، فَلَا يَدَّ مِنْ لِقَاءِ نَمِصَا بِمِصَا ، فَأَيُّ حَاجَةٍ بِكَ إِلَى أَنْ تَجْعَلَ ! ثُمَّ قَرَدَ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنْ أُرُرْتُكَ فِي بِلَادِكَ ، أَيُّ إِنْ عَرَوْتُكَ فِي بِلَادِكَ تَخْلِقُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ بِمِثْقَالِ الْإِسْتِقَامِ مِنْكَ ، وَإِنْ رُرْتُنِي - أَيُّ إِنْ عَرَوْتُنِي فِي بِلَادِي وَأَقْبَلْتَ بِمَجْمُوعِكَ إِلَيَّ .

كُنْتُمْ ، كَمَا قَالَ أَخُو بِي <sup>(١)</sup> أَسَدٌ ؛ كُنْتُ أَصْبَحُ قَدِيدًا أَلْهَدَا الْبَيْتَ مِنْ شَيْءٍ بَشَرٍ بِنِ أَبِي حَازِمٍ الْأَسَدِيِّ ؛ وَالْآنَ فَقَدْ تَصَدَّقْتُ شَعْرَهُ عَمِ أَحَدُهُ ، وَلَا وَغْتُ نَعْدُ عَلَى قَائِلِهِ ، وَإِنْ وَقَفْتُ فِيهَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّيْمَانِ عَلَيْهِ الْحَقُّ .

وَرِيحٌ حَاصِبٌ ، تَحْمِلُ الْحَصْبَاءَ ، وَهِيَ مِيعَارُ الْخَصَى ، وَبَدَا كَأَنَّ بَيْنَ أَعْوَارٍ - وَهِيَ مَا سَمِعُ مِنَ الْأَرْضِ وَكَأَنَّ مَعَ ذَلِكَ رِيحٌ صَيِّبٌ - كَأَنَّ أَعْطَمَ مَشْفَقَةٍ ، وَأَشَدَّ صَرْدًا عَلَى مَنْ يُلَاقِيهِ وَخُلُودًا ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى « حَاصِبٍ » ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى « أَعْوَارٍ » ، أَيُّ بَيْنَ بَوَارٍ مِنَ الْأَرْضِ وَتَحَرُّوْهُ ، وَذَلِكَ أَشَدُّ لَأَدَاهَا مَا تَكْسِبُهُ الْحَرَّةُ مِنْ لَعْنِ السَّمُومِ وَوَهْمِهَا . وَالرُّوحَةُ الْأَوَّلُ الْبَاقِي .

وَأَعْصَمَتْهُ أَيُّ حَمَلَتِهِ مَمْصُومًا رَمُوسَ أَهْلِكَ ، وَأَكْثَرُ مَا بَاقِي « أَفْصَمَتْهُ » أَنْ تَحْمِلَهُ « فَاعِلًا » ، وَهِيَ هَا هَا مِنَ الْقُلُوبِ ، أَيُّ أَعْصَمَتْ رَمُوسَ أَهْلِكَ هَ ، كَقَوْلِهِ : « قَدْ قَطَعَ الْجَبَلُ بِالرُّوْدِ » .

وَحَدَّثَهُ قُتَيْبَةُ بْنُ رَيْمَةَ ، وَحَالَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَأَحْوَهُ حَظْلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، فَتَلَمَّحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ يَدْرُ .

وَالْأَعْلَفُ الْفُلُّ : الَّتِي لَا بَصِيرَةَ لَهُ ، كَأَنَّ قَبْلَهُ فِي عِلَافٍ ، قَالَ نَمَالِي : ﴿ وَقَالُوا غُلُّوا غُلُّوا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) وَمَوْ قَوْلُهُ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ نَصْرُهُمْ بِحَاصِبِ بَيْنِ أَعْوَارٍ وَجَلُودٍ

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٨٨ .

والمقارب القتل ، بالكسر : الذى ليس عقله بحمد ؟ والمائة تقول فيها هذا شأنه : مقارب ، متع الراى .

ثم قال : الأولى أن يقال هذه الكلمة لك .  
وشدت الضالة : طَلَتْهَا ، وأشدَّتْ : عَرَّفَتْهَا ، أى طَلَّتْ ما ليس لك .  
والساعة : المال الراى ؟ والكلامُ خارجُ حرج الاستمارة .

فإن قلت : كلُّ هذا الكلام يطابق بمعه بمصا إلّا قوله : « فإأهد قولك من فمك »  
وكيف استبعد عليه السلام ذلك ولا بُدَّ بينهما ، لأنه يطلب الخلافة قولاً وفعلًا ! فأى بُد  
بين قوله وفعله !

قلت : لأنَّ فعله التَّعَى ، والخروج عى الإمام الذى تَنَتَّ إمامه وصَحَّتْ ، وتفرق جماعة  
المُسلِّين ، وشقَّ الصَّفا ، هدامح الأمور التى كاف يظهر عليه وتمتصى السق ؟ من لىس  
الحرير ، والنسوح بالذهب ، وما كان يتعاطاه فى حياة عثمان من السكرات التى لم تَنَتَّ  
نوبته منها ، فهذا فعله .

وأما قوله : فرغمه <sup>(١)</sup> أنه أمير المؤمنين ، وحليعة المسلمين ، وهذا القولُ بعيد من ذلك  
العمل جدا .

و « ما » فى قوله : « وقرب ما أشبهت » مصدرية ، أى وقرب شبهك بأعمام وأحوال .  
وقد ذكرنا من قُتِلَ من بنى أمية فى حر وبرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما تقدّم ، وإليه  
الإشارة بالأعمام والأحوال ، لأن أحوال معاوية من بنى عبد شمس ، كما أن أعمامه من  
بنى عبد شمس .

قوله : « ولم تماشها الهوى » أى لم تصحبها ، يصحبها السرعة والفضى فى الزموس الأعناق

وأما قوله : « ادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ وَحَرَّمَ أَنْفُسَهُمْ » ، فهي الحجة التي يحتاج بها أصحابنا له في أنه لم يُسَلِّمْ قَتْلَ عُمَارَ إِلَى معاوية ، وهي حجة صحيحة ، لأن الإمام يجب أن يُطَاع ، ثم يتحاكم إليه أولياءه ، والدم والمتمسكون ، فإن حَكَمَ بِالْحَقِّ اسْتَدِيعَتْ حُكُومَتُهُ ، وَإِلَّا فَسَنَ وَبَطَلَتْ [إِمَامَتُهُ<sup>(١)</sup>] .

قوله : « فَمَا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا » ، قيل : إنه يريد<sup>(٢)</sup> التعلق بهذه التشبهة ، وهي قَتْلُ عُمَارَ ، وقيل : أراد به ما كل معاوية يكرّر حديثه من أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أن يقرّه على الشام وحده ، ولا يكلمه سِوَهُ ، قال : إن ذلك كَمُخَادَعَةِ الْعَبِيِّ فِي أَوَّلِ فِطَامِهِ عَنِ اللَّبَنِ بِمَا تَصْنَعُهُ النِّسَاءُ لَهُ مِمَّا يَكْرَهُ إِلَيْهِ الْبَدِي وَبُسْلِيهِ عَنْهُ ، وَيُرْعَبُهُ فِي التَّخَوُّضِ بِمِيعَةٍ ، وَكِتَابُ مُعَاوِيَةَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَنْصَحْنِ حَدِيثَ الشَّامِ .

(٢) في د \* ص ٤ .

(١) من د .

(٦٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا :

أَمَّا بَعْدُ ، فَهَذَا أَنَّ لَكَ أَنْ تَتَمَسَّحَ بِشَعْرِ النَّاصِرِ مِنْ عِيَالِ الْأُمُورِ ، فَهَقْدَ سَكَتَ  
مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ يَادْعَاتِكَ الْأَطْيَلِ ، وَفَتْحَاتِكَ عُرُورَ الْعَبْوِ وَالْأَكْلَابِ ؛ مِنْ  
اشْتِخَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ ، وَاسْتِزْكَاءِ لِمَا قَدْ احْتَبَرْتَ ذَوْبَكَ ؛ مِرَارًا مِنَ الْحَقِّ ،  
وَحُجُورًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِهِ ، بِمَا قَدْ وَغَاهُ سَمُّكَ ، وَمُلِيَ بِهِ صَدْرُكَ ؛  
فَمَاذَا لَقَدْ انْهَقَ إِلَّا انْصِلَالُ ، وَآمَدَ الْبَيَانُ إِلَّا الْهَيْسُ !

فَاخْتَرِ الشَّهْمَةَ وَاسْتَحْمِلْهَا عَلَى لُحْمَتِهَا ، فَإِنَّ الْعِتْمَةَ طَالَمَا أَعْدَدْتَ خَلَاسَهَا ،  
وَأَعْتَمْتَ الْأَنْصَارَ طُلُعَتُهَا . وَهَذَا أَتَانِي كِتَابُكَ مِنْكَ دُوْعَايَيْنِ مِنْ أَعْوَالِ صَمْعَتِ قَوْلَاهَا  
عَنْ السُّلَمِ ، وَأَسَاطِيرِ لَمْ يَحْكِيهَا عَنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ ، أَسْنَحَتْ مِنْهَا كَانَحَائِضِ  
بِاللَّهَائِسِ ، وَانْحَابَطَ بِالدِّيَاسِ ، وَزَرَقَتْ إِلَى مَرْقَسَةِ رَمِيدِ الْمَرَامِ ، نَارِ حَيْةِ  
الْأَفْطَامِ ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَوْيُ ، وَتُجَدَى بِهَا الْعَيُوبُ ، وَخَاشَ لَهَا أَنْ تَبْقَى لِلْمُسْلِمِينَ  
مِنْ تَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا ، أَوْ أَجْرَى لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا . فَمِنْ الْآنَ  
فَتَدَارُكَ نَفْسَكَ وَتَنْظُرُ لَهَا ، فَإِنَّكَ بِهَا قَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِزَادُ اللَّهِ أَرْضَعْتَ  
عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، وَصِيَتْ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ يَوْمَ مَقْبُولٍ ، وَالسَّلَامُ .

## البُخ :

أَنَّكَ لَكَ وَأَنَّكَ لَكَ عَمِّي ، أَي قَرُبَ وَحَدٍّ ، تقول : آوَّ لَكَ أَنْ تَصَلَ كَذَا يَشِينُ أَهْلًا ،

وقال :

أَلَمْ يَأْتِ أَرْبَى نَجَرَ عَمِّي عَمَّائِي وَأَقْصُرَ عَنِ لَيْلَى ، بَلَى قَدْ أَتَى لَيْلَى  
فَجَمَعَ بَيْنَ اللَّمْتَيْنِ ، و « أَوَّ » مقلوبة عن « آوَّ » ؛ وَمِمَّا يَجْرَى تَجْرَى اللَّثْلُ فَوْنُهُمْ لَنْ  
يُرْوَنَ شَيْئًا شَدِيدًا يُعْصِرُهُ وَلَا يَشْكُ فِيهِ : قَدْ رَأَيْتُهُ لَهَا بَاصِرًا ، قَالُوا : أَي نَطَرًا بِتَحْدِيقِ  
شَدِيدٍ ، وَنَحْرَجُهُ نَحْرَجَ رَحْلَ لَابِي وَتَارِمٍ ، أَي دَوَّلِي وَتَمَرٌ ، فَعَسَى « بِإِصْرٍ »  
ذُو بَعَرٍ ؟ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَاوِيَةَ : قَدْ حَلَّ لَكَ أَنْ تَتَمَتَّعَ عَمَّا تَعْلَمُهُ مِنْ مَعَايَةِ الْأُمُورِ  
وَالْأَحْوَالِ وَتَتَحَقَّقَهُ بِقِيَا مَقْصِدِكَ ، كَمَا تَتَحَقَّقُ ذُو الْقَلَمِ النَّاصِرَ مَا يُعْبِرُهُ بِحَاسَةِ بَعَرِهِ ،  
وَأَرَادَ بَيَانِ الْأُمُورِ هَاهُنَا مَعَايِنَهُ ، وَهِيَ مَا مَعْرِفَةِ حَرُورَةٍ مِنْ أَسْتَحْقَاقٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ  
لِلْخَلَاءِ دُونَهُ ، وَرَأَيْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَسْتَبْهِي إِلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : « فَقَدْ سَلَكَتَ » ، أَي اتَّخَذْتَ طَرِيقَ أَبِي سُفْيَانَ أَيْتًا وَعُتْبَةً حَسَدًا  
وَأَمَّا لَمَّا مِنْ أَهْلِكَ ذَوِي السُّكَّرِ وَالشَّقَاقِ

وَالْأَبَاطِيلُ : جَمْعُ بَاطِلٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، كَمَا هُمْ حَمَمُوا بِطِلِيلًا .

وَالْأَقْصَامُ : إِنْفَاءُ النَّفْسِ فِي الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ دَوْبَةٍ .

وَالْمَيْسُ الْكَذِبُ . وَالْأُرُورُ مَا مَعَهُ انْصَدَرَ وَابْتَدَعَ الْأَمْسُ .

وَاتَّخَذْتُ الْقَصِيدَةَ ، أَي ادَّعَيْتُهَا كَذِبًا .

قَالَ : « مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ » ، أَي أَتَتْ دُونَ الْخَلَاءِ ، وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا وَالْأَنْتَازِ :

الْأَسْتَلَابُ .



قال : « لا قد اخترت دونك » ، يعنى المستمى بإمرة المؤمنين .  
ثم قال : « فراراً من الحق » ، أى فعلت ذلك كله هرباً من التمسك بالحق والدين ،  
وجباً للشكفر والشقاق والتعصب .

قال : « وحُجوداً لما هو أكرم » ، يعنى فرض طاعة على ربه عليه السلام ، لأنه قد وعّاها  
ممنه ؛ لا ريب فى ذلك ، إما بالنسبة إلى يوم رسول الله صلى الله عليه وآله كما ندكره  
الشيمية . فقد كان معاوية حاصراً يوم بدر لأتاه حجج معهم حقيقة الدواعى ، وقد كان أبصاراً  
حاصراً يوم تنوّل حين قال له : « أنت منى بخرقة هارون من  
موسى » . وقد أصبح غير ذلك . وإنما بالشيمية كما ندكره نحن فإنه قد انصهر فى حرها ،  
وتوارى عنه وقوعها ، فصار وقوعها عبداً مملوماً بالسرور كملية بأن فى الدنيا بلاداً اسمها  
يصر ، وإن كان ما رآها .

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عنه أسلام أنه يريد الذى الأول ! ونحن نمرّحه  
على وجه لا يلزم منه ما تنوّل الشيمية ، فهو له درس أن الذى صلى الله عليه وآله ما نص  
عليه بإخلافة ندمه ، أليس يعلم معاوية وببره من الصحابة أنه لو قال له فى ألف مقام : « أما  
خربت من حاربت وسيم لمن سألت » ، وبحو ذلك من قوله : « اللهم عاد من عاداه ،  
ووالى من وآلاه » ، وقوله : « حاربك حربى وسيتك سلقى » ، وقوله : « أت مع الحق  
والحق منك » ، وقوله : « هدا منى وأما منى » ، وقوله : « هدا أحمى » ، وقوله : « بح الله  
ورسوله » ، وبحه الله ورسوله » ، وقوله : « اللهم أننى بأحقّ حلقك إليك » ، وقوله : « إنه  
ولّى كل مؤمن [ ومؤمنة <sup>(١)</sup> ] بى » ، وقوله : فى كلام قاله : « حارب أشمل » ، وقوله :  
« لا يحبّه إلا مؤمن » ، ولا ينفسه إلا منافق » ، وقوله : « إن الجنة لتشتاق إلى أرومة » ، وحمله  
أولهم وقوله لعمار : « تفتك العثة الناعية » ، وقوله : « ستقاتل الناركين والفاطيين

والمَارِقِينَ بِمِثْرَى » ، إلى غير ذلك مما يطولُ تَعْدَادُهُ جَدًّا ، ويحتاج إلى كتابٍ مُرَدِّ يُوضِّعُ لَهُ ،  
أذا كان يَسِي لِمَاوِيَةَ أَنْ يَسْكُرَ فِي هَذَا وَيَتَأَمَّشَهُ ، وَيَحْتَشَى اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ أَفَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
إِلَى هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ : « وَحُودُنَا هُوَ الزَّمَنُ لَكَ مِنْ حُلْمِكَ وَذَمِّكَ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ،  
وَمُلَى بِهِ صَدْرُكَ » .

قَوْلُهُ : ( فَمَادَا مَدَّ الْخَلْقَ إِلَّا الضَّلَالُ ) <sup>(١)</sup> كَلِمَةٌ مِنَ الْكَلَامِ الْإِلَهِيِّ الْمُقَدَّسِ .  
قَالَ : « وَبَعْدَ التَّيَانِ إِلَّا اللَّسَ » ، يَقَالُ : لَكُنْتَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ نَبَأٌ ، أَيْ حَاطَتُهُ ،  
وَالصَّارِعُ يَكْنِسُ بِالْكَسْرِ .

قَالَ : « أَحَدَرُ الشَّيْءِ وَأَشْبَاهُهَا » عَلَى الشَّيْءِ بِالضَّمِّ ، يَقَالُ فِي الْأَمْرِ لُتْسَةٌ أَيْ أَشْبَاهُهَا  
وَلَيْسَ بِوَاضِحٍ ؛ وَيَحْوَزُ أَنْ يَكُونَ « أَشْبَاهُ » مُصَدَّرًا مُصَافًا إِلَى مَعَاوِيَةَ ، أَيْ أَحَدَرُ الشَّيْءِ  
وَأَحَدَرُ أَشْبَاهِكَ : يَتَّيْهَا عَلَى التَّسَةِ ، أَيْ أَتَرَاكُهَا وَتَقْمَصُكَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْإِبْهَامِ  
وَالْأَشْقِيَاءِ ، وَيَحْوَزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا مُصَافًا إِلَى ضَمِيرِ الشَّيْءِ هَهُنَا ، أَيْ أَحَدَرُ الشَّيْءِ  
وَأَحْتَوَاهَا عَلَى التَّسَةِ الَّتِي فِيهَا .

وَيَقُولُ : أَعْدَمْتَ الرِّأْيَ قِيَامَهَا ، أَيْ أُرْسِنْتَ عَلَى وَجْهِهَا ، وَأَعْدَبَ اللَّيْلُ ، أَيْ أَرْحَى  
سُدُولَهُ ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ التَّعْطِيَّةُ .

وَالْحُلَايِبُ : جَمْعُ حُبَابٍ ، وَهُوَ الثُّوبُ .  
قَالَ : « وَأَعْشَتِ الْأَنْصَارَ طُمُئِنَّتْ » : أَيْ أَكْسَبَتْهَا انْتَشَى وَهُوَ طَمَءُ الْعَيْنِ . وَرَوَى  
« وَأَعْشَتِ » بِالْعَيْنِ لِلْمُحَمَّةِ « طُمُئِنَّتْ » بِالضَّمِّ ، أَيْ حَمَلَتْ أَمْسَةً طُمُنَتْهَا عِشَاءً لِلْأَبْصَارِ .  
وَالْأَفَايِيزُ : الْأَسَالِيبُ الْمُحْتَمِلَةُ .

قَوْلُهُ : « ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنْ اسْمِ » ، أَيْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَيْ لَا تَصْدُرُ بِرَبِّكَ الْأَفَايِيزُ

الغنيطة عن مسلم ، وكان كتب إليه يعذب مه أب يفرده بالشام ، وأن يؤثيه العهد من  
بديه ، وآلا يكلفه الحضور عنده . وفرا أبو عمرو : ﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ وقال :  
ليس المعنى بهذا الصلح ، بل الإسلام والإيمان لا غير ، ومعنى « صممت قواها » ، أى ليس  
لك تلك الطبقات والدعوى والشبهات التى تصممها كتك من القوة ما يقتضى أن يكون  
للمتمسك به مسلماً ، لأنه كلام لا يقوله إلا من هو ؛ إما كافراً منافقاً أو « س » ، والكافر  
ليس بمسلم ، والعاسق أيضاً ليس بمسلم - عى قولهم بنا - ولا كافر .

ثم قال : « وأساطير لم يحكمها ملك عيتم ولا حليم » ، الأساطير : الأباطيل ، واحدها  
أسطورة بالصم والسطارة بالكسر والألف . وخوك الكلام : صمته ونطته . والحلم :  
الغفل ، يقول له . ما صدر هذا الكلام وأختر ، عاسد عن عالم ولا عاقل .

ومن رواها « الدَّهَّاس » بالكر فهو جمع دَّهَس ، ومن قرأها بالفتح فهو مُرَد ،  
يقول : هذا دَّهَس ودَّهَّاس بالفتح ، متر لث ولث للسكان السهل الذى لا يسع أن يكون  
رملاً ، وليس هو بتراب ولا طين .

والدَّهَّاس بالكسر : السَّرب العظيم تحت الأرض ، وقى حديث السميع : « إنه سبط  
الشعر ، كثير خيالات الوسخة ، كأنه حرج من دَّهَّاس » ، يعنى ونصرته وكثرة ماء وجهه  
كأنه حرج من كين ، لأنه قالى وسيعه : كن رأسه يطر ماء ، وكل له يحتاج سيعن اسمه  
الدَّهَّاس لطعمته ، وأصله من دَّهَس الطلام يدس أى لشدت ، وليل دامس وداموس ، أى  
مُعظم : وحدها فلان بأمر دَّهَس ، أى مُطيلة عطيمة ، يقول له : أمتى كتابك هذا كالتلخيص  
فى تلك الأرض الرخوة ، وتقوم وتقع ولا تتخلص ، وكالتلخيص فى الليل العظيم يمتد  
ويتهن ولا يهتدى الطريق .

وَالرَّقِيقَةُ : الموضع العالي . والأعلام : جمع عَلَم ، وهو ما يُهْتَدَى بِهِ فِي الطَّرِيقَاتِ مِنَ الْمَنَارِ ، يَقُولُ لَهُ : مَحَمْتُ هَمَّتْكَ إِلَى دَعْوَى الْجَلَامَةِ ، وَهِيَ مِنْكَ كَالرَّقِيقَةِ الَّتِي لَا تَرَامُ شَمْعًا عَلَى مَنْ يَطْلُبُهَا ، وَلَيْسَ فِيهَا أَعْلَامٌ تَهْدِي إِلَى سَوَاكِ طَرِيقِهَا ، أَيْ الطَّرِيقُ إِلَيْهَا غَامِصَةٌ ، كَالْجَبَلِ الْأَمْلَسِ أَدَى لَيْسَ فِيهِ دَرَجٌ وَمَرَاقِي يُسَكَّتْ سَهَا إِلَى دِرْوَتِهِ .

وَالْأَنُوفُ عَلَى « قَمُول » مَالْتَحِ كَمَا كُؤُولُ وَشُرُوبُ : طَائِرٌ ، وَهُوَ الرُّحْمَةُ . وَفِي الْمَثَلِ : « أَعَزُّ مِنَ نَيْسِ الْأَنُوفِ » ؛ لِأَنَّهَا تَحْرُرُهُ وَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَطْعُرُ بِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوْكَرَهَا فِي رِدَوسِ الْحِمَالِ وَالْأَمَاكِنِ الصَّعْبَةِ الْبَعِيدَةِ .

وَالْمَتَيَوَى : كَوَكَّ مَعْرُوفٌ فَوْقَ رُحْلٍ فِي الْمَلَوَى ، وَهَذِهِ أَمْثَالُ مَرَبِّهَا فِي مُعَدِّ مَعَاوِيَةَ عَنِ الْخِلَافَةِ .

ثُمَّ قَالَ : « حَاشَ اللَّهُ أَنْ أَدُلِّيكَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ نَمِيدِي » ، أَيْ مَعَادُ اللَّهِ ، وَالْأَصْلُ إِثْنَاتُ الْأَلْفِ فِي « حَاشَ » ، وَهِيَ تَنْجِيحٌ فِيهَا الْمَصْحَفُ .  
وَالْوَرْدُ وَالْمَعْدَرُ : الدَّحُولُ وَالْمَخْرُوجُ ، وَأَصْلُهُ ، فِي الْإِثْلِ وَالْإِلَاءِ . وَيَهْدِيكَ عِبَادَتَهُ ، أَيْ يَنْهَى . وَأُرِيحَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ : أَعْيِنْتُ .

وَهَذَا الْكِتَابُ هُوَ حَوَابِ كِتَابِ وَمَسَلٍ مِنْ مَعَاوِيَةَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخَوَارِجُ ، وَفِيهِ تَوْحِيحٌ بِمَا كَانَ يَقُولُهُ مِنْ قَتْلِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَهَدَنِي بِقِتَالِ طَائِفَةٍ أُخْرَى غَيْرِ أَصْحَابِ الْفِتْلِ وَصِغِيرٍ ، وَنَهَى سِتَامَ الدَّرَقَيْنِ ، فَلَمَّا وَاقَعَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالشَّهْرَوَانِ وَقَتْلَهُمْ كُلَّهُمْ يَوْمَ وَاحِدٍ وَهُوَ عَشْرَةُ آلَافٍ فَارَسَ أَحَبُّ أَنْ يَدْكُرَ مَعَاوِيَةَ بِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ قَتْلِ ، وَبَعْدَهُ بِهِ أَصْحَابُهُ وَخَوَاصُّهُ ، فَحَالَ لَهُ : قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِمَا عَايَنْتَ وَشَاهَدْتَ مَعَاوِيَةَ وَمُشَاهَدَةً ، مِنْ صَدَقِ الْقَوْلِ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُهُ لِقُلَّاسٍ وَيَلْمُوكَ فَتَهْزِي بِهِ .

(٦٦)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى عبدالله بن العباس ، وقد تقدم ذكره  
بخلاف هذه الرواية :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمْسَدَ لَيْفَرَحٍ بِالشَّيْءِ أَدْرَى لَمْ يَسْكُنْ لِيَمُوتَهُ ، وَبِمَحْزَنٍ عَلَى الشَّيْءِ  
الَّذِي لَمْ يَسْكُنْ لِيُصِيبَهُ ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا يَنْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بِلَوْعٍ لَدَيْكَ ،  
أَوْ شِعْمَةٍ غَيْظٍ ، وَلَكِنْ إِطْفَاءُ بِالْجِلْدِ ، وَإِحْتِجَابٌ بِتَوْبَةٍ .  
وَلَيْسَ كُنْ سُرُودُكَ عَمَّا فَتَمْتَ ، وَأَسْعَكَ عَلَى مَا حَلَفْتَ ، وَهَؤُلَاءِ فِيمَا مَقَدَّ الْمَوْتِ .

\*\*\*

البُشْرُخ :

هذا الفصل قد تقدم شرح بطريقه ، وليس في الأصل ولا معانيه ما يقتضي إلى تفسيره ،  
ولكننا سددنا من كلام الحكماء ولصالحين كذا في رأسه .

[ نبذ من كلام الحكماء ]

من كلام بعضهم : ما قُدِّرَ لَكَ أَنْتَ ، وما لم يُقَدَّرْ لَكَ تَعْدَاكَ ، فَمَلَامٌ تَعْرِحُ بِمَا لَمْ  
يَكُنْ بِدَعْمٍ مِنْ وَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَعِلَامٌ تَحْزَنُ عَمَّا يَكُنْ لِيَقْدَمَ عَلَيْكَ !  
ومن كلامهم : الدنيا تنقل إقبالها طاب ، وتدرج إندارها حارب ، وتصل وسال التها لك ،  
وتعارق فراق السنن المارك ، حبرها يسير ، وعيها قصير ، وإقبالها خدعة ، وإندارها

فَجُتْمَةٌ ، وَلَدَّأُهَا غَانِيَةٌ ، وَتَبِعَاتُهَا بَاقِيَةٌ ، فَاعْتَنِمِ عَقْلَ الزَّمَانِ ، وَانْتَهِزْ فُرْسَةَ الْإِمْكَانِ ،  
وَاخْذِ مَنْ تَتَّبِعُكَ لَتَمْسِكَ ، وَتَرَوْدَ مَنْ يَوْمِيكَ لَتَنِدَّكَ فَبَسْ بِقَارِ الْمُدَّةِ ، وَزَوَالِ الْقُدْرَةِ ،  
فَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دُنْيَاهُ مَا يَنْفَعُهُ عَلَى عِمَارَةِ أُخْرَاهُ .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مَنْ سَكَّدَ الدُّنْيَا أَنَّهَا لَا تَبْقَى عَلَى حَالَةٍ ، وَلَا تَخْلُوُ مِنْ اسْتِحْدَادٍ ،  
تُصْلِحُ جَانِبًا بِإِقْسَادِ جَانِبٍ ، وَتُسَرِّ صَاحِبٌ بِمَسَاءَةِ صَاحِبٍ ؛ فَاتَّسُكُونِ فِيهَا حَظَرَ ،  
وَالثَّقَّةَ إِلَيْهَا عَرَرَ ، وَالْاِلْتِجَاءَ إِلَيْهَا عَمَالَ ، وَالْاِعْتِدَادَ عَنْهَا صَلَالَ .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : لَا تَنْتَهِجَنَّ لِمَسَكٍ بِمَا أَدْرَكْتَ مِنْ لَدَاتِهَا الْخُسْبَانِيَّةِ ، وَابْتِهَاجِ لَهَا  
بِمَا تَمَالَهُ مِنْ لَدَاتِهَا الْعَقْلِيَّةِ . وَمَنْ اِنْتَوَلَ بِالْحَقِّ ، وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ ، فَإِنَّ اللَّذَاتِ الْحُسْنِيَّةَ  
خَيَالٌ يَنْفَدُ ، وَالْمَعَارِفَ الْعَقْلِيَّةَ نَاقِيَةٌ بَقَاءُ الْأَبَدِ

(٦٧)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى فثم بن العباس وهو عامله على مكة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَقِمَّ لِلنَّاسِ الْحَقَّ ، وَدَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَاحْبِسْ لَهُمُ الْمَصْرُوفَ ،  
فَأَقِمْ الْمُسْتَقِيمَ ، وَعَلِّمْ الْجَاهِلَ ، وَدَاكِرِ<sup>(١)</sup> الْعَالِمَ ، وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى نَاسٍ سَبِيلٌ  
إِلَّا لِيَاثِكَ ، وَلَا حَاجَةَ إِلَّا وَحْدَكَ .

وَلَا تَخْجِسْ دَا حَاجَةَ عَنِ لِقَائِكَ بِهِ ، فَلَيْسَ بِكَ دِيدَتْ عَنْ أَبَوَاتِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا  
لَمْ نَعْمَدْ جِئَا بَعْدُ عَلَى قَصَائِهَا

وَالظُّرَّ إِلَى مَا احْتَمَعَ عَذْلًا مِنْ مَالِ اللَّهِ مَصْرُوفُهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ دَوَى الْعِيَالِ  
وَالْمَجَاقَةِ ، مُعِيْبًا بِهِ مَوَاسِجَ الْمَعَارِفِ وَالْحَلَالِ ، وَمَا فَصَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْبِسْهُ إِلَيْنَا  
لِقَسِيمِهِ فَبِمَنْ فَبَلَا .

وَمَنْ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا ، فَبِئْسَ سَخَاةُ يَقُولُ :  
( سَوَاءَ الْمَرْكَفُ فِيهِ وَالنَّادِ )<sup>(٢)</sup> فَلَمَّا كَفُ : لَقِيمُ يَوْمِ ، وَالْبَادِي : الَّذِي يَجْعُ إِلَى  
مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَهَذَا اللَّهُ وَلَيْسَ كُمْ لِمَعَابِرِ : وَالسَّلَامُ .

• • •

## البُزْخ :

قد تقدم ذكر قُومٍ وسه . أمره أن يقيمَ للناسِ حقهم ، وأن يذكرهم بأيام الله ،  
وهي أيام الإنعام ، وأيام الانتقام ، لتحصيل الرعة والراحة .

واجلس لهم العَصْرَيْن : القَدَاةَ وَالْمَشْيَ .

ثم قسم له ثمرة حلوسه لهم ثلاثة أقسام : إما أن يبتغى مُستغنياً من العامة في بعض  
الأحكام ، وإما أن يعلم متعلماً يطلب اليقظة ، وإما أن يُدَاكِرَ<sup>(١)</sup> علما ويُنَاجِشَ وُعاوِصَه ،  
ولم يذكر السباسة والأمور . تسلية لأن عرسه متسق بالحجيج ، وهم أصيافه ، يقيمون  
ليالي سيرة وبقايا ؛ وربما يذكر السباسة وما يتعلّق بها فيما يرجع إلى أهل مكّة ، ومن  
يدخل محب ولايته دائماً ، ثم يهوى عن وسط سقراء والخطاب بينه وبينهم ، بل يسعى  
أن يكون سفيراً لسانه ، وحببه وجهه ، وروى « ولا يكن إلا لسانك سفيراً لك إلى  
الناس » يحمل « لسانك » اسم كل مثل قوله : « فَمَا كَارَ حَوَاتٍ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا<sup>(٢)</sup> ،  
والرواية الأولى هي الشهيرة ، وهو أن يكون « سفيراً » اسم كل ، و « لك » حرّها ،  
ولا يصح ما قاله الروادعي : « بن حرّها » إلى الناس ، لأن « إل » هاهنا متعلّقة بنفس  
« سفير » ، فلا يجوز أن تكون الحر عن « سفير » ، نقول : سمرت إلى بني هلال في الصلح ،  
وإذا تملق حرف الحر ، الكلمة صاد كاشية الواحد .

ثم قال : فإنها إن زيدت أي طردت ودفعت .

كان أبو عتاد ثابتاً في محبي كاتب اللامون إذا سئل الحاجة يشتم السائل ، ويسطو  
عليه ويخججه ، ويُسَكِّتُه ساعةً ثم يأمر به بها فيقوم وقد صارت إليه ، وهو يدبّ ويلعنه  
قال علي بن حنّة المكوّك :

(١) و د يذكر . (٢) سورة النمل ٥٦ .



لَمَنَ اللَّهُ أَبَا عَمَّادَ لَمَنَّا يَتَسَوَّالِ  
يُوسِعُ السَّائِلَ شَيْئاً ثُمَّ يُعْطِيهِ السَّوَّالَا

وكان الناسُ يَقْعُونَ لِأَبِي عَمَّادٍ وَلَمَّا رُكِبَهُ ، فَيَتَقَدَّمُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ يَقْعُتُهُ لِيَتَاوَلَهُ  
إِيَّاهَا ، فَيُرْكَلُهُ بِرُجْلِهِ مَالِكُ كَلْبٍ ، وَيَضْرِبُهُ بِسَوْطِهِ ، وَيَطْبِخُ عَصَاً ، ثُمَّ لَا يَبْرُلُ عَنْ فَرْسِهِ  
حَتَّى يَقْعِيَ حَاجَتَهُ ، وَيَأْتُرُهُ بِقِلْبَتِهِ ، فَيَصْرِفُ الرَّحْلُ بِهَا وَهُوَ دَائِمٌ لَهُ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ؛  
فَقَالَ فِيهِ وَقِيلَ :

أَذَلَّ الْأُمُورَ بِصَيْفِهِ وَمَدِيرٍ مُنْتُ بِدِيرِهِ أَبُو عَمَّادٍ (١)  
مُتَمِّدٌ بِدَوَانِهِ خُلَاسًا (٢) فَضَرَجُ وَعَصَاً بِعَمْدَادٍ  
وَكُنْتَهُ مِنْ دَيْرٍ هَزَلٍ مُعْتَدٍ حَرْبَ يَمُورٍ سَلَّاسِلِ الْأَقْيَادِ (٣)  
عَاشِدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَادَةً نَاشِدٌ مَعَهُ فِي يَدِ الْخَدَّادِ

وَقَالَ فِيهِ بَعْضُ اشْتِرَاءٍ :

قَالَ لِلْخَلِيفَةِ يَابْنَ حَمَّ مَحْمَدٍ قَيْدٌ وَزِيرُكَ إِنَّهُ رَكَّالٌ  
فَلَسَوْطُهُ بَيْنَ الرُّءُوسِ مَسَالِكُ وَلِرُجْلِهِ بَيْنَ الصُّدُورِ عَالٌ

وَالنَّافِرُ : الْخَاجَاتُ ؛ يُقَالُ : سَدَّ اللَّهُ مَدْفَرَهُ ، أَيْ أَعْنَى أَنَّهُ قَرَرَهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَ  
أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْحَصْبِ أَحْرَةً تَسْكُنُ ، وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِالْآيَةِ ،  
وَاصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا فِي امْتِنَاعِ تَبِيعِ دُورِ مَكَّةَ وَإِطْلَاقِهَا ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ

(١) ديوانه ٧٦ ، وروايه : « أمر يدبره أبو عماد » وبسبب هذا :

جَرَفْتُ عَلَى خُلَاسَتِهِ فَكَأَنَّهُمْ حَصَرُوا لِلصَّمَقِ وَيَوْمَ حِلَالِ  
(٢) الديوان : « يسطو على كُتَابِهِ بِدَوَانِهِ » .

(٣) الديوان : « حرد » ودير هزائل : مجتمع الخُجَّاجِينَ كَالِ .

السجدة الحرام هو مكة كلها ، والشامى يرى خلاف ذلك ، ويقول : إنه الكعبة ، ولا يجمع من تباع دور مكة ولا إحداثها ، ويحتج بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وأصحاب أن حيمة يقربون : إنها إضافة اختصاص لا إضافة تمليك ، كما تقول : حل الذابة ، وقرا « سواء » باسم على أن يكون أحد معنوى « حملنا » أى جعلناه مستويا فيه الكعب والباد ، ومن قرا برفع حمل الجملة هي<sup>(٢)</sup> المفعول الثانى .

(١) الجمع . (٢) في دو على .

(٦٨)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته :

أَمَّا بَعْدُ ، فَمِمَّا مَثَلُ النَّبِيِّ ﷺ (١) الْحَقِيَّةُ ، لَيْسَ مَسْأَلًا ، فَلَا تَلْزَمُ مَسْأَلًا ، فَأَعْرِضْ  
عَمَّا يُنْجِئُكَ إِلَيْهَا ، لِيَدْفَعُ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا ، لِمَا أَقْبَسَتْ بِكَ  
مِنْ إِهْرَاقِهَا ، وَتَصَرَّفْ حَالَهَا بِهَا ، وَكُنْ نَسًا تَكُونُ بِهَا أَخَذًا مَا تَكُونُ مِنْهَا ،  
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُنَّا أَطْمَأَنَّ بِهَا إِلَى سُرُورِ انْتِحَاصَتِهِ إِلَى عُذُوبٍ ، أَوْ إِلَى إِيَّاسٍ  
رَأَيْتَهُ نَمَّ إِلَى إِعْكَاشٍ ، وَالسَّلَامُ .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

[ سلمان الفارسي وخبر إسلامه ]

سَلَمَانُ ، رَحِلٌ مِنْ فَارِسٍ مِنْ رَمَاهُرْمُرٍ ، وَقِيلَ . طَلَعَ مِنْ أَصْبَهَانَ ، مِنْ فَرَوِزٍ يَمَالُ لَهَا  
حَتَّى ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ مَوَالِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَكُتِبَتْهُ أَبُو عَسَدٍ اللَّهُ ،  
وَكَانَ إِذَا قِيلَ : إِبْنُ مَنْ أَسْتُ ؟ يَقُولُ : أَنَا سَلَمَانُ ، إِبْنُ الْإِسْلَامِ ، أَمَا مِنْ بَنِي آدَمَ .  
وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ قَدْ تَدَاوَلَهُ أَرْبَابٌ كَثِيرَةٌ ، دَصْفَةً عَشْرَ دَنَاقَاتٍ ، مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرٍ  
حَتَّى أَقْضَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٢) .

وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْعَزِزِ فِي كِتَابِ "الْاِسْتِغْنَاءِ" أَنَّ سَلَمَانَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ

(١) وَدَدْ كَتْلٍ .

(٢) الْاِسْتِغْنَاءُ ٦٣٤ وَمَا يَسْمَعُ (طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ مَكَّةَ) . وَبَدَعَهَا هَاكِ : وَمِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ .

صلى الله عليه وآله بصَدَقَةٍ ، فقال : هذه صدقةٌ عنيك وعلى أصحابك ، ثم يَقْسَمُهَا ، وقال : إنه لا تَجْعَلُ لنا الصدقة ، قَرَصَها ، ثم حَامَسَ الدَّيْرَ عِنْدَها وقال : هَدِيَّةٌ هذه ، فقال لأصحابه : كلوا . وأَشْتَرَاهُ مِنْ أَرِيَابِهِ ، وهم قَوْمٌ يَهُودٌ بِدَرُؤِهِمْ ، وعلى آلِ يَنْفَرَسٍ لهم من التَّخْيِيلِ كَمَا وكدا ، وَيَتَمَلَّ فِيهَا حَتَّى يُدْرِكَ ، فَمَرَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ التَّخْيِيلَ كُلَّهُ نَيْبُهُ . لَا مَحَلَّةَ وَاحِدَةٍ عَرَسَهَا عَمْرٌ نُوَ الحَطَّابُ ، فَأَطْلَمَ الْحَدِي كُلَّهُ إِلَّا تِلْكَ الْحَلَّةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَا مِنْ عَرَسِهَا » ؟ قِيلَ : عَمْرٌ ؛ فَتَلَمَّهَا وَعَرَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَيْبُهُ فَأَطْلَمَتْ (١) .

قال أبو عمر : وكلُّ سَعْفَانٍ يَبْعُ (٢) أَحْوَصٌ وهو أَمِيرٌ عَلَى الدَّائِي وَبَيْبِهِ وَيَأْكُلُ مِنْهُ : ويقول : لَا أُحِبُّ أَنْ آكُلَ إِلَّا مِنْ تَحْمِلِ يَدِي ، وكان قد تَلَمَّ سَعْفَ الْحَوَصِ مِنَ اللَّيْثِيَّةِ .

وأوَّلُ مُشَاهِدَةِ الْحَدِيقِ ، وهو أَتَبَرِي أَشَارَ عَمْرُهُ ، قال أبو سَعْيَانَ وَأَصْحَابُهُ لَمَّا رَأَوْهُ : هذه مَسْكِيذَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْكِيذُهَا .

قال أبو عمر : وقد رَوَى أَنَّ سَعْفَانَ شَرِبَ نَذْرَ وَأَحْدَا ، وهو عَدُوٌّ يَوْمَنَدٍ ، وَالْأَكْثَرُ أَنَّ أَوَّلَ مُشَاهِدَةِ الْحَدِيقِ ، ولم يَعْنَهُ بعد ذلك مُشَاهِدَةُ .

قال : وكلُّ سَعْفَانٍ حَبِيرٌ ، فَاضِلٌ ، حَبْرٌ ، عَنَّا ، رَاهِدٌ ، مُتَقَشِّمٌ .

قال : ودَكَرَ هُنَامٌ بْنُ حَسَّانٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قال : كلُّ عَطَاةٍ سَعْفَانٍ حَمَّةٌ آلِي ، وكان إِذَا حَرَجَ عَطَاؤُهُ تَصَدَّقَ بِهِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ تَحْمِلِ يَدِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ عَمَاءَةٌ يَمْرُشُ بِمَعْضَاهَا وَيَتَلَبَّسُ بِمَعْضَاهَا .

(١) يَسْمَعُ فِي الْأَسْتِمَاعِ : « مِنْ عَمَّا » .

(٢) يَمُوتُ الْحَوَصُ ، أَيْ يَسْبَحُهُ دَوَى الْبَلَدِ . « وَوُجِدَتْ أَيْ دَر ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ : مَا لِي بِكَ سَمِعَ

وَلَا حَمَّةٌ ؟ أَلَيْسَ : مَا يَمُوتُ مِنَ الْحَوَصِ كَالْوَيْلِ وَمَعْنَاهُ » .

قال : وقد ذكر أبي وهب وابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت ، إنما كان يستبطن بالحجر  
وانشجر ، وأن رجلا قال له : ألا أبيعك يسا تسكن فيه ؟ قال : لا حاجة لي في ذلك ،  
فما زال به الرجل حتى قال له : أما أعرف ، لئيب تدى يوافقتك ، قال : مديته لي ، قال : أبيعني  
لك بيتا إذا أتت فتة فيه أصاب رأسك شقعة ، وإن أتت مددت فيه رجلك أساطينهما  
[ الحيدار <sup>(١)</sup> ] ؟ قال : نعم ، فبقي له .

قال أبو عمر : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله من وجوه أنه قال : « لو كان  
الدين في التربة لنداه سلمان » ، وفي رواية أخرى « لئاله رجل من فارس » .

قال . وقد روي عن عائشة قالت : كان سلمان يحس من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه  
وآله بمرده ، فكليل حتى كاد يعلينا على رسول الله صلى الله عليه وآله

قال : وقد روى من حديث أبي بريدة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله  
قال : « أمرني ربي بحمة أوصية ، وأجرتني أنه يحتمهم علي ، وأبو ذر ،  
والفداد ، وسلمان » .

قال : وروى قتادة عن أبي هريرة ، قال : « سلمان صاحب الكتائب » يعني  
الإنجيل والقرآن .

وقد روى الأعمش ، عن حمز بن صرة ، عن أبي النخري ، عن علي عليه السلام أنه  
سئل عن سلمان فقال : عليم العلم الأول ، واسلم الآخِر ، ذلك بمر لا يُعرف ، وهو  
منا أهل البيت .

قال : وفي رواية دأدل ، عن علي عليه السلام : سلمان الفارسي  
كفنان الحكيم .

قال : وقال فيه كتب الأحبار : سلمان حسي عينا وحكمة .

قال: وفي الحديث الآخر: «أن أبا سفيان مرّ على سفيان وصهيب وبلال في مصر من المسلمين فقالوا: ما أحدث السيوف من عُقْ عَدُوَّ الله ما حَذَّها - وأبو سفيان يَسْمَعُ قولهم فقال لهم أبو بكر: اتقوا هذا الشَّيْخَ قَرِيبُ وسَيْدُها» وأبى السَّيِّ على الله عليه وآله وأحمره فقال: يا أبا بكر، لَدَيْكَ أَعَصْتَهُمْ! لَنْ كُنْتُ أَعَصْتُهُمْ بَعْدَ أَعَصَتْ الله، فَنَامَ أَبُو بَكْرٍ، فقال أبو بكر: يا بَحْرَنَه، لَعَنَى أَعَصْتُكُمْ! قالوا: لا ما أنا بَكْرٌ، بَعِيرُ الله لَكَ.

قال: وآخَى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيته وبين أبي الدرداء لما آخَى بين المسلمين.

قال: ولِلْعَمَلِ فَصَائِلُ سَخْفَةٍ، وَاحِدٌ حَسَنٌ، وَتَوْقِيٌّ آجِرٌ حَلِافَةٌ عُنَانٌ سِتَّةٌ حَسَنٌ وَثَلَاثِينَ؛ وَقِيلَ: تَوْقِيٌّ أَوْزُنُ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ. وَقَدْ هَوِيَ تَوْقِيٌّ حَلِافَةُ عَمْرٍ، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ.



وَأَمَّا حَدِيثُ إِسْلَامَ سُلَيْمَانَ فَهُوَ ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنْ الْمُحَدِّثِينَ<sup>(١)</sup> وَرَوَوْهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَسْرِ دِفْعَانِ<sup>(٢)</sup> قَرْيَةٍ حَتَّى مَرَّ بِأَصْحَابٍ، وَبَلَغَ مِنْ حُبِّهِ أَنْ لِي أَنْ حَسَنِي فِي الْبَيْتِ كَمَا تُحَسِّنُ الْحَارِيَّةُ، فَأَحْتَدْتُ فِي الْخَوْصِيَّةِ حَتَّى صِرْتُ قَاطِنٌ<sup>(٣)</sup> بَيْتِ السَّارِ، فَأُرْسِلَنِي أَيْ يَوْمًا إِلَى سَيِّمَةٍ لَهُ، فَهَرْتُ نَكْسَةَ الْمَصْرِيِّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ، فَأَعْتَمَتْنِي صَلَاتُهُمْ، فَفَلْتُ: دَيْنٌ هَذَا، حَرٌّ مِنْ دِينِي، فَسَأَلْتُهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدَّيْنِ؟ قَالُوا: الشَّامُ، فَهَرَيْتُ مِنْ وَادِيٍّ حَتَّى قَسِدْتُ شَدْمَ، فَدَخَلْتُ عَلَى الْأَسْقَفِ<sup>(٤)</sup> فَجَمَعْتُ أَحَدُهُ وَأَتَمَّمْتُ مَعَهُ، حَتَّى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَفَلْتُ: إِنْ مَنَ نَوْمِي فِي؟ قَالَ: هَذَا هَذَا النَّاسُ وَتَرَكُوا دِينَهُمْ إِلَّا رَحِلًا مُتَوَصِّلًا لِحُنَيْنٍ، فَعَمَّ قَصِي نَحْتَهُ لَخْتُ بِدَلِكِ الرَّحْلِ

(١) وقد ذكر حبر إسلامه أيضا ابن هشام؛ وأورده في سيرة: ١، ٢٣٣، ٢٤٢.

(٢) الدِفْعَانُ: شَجْعُ النَّمْلِ فِي مَلَاذِ غَرَسٍ.

(٣) قَصِ السَّارِ: حَادِيهَا.

(٤) الْأَسْقَفُ: مِنْ وَطَائِفِ الصَّرَايَةِ، وَهُوَ فَوْقَ الْمَنَاسِكِ وَدُونَ الْغُرُورِ.

فلم يَدَسْ إِلَّا قليلا حتى حصرته الوداة ، ففت : إِي مَنْ تُورِصِي ؟ فقال : مَا أَعْلَمُ رجلا  
يَقِي عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُتَقِيمةَ إِلَّا رجلا سَبيِسَ ، فَجَعَلْتُ لِمَا حَبَسَ سَبيِسَ . قَالُوا : وَنَتَكُ  
الضَّوْمَةَ اليَوْمَ نَائِيَةً ، وَهِيَ أَسَى نَسَدَ فِيهَا سَلْبَانُ قَدَلِ الْإِسْلَامِ . قَالَ : ثُمَّ احْتَصِرُ صَاحِبَ  
نَسيِنَ ، فَصَنِيْتُ إِلَى رَجُلٍ لَمْعُودِيَّةً مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَثَبَّتَهُ وَأَقْبَتُ عَعْدَهُ ، وَاكْتَسَمْتُ  
مُفْتَرَأَ وَعُصْبَتِهِ ، فَمَا رَزَلَ بِهِ يَوْمَ فُتُّهُ . مَنِ يُورِصِي نِي ؟ هَالِكٌ : قَدَ تَرَكْتُ الْبَاسَ  
دِيَنَهُمْ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَقَدْ أَطْلَقَ رِمْلُ نِي سَمْعُوثَ بَدِينِ إِبْرَاهِيمَ ،  
يَجْرُوحُ أَرْضَ الْعَرَبِ مَهَاجِرًا إِلَى أَرْضِ بَنِي حَرَبٍ ، هَا بَحَلٌ ، هَلَتْ : فَمَا عِلَالَتُهُ ؟ قَالَ  
مَا كُلُّ الْهَدِيَّةِ ، وَلَا مَا كُلُّ الْمَدْفَعَةِ ، بِنِ كَيْفِيَّةِ حَالِهِ الْمَوَدَّةِ .

قَالَ : وَمَرِنِي رَكْبَ مَنْ كَلَّفَ ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا مَلَّوْا نِي وَادِي أَقْرَى طَلْعُوتِي  
وَوَدْعُوتِي مِنْ يَهُودِيٍّ ، فَكُنْتُ أَمْسِي لَهُ فِي رَعَاةٍ وَبَحْثٍ ، فَمِنَا أَلَسَدُهُ إِذْ قَدِمَ ابْنُ عَمِّ  
لَهُ ، « سَاعِي مَعَهُ ، وَجَلِي إِلَى الْبَدِيَّةِ ، فَوَقَّفَهُ مَا هُمْ إِلَّا أَنْ رَأَتْهَا مَرَقَتْهَا ، وَامْتَلَأَتْ  
عَمْدَتُهَا ، وَلَا أَعْلَمُ شَيْءًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَمِنَا ابْنِي رَأْسَ بَحْلَةٍ بِأَقْدَلِ ابْنِ عَمِّ لِسِيْدِي ،  
هَالِكٌ : قَاتَلَ اللَّهُ نِي قَبِيْلَةً ، فَدَاخَعُوا عَلَيَّ رَجُلًا يُكَلِّمُ بَدَمَ عَيْنِهِمْ مِنْ مَسْكَةٍ ، بِرَمْعٍ  
أَنَّهُ نِي ، قَالَ : « أَخَذَنِي الْفَرُّ وَالْإِنْمَاصُ ، وَرَبْتُ عَنِ <sup>(١)</sup> التَّحَلُّةِ ، وَجَعَلْتُ أَسْتَقْصِي فِي  
السَّوَالِ ، ثَمَا كَلَّمَنِي سِيْدِي بِكَلِمَةٍ ، بَلْ قَالَ : « قَوْلِي عَلَى سَابِيكَ ، وَدَعْ مَا لَا يَدْبِيكَ هَذَا  
أَمْسَيْتُ أَحَدْتُ شَيْئًا كُلَّ عَعْدِي مِنْ شَمْرِ ، وَأَنْتَ بِهِ الْبَيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ  
فَعَلْتُ لَهُ : بِمَعْنَى أَمَّا رَجُلٌ صَاحٍ ، وَأَنْ لَكَ أَصْحَابًا عَرَبًا دَوَى حَافَةِ ، وَهَسْبًا شَيْءًا  
عَعْدِي لِمَدْفَعَةٍ ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ عَمْرِكُمْ ، فَذَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ : كَلَّوْا ، وَأَمْسَكَ  
فَلَمْ يَأْكُلْ ؟ فَفَعَلْتُ فِي عَعْدِي هَدِيَّةً وَاحِدَةً ، وَبَصُرْتُ ، فَمَا كُلُّ مَنْ يَمْدُ أَحَدْتُ  
مَا كَانَ يَقِي عَعْدِي وَأَنْتَ بِهِ ، فَفَعَلْتُ لَهُ : بِنِ أَمَّا كُلُّ الْمَدْفَعَةِ ، وَهَدِيَّةً هَدِيَّةً ،

فقال : كلوا وأكل معهم ، فقلتُ به لمو ، « كُفيت عليه أقبيله وأبيك ؟ فقل : مالك ؟ فصصت عليه القمّة ؟ ففجحه ، ثم قال : « سَمَنان ، كاتِبُ صاحبك ، فكانتَه على ثلثائة محلة وأربعين أولية ، فقل رسول الله صلى الله عليه وآله للأَنصار : « أَعِينُوا أَحَكَم » ، فَأَعَانُونِي بِالْخُلْ حَتَّى جَمَعْتُ ثَلَاثَ مِائَةِ وَدِيَّة ، فَوَصَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِبَيْتِهِ ، فَصَحَّتْ كُلُّهَا ، وَأَمَّا مَالٌ مِنْ نَعَمِ أَعَارَى ، فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، وَقَالَ : أَذْكَاتُكَ ، فَأَدَيْتُ وَعَتَّتُ .

وكان سلمان من شيعة علي عليه السلام وحاشته ، وترغم الإمامية أنه أحدُ الأَرضة الذين خلّفوا رهوسهم وأنوه متقلّدى سيورهم في حبر يطول ؛ وليس هذا موضع ذكره ، وأما ما لا يخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة ، وإنا بما يخالفونهم في أمر أريد من ذلك ؛ وما يذكره المحدثون من قوله للسلف يوم السقيفة : كريد وكريد محمولٌ عند أصحابنا على أن المراد صبرٌ شتاً وما صبرتم ، أى استعظمتُم حُدُمةً ونعم ما فعلتم ، إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت ، ولو كان الحديث منهم كان أولى ، والإمامية تقول : معناه . « أسلمتم وما أسلمتم » ، واللامعة المذكورة في الفارسية لا تُعطى هذا المعنى ، وإنا تبدل على الفعل والفعل لا عبر ، ويدل على صحّة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمري على الدائى ، هو كان ما تمسبه الإمامية إليه حقاً لم يعمل له .

\*\*\*

فأما ألقاط الفحل ومعدريه فطاهرة ، ويمد يُسبب مصبوه قول بعض الحكماء : نَمَزَ عن الشيء إذا مُسِّتَه ، بقلة صحبته لك إذا مُسِّتَه .

وكان يقال : الهالك على اليب رحل : رحل ناس في يربها ، ورحل أيت من ذلها .



وصرَّ بعض الزهاد باب دار وأهلها يسكنون ميت لهم ؟ فقال : وانما تقوم مسافرين !  
يسكنون مسافرا قد بلغ منزله !

وكان يقال : يا ابن آدم ، لا تأسب على مَنفُود لا يرُدُّه عليك الموت ، ولا تفرَّح بمَوْجُود لا يتركه عليك الموت .

لَقِيَ عَالِمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَاهِطاً فَقَالَ : أَهْ يَا رَاهِبَ ، كَيْفَ تَرَى الدُّنْيَا ؟ قَالَ : تُخْلِقُ  
الْأَنْدَادَ ، وَتَحْدُدُ الْأَمَالَ ، وَتُسَاعِدُ الْأُمِّيَّةَ ، وَتَقْرُبُ الْمَيِّتَةَ ؟ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهَا ؟ قَالَ :  
مَنْ طَفَرَ بِهَا نَصَبٌ ، وَمَنْ هَانَتْهُ أَسَفٌ ؟ قَالَ : فَكَيْفَ الْإِنْتَى عَلَيْهَا ؟ قَالَ : سَطَعَ الرِّجَاءُ مِنْهَا ؟  
قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَتَرَّ وَأَوْقَى ؟ قَالَ : اسْمِ الصَّالِحِ ؟ قَالَ : فَأَتَيْهِمْ أَمَرَ وَأَسْكَى ؟ قَالَ :  
الْعَصْرُ وَالْهَوَى ؟ قَالَ : فَكَيْفَ الْمَحْرَجُ ؟ قَالَ : فِي سَبُوكِ النَّهْجِ ، قَالَ : وَمَاذَا أَسْلَكُهُ ؟  
قَالَ : مَا يَحْمِلُ رِجْسَ أَشْهُوَاتِ الْعَالِيَةِ ، وَتَعْمَلُ لِدَارِ السَّاقِيَةِ .

(٦٩)

## الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام كتيبه إلى الحارث الهمداني :

وَعَسَّكَ بِحَسْبِ الْقُرْآنِ وَاتَّصِيحُهُ ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ، وَصَدَّقَ  
عَاسَفَ مِنَ الْحَقِّ ، وَاعْتَمَرَ بِعَا مَعَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا ، فَبَلَّ ثَمَنَهَا بِشَيْءٍ  
نَمَنَّا ، وَآخِرَهَا لِأَحَبِّ بَأْوِلَهَا ، وَكُنْهَا حَرْقُ مَدْرَقٍ .

وَعَظَّمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ ، وَكَثُرَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَمَا لَمَدَ الْمَوْتِ ،  
وَلَا يَمْنُ الْمَوْتِ إِلَّا بِشَرِّهِ وَبُئْسَ .

وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْصَاهُ سَجُّهُ لِقِيهِ ، وَبَشِّرْهُ بِإِمَامَةِ الْمُتَّبِعِينَ ، وَاحْذَرْ  
كُلَّ تَعْمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي الشَّرِّ ، وَبُشِّرْهُ مِنْهُ فِي إِسْلَامِيَّةٍ ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ  
إِذَا سُئِلَ عَنْهُ سَجُّهُ أُنْكِرَهُ وَاعْتَدَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْصَكَ غَرَضًا لِإِسَاءَةِ الْقَوْمِ ،  
وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ ، فَكُنْ بِدَلِّكَ كَدِيمًا ، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ  
كُلَّ مَا حَدَّثَوْكَ بِهِ ، فَكُنْ بِدَلِّكَ حَمَلًا .

وَكَثِّبْ الْعَبِيدَ ، وَاحْزَمْ عِنْدَ الْفَصِيرِ ، وَنَحَازِرْ عِنْدَ الْمُقْدِرِ ، وَاصْفَحْ مَعَ الدُّوَلِ  
نَكُنْ لَكَ أَمَانَةٌ ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ رِغْمَةٍ أَمْسَهَا اللَّهُ عَيْنِكَ ، وَلَا تُصَيِّرْ رِغْمَةً  
مِنْ يَمِينِ اللَّهِ عَيْنَكَ ، وَلْيَبْرَ عَيْنُكَ أَثَرُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمًا مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْلِهِ وَمَالِهِ ، وَأَنَّكَ مَا تَقْدِمُ  
مِنْ حَيْرٍ يَتَّقِي لَكَ دُخْرَهُ ، وَمَا تُوَخَّرُهُ يَكُنْ لِعَجْرِكَ حَقْرُهُ .

وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَبِيلُ رَأْيَهُ ، وَيُنْكِرُ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ .

وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ انْطِطَامَ فَإِنَّهَا رَحِمُ الْمُسْلِمِينَ ، وَاحْذَرْ مَكَارِلَ الْعَقَلَةِ وَاجْتِهَادَ ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَفِيدُكَ .

وَإِنَّكَ وَمَنْعِدُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا تَحْصِرُ شَيْطَانَ ، وَمَعْرِضُ الْيَمْرِ . وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَصَلَتْ عَيْنُهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ .

وَلَا تُسَاهِرْ فِي نَوْمٍ مُخَمَّةٍ حَتَّى تَشْهَدَ صَلَاةَ إِلَّا هَيْلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُسَدِّدُ بِهِ . وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي تَحْدِيدِ أُمُورِكَ ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَاسْتِغْنَاءَ عَلَى مَا يَسُوهُ . وَخَارِجَ مَعْلِكَ فِي إِسَادَةِ زَارِقِيهَا وَلَا تَقْهَرْهَا ، وَحُدِّ عَمَلُهَا وَتَشْغَلْهَا ، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنْ أَمْرٍ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ مِنْ قَسَائِبِهَا ، وَتَأْمِنُهَا بِعَدْلِهَا .

وَإِنَّكَ أَنْ يَزِلَّ بِكَ الْخَوْفُ وَأَنْتَ آتِيٌّ مِنْ دُنَاكَ فِي طَلَبِ اللَّهِ . وَإِنَّكَ وَمُعَاخَاةَ الْمُسَافِرِ ، فَإِنَّ الشَّرَّ يَأْتِي مُلْحَقًا .

وَوَقِّرْ اللَّهَ ، وَأَحْبِبْ أَجْسَادَهُ ، وَاحْذَرِ انْقِصَابَ ، فَإِنَّهُ خُذٌ مِنْ خُيُودِ الْإِسْءِ ، وَالسَّلَامُ .

\*\*\*

البَيْزُج :

[الحارث الأعور ونسبه]

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ؟ وهو الحارث بن عبد الله ابن كعب بن أسد بن نخيلة بن حرث بن سبيع بن صائب بن معاوية الحمدي ، كان أحد

الْفُقهاء ، له قولٌ في التَّحْتِيَا ، وكان صاحبُ عَمِيهِ السَّلام ، وإليه نُسب التَّيْمَةُ الْخَطَّابُ  
الَّذِي خَطَبَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلام :

يَا حُرَّيْ هُمْدَانُ مِنْ عَمَّتْ يَرْبِي      مِنْ مَوْسٍ أَوْ مَسَافِقٍ بَسَلًا  
وَهِيَ أَيْبَاتٌ مَشْهُورَةٌ قَدْ دُكِرَتْهَا فِي تَنْدَمٍ .

\*\*\*

### [ نَزْدٌ مِنَ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ ]

وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا الْفَعْلُ عَلَى وَصَايَا حَلِيلَةِ الْمَرْفَعِ :

مِنْهَا قَوْلُهُ : « وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْغُرَى » ، وَفِي الْحَرْفِ الْمَرْفُوعِ لَا ذِكْرَ التَّعْقِيبِ فَتَالِ  
أَحَدَهُمَا كَمَا أَنَّ اللَّهَ ، حَلَّ مَعْدُودٍ مِنْ أَسْبَابِ الْإِلَهِ لَأَرْضٍ مَرْفُوفٍ بِيَدِ اللَّهِ وَحَرَفٍ مُدْبِكٍ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « اصْصَحَّه » ، فِي غَنَةِ مَصْحُوحَةٍ فِي أَمْرِكَ بِهِ وَبِهَازٍ عَمَّ

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « وَنَحْنُ حَلَالُهُ وَحَرَمُ حَرَمِهِ » ، أَيْ أَحْكَمُ بَيْنِ النَّاسِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ  
عَلَى نَسَبٍ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « وَصَدَّقَ عَ سَفٍّ مِنْ عَقِي » أَيْ صَدَّقَ عَ تَصَعُّثِهِ الْفَرَّاسُ مِنْ أَيْامِ اللَّهِ  
وَمُثْلَاتِهِ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ لَا عَصُومًا وَكَدَّيَوًا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : « وَاعْتَرَّ عَ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى مِنْهَا » ، وَفِي التَّلْثِ : إِذَا شِئْتَ أَرْتَعَطِرْ  
الدُّنْيَا بِمَذَكَّ « تَطَرَّهَا بِمَذَكَّ » ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا عَمَّ إِلَّا مَتْلَبُهُمْ عَمَّ أَسَا      أَشَا قَلِيلًا نَصَدَّعُمْ ثُمَّ رَحَّلُ<sup>(١)</sup>

وَيَسَاسُ قَوْلُهُ : « وَآخَرُهَا لِأَحْوِ نَاوُهَا » ، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُعَارَقٌ « قَوْلُهُ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلام

(١) لِي د « وَتَرَحَّلُوا » وَطَلَعَ عَلَيْهِ يَتَطَلَّعُ أَيْضًا .

في غير هذا الفعل الماضي : « للمقيم عِرة » ، وليت الحَيَّ عِرة ، وليس لآمس عِودة ، ولا لمرء من غير على ثقة ، الأول للأوسط رائد ، والأوسط للأخير قائد ، وكلٌّ بِسُكْلٍ لاحق ، والسُكْلُ للسُكْلُ مُعارق .

ومنها قوله : « وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق » ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْمِلُوا اللَّهَ عُرْصَةً لَا يُهَامِلُهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، وقد معنى عن اعجب الله في الكذب والصدق ، أما في أحدهما فحترمه وأما في الآخر فسكره ، ولستك لا يجوز ذكر اسمه تعالى في لغو القول والجر ، والعت ، ومنها قوله : « وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت » ، جاء في الخبر المرفوع : « أكثرُوا ذكر هادم<sup>(٢)</sup> اللغات » ، وما بعد الموت : بعدُ والقبول في الفروع والآخرة .

ومنها قوله : « ولا تتمن الموت إلا بشرم وثيق » ، هذه كلمة شريفة عظيمة القدر ، أي لا تتمن الموت إلا وأنت من أعمامك الصالحة أنت تؤدبك إلى الحية ، وتُعيدك من النار ، وهذا هو معنى قوله تعالى لليهود : ﴿ بئسَ زعمَهم أنكم أتوايَ اللهَ مِن دُونِ الناسِ مِمَّنْ أُولَئِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَتَّبِعُوهُ أَتباعاً قَدِمْتُمُ أَيُّسَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومنها قوله : « واحد كل عمل يرصد صاحبه نفسه » ، ويكرهه لعامة المسلمين ، واحد كل عمل يُعمل في السر ، ويُستحيا منه في العلانية ، واحد كل عمل إذا نُشِرَ عنه صاحبه أنكره واعتذر به ، وهذه النوصة ثلاث متقاربة في المعنى ، ويشملها معنى قول الشاعر :

لَا تَهَ عَنْ حَقِّ وَثَاقٍ مِثْلُهُ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا ضَلَّتْ عَظِيمُ<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الفرقة . (٢) هادم اللغات ، من المهدم وهو النطم .

(٣) سورة الجمعة ٦ ، ٧ . (٤) لأن الأسود القز من صيدته للبيه ، وأوردتها صاحب

الخرقة في ٣ : ٦٩٨ .

وقال الله تعالى حاكياً عن موسى من أسبانه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ كُمْ إِلَى مَا أَنْهَى كُمْ عَنْهُ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن كلام الخليل العموني : يَبْكُنْ تَحْتُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِكَ كَمَمَلِكَ مِنْ وَرَاءِ التَّجَالِحِ الصَّاقِ . وفي النثر وهو ممدوحٌ إلى عليّ عليه السلام : يَبْكُ وَمَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ .

ومنها قوله : « وَلَا تَجْعَلْ عِرْصَكَ غَرَسًا لِبَالِ الْقَوْمِ » ، قال الشاعر :  
لَا تَسْتَنْزِلْ أَبَدًا مَا لَا تَقُومُ لَهُ      وَلَا تَبِيحْ مِنْ عِرْيَةِ الْأَسَدَا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الزَّيْبَ إِنْ حَرَكْتَهَا سَمَهَا      مِنْ كَوْدِهِ أَوْحَشَ مِنْ لَيْعِهَا الْحَسَدَا  
وقال :

تَمَالَهُ الشَّوْءُ إِلَى أَهْلِهَا      أَسْرَعَ مِنْ مُسْتَعْدِرِ سَائِلِ  
وَمَنْ ذَا النَّاسِ إِلَى دَمِهِ      دَمُوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْطَّلِ

ومنها قوله . « وَلَا تُحَدِّثِ الْمَاسَ مَخْلَعًا صَحْبًا ، حِكْمِي بِذَلِكَ كَرِيمًا » ، فدعى أن يحدث الإنسان بكلَّ مَارَأَى مِنْ أَسْحَابٍ فَصَلًا عَمَّا تَجِيعُ ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ « سَرِيبَةُ الْمُعَصِّبِ تُسَارِعُ إِلَى تَكْذِيبِهِ » ، وإلى أن تقوم الدلالة على صِدْقِهِ قَدْ قَرَّطَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ فِيهِ مَا قَرَّطَ .

ويقال : إِنْ بَعْضُ الْمَلُوكِ قَالَ فِي حَصْرَةِ عَصْدِ الدَّوْلَةِ سَعْدَادُ : عِدْنَا فِي الْكُوفَةِ بَيْنَ وَرَيْنَ كُلِّ نَبِيْقَةٍ مُتَفَالَانِ . « سَتَطْرَفُ إِلَيْكَ ذَلِكَ ، وَكَأَدَ يَكْمُنُهُ الْحَاضِرُونَ ، فَلَمَّا قَامَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَخِيهِ ، فَأَرْسَلَ حَمَامًا كُلَّ عَصِدٍ فِي الْحَالِ إِلَى الْكُوفَةِ بِأَمْرِ وَكَلاَمِهِ بِإِرسَالِ مَاثِرَةِ حَمَامَةٍ ، فِي رَحْلِي كُلِّ وَاحِدَةٍ بَقْتَانِ مِنْ ذَلِكَ شَقٍّ ، فَجَاءَ الشَّقُّ فِي سُكْرَةِ الْغَدْرِ وَنَحَلَ إِلَى عَصْدِ الدَّوْلَةِ ، فَأَسْتَحْسَنَتْهُ وَصَدَّقَتْهُ حَيْثُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقْتَ ،

ولكن لا تحدث فيها يدك بكل ما رأيت من الغرائب ، فليس كل وقت ينهيا لك إرسال الخاتم .

وكان يقال : الناس يكتفون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويصدقون بأحسن ما يحفظون ؛ والأصق نوع تحت حسن الأحسن .

ومنها قوله : « ولا ترد على الناس كل ما حدثوك ، فكل ذلك خطاء » ، من الخطل البادرة بإسكار ما يسمعه ، وقال ابن سيني آخر : « الإشارات » : إياك أن يكون تكذيبك ونزوؤك من العامة ، هو أن تترى مبكر لكل شيء ، فذلك عجز وطنش . وليس الخلق في تكذيبك ما لم يستبين لك بعد حليته دون الخلق في تصديقك عما لم تثم بين يدك بينة . بل عليك الاعتصام بحمل الشوق وإن أروعحت استكثار ما يؤعيه سمعت مما لم يبرهن على استعداده لك ، « الصواب أن سرّح أمثاله ذلك إلى نعمة الإمكان . ما لم يبددك عنها قائم البرهان » .

ومنها قوله : « وأكظم العيظ » قد مدح الله تعالى ذلك فقال : ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْـعَيْظُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ورؤي أن عبداً موسى بن جعفر عليه السلام قدم إليه صحيفة فيها طعام حرّ ، فمحل مصتها على أسه ووجهه ، فقص ، فضله ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْـعَيْظُ ﴾ ؛ قال : قد كطمت ، قال : ﴿ وَالْمَافِرِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ قال : قد عموث ، ذل ﴿ وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال : أت حرّ لوجه الله ، وقد حكتك صميتي العلائية .

ومنها قوله : « وأحلم عند العصب » هذه مسبة الأولى ، وقد تقدّم منا قول كثير في الحلم وفصله ؛ وكذلك القول في قوله عليه السلام : « وتحاور عند القعدة » ، وكان يقال : القعدة تذهب الحمية .

ومنها قوله : « واصنع مع الدولة تكنك لك الدانة » ؛ هذه كانت شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشيمة علي عليه السلام ؛ أمّا شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله فظفر بمشرك مكة وعما عنهم ، كما سبق ، فنزل فيه في عام الفتح ؛ وأمّا علي عليه السلام فظفر بأصحاب الجمل وقد شقوا عصا الإسلام عليه ، وطعنوا فيه وفي خلافته ، فمعا عنهم ، مع علمه بأنهم يُسدون عليه أمره بما امد ، ويصبرون إلى معاوية ، إنا نأمنهم أو يآذونهم ومكتوبتهم ، وهذا اعظم من الصبح عن أهل مكة ، لأن أهل مكة لم يبق لهم ما فُتحت فئة يتحيزون إليها ، ويُفسدون الذين عندها .

ومنها قوله : « وأستمتع كل نعمة أنعم الله عليك » معنى أستمتعها أستدنيها ، لأنه إذا استدناها فند أسلحها ، فإنّ ندّها صلاح لها ، واستدناسها ناشكر .

ومنها قوله : « ولا تنس نعمة من من الله صدك » ، أي وليس إنسانا منها . واخبر إليهم ، وأحمل بعصا نفسك وبالعصا للصدقة والإيتار ، وإنك إن لم تعمل ذلك تكن قد أسمتها .

ومنها قوله : « ولبرّ عليك أثر النعمة » قد أمر بأن يظهر الإنسان على نفسه آثار نعمة الله عليه ، وظل سبحانه : « وأمّا بعمية ربك حدث »<sup>(١)</sup> . وقال الرشيد لعمرو بن النعمان إلى مرسل الأحمسي ، فصيا إليه حفية ومعهما خادم معه ألف دينار ليذقك ذلك إليه ، قد حلا دارة فوحدا كساء حرداء ، وبارية<sup>(٢)</sup> سملاء ، وحصيرا مقطوعا ، وخاء قديسة ، وأباريس من حروف ، ودواة من رجاح ، ودفائر عليها التراب وحيلا مملوءة من شجج اساركب ، فوخم الرشيد ، وسأله مسائق فتنه لم تكن من عرضه ، وإنما قطع بها حنجله ، وقال الرشيد لعمرو : ألا ترى إلى نفس هذا الهين ، قد برّده بأكثر



من حسين ألف دينار وهذه حاله ، لم تظهر عليه آثارُ صمتنا ! والله لا دفعتُ إليه شيئاً ، وخرج ولم يُعطه .

ومنها قوله : « وأعم أن أفصل المؤمنين أنفسهم بقدمة من فيه وأهله وماله » ، أى أنفسهم بما فى البر والحر من ماله ، ومضى بقدمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فأما المنس والأهل ، فإن تقدميهما فى الجهاد ، وقد تكون التقديم فى النفس من إشباع شناعة حسنة أو يحضر عبد السلطان بكلام طيب ، وبناء حسن ، وأن يصلح من التحدثين ، وبحو ذلك . والتقديم فى الأهل أن يجمع بولده وروخته وبكلهما المشاق فى طاعة لله ، وأن يؤدب ولده بأدب ، وأن يهيم عليه الحد ، وبحو ذلك .

ومنها قوله : « وما تقدم من خير [يقولك ربح] لما تؤخره يكن لغيره حرم » ، وقد سبق مثل هذا ، وأن ما يتركه الإنسان لصدقه فقد حرم منه ، وكذلك كان يكسح لغيره ، وذلك من الشقاوة وقلة التوفيق .

ومنها قوله : « وأحذر صحابة من يميز رأيه » الصحابة بمنح الصاد ، معصية صحبت والصحابة بالفتح أيضاً جمع صاحب ، والمراد ههنا الأول ، وقال رأيه : فسد ؛ وهذا الذى قد تكرر ، وقال طرفة :

عن المرء لا تسأل عن فرينه فإنَّ الترين بالقران يقتدى  
ومنها قوله : « واسكن الأمصار العظم » ، قد قيل : لا تسكن إلا فى مصر فيه سوق قائمة ، ومنبر حار ، وطبيب حقيق ، وسلطان عادل ، فأما منازل العلة والجماء ، فيمثل قرقى السواد الصغار ، فإن أهلها لا يؤرهم ، ولا سوء عليهم ، وإنما هم كالقذائب

والأنعام ، كهمهم الخمر والبالحة ، ولا يفتنون شيئاً أصلاً ، وجاهرتهم ثمى القرب ، ونظلم الراس ، وإذا لم يجد الإسلام من يديه على صاعقه الله وعلى تعلم العلم فصرفهما .

ومنها قوله : « وأغصر رأيتك على ما يفتيت » ، كان يقال : من دخل فيها لا تفتيه لأنه ما يفتيه .

ومنها شبهة يثبه عن القمودى الأسواق ؛ قد جاء فى اللؤلؤ : الشوق على السوق . وجاء فى الخبر المرفوع : « الأسواق مواضع يسس وحده » ، وذلك لأنها فلما علم على الأيمان الكادة ، واليوع العاسدة ، وهى أيب تحمق النساء المومسات ، وفخار الرجال ، وفيها أحتاج أرباب الأهواء واسدع ، فلا يحلو أن يتحاذل أئام منهم فى المداهب والتحل فيه حتى إلى الدين .

ومنها قوله : « وأطرد إلى من فستب عليه » ؛ كان يقال : تطرد إلى من ذونك ، ولا تطرد إلى من فوقك . وقد بين عليه السلام السر فيه من . إن ذلك من أبواب الشكر ، وسدق عليه السلام ، لأنك إذا رأيت جاهلاً وأت عالم ، أو غلاً وأت أعم منه ، أو فقيراً وأت أغنى [ منه ] <sup>(١)</sup> ؛ أو متلى نسق وأت مفاق عه ، كل ذلك باعثا وداعياً لك إلى الشكر .

ومنها شبهة عن التعريرم الحمة ، ببى أن يكون هذا المعنى عن الفقر يوم الجمعة قبل الصلاة ، وأما بعد الصلاة ، فلا بأس به ، واستثنى قتال : فلا تملأ من سبيل الله ، أى شاخصاً إلى الجهاد .

قال : « أو فى أمر تندر به » ، أى لضرورة دعيتك إلى ذلك .

(١) بكثرة من .

وقد ورد نهي كثير عن السمر يوم الجمعة قبل أداء الفرض ، على أن من الناس من كره ذلك بعد الصلاة أيضا ، وهو قول شاذ .

ومنها قوله : « وأطلع الله في حُمل أمورك » ، أى في حُملِكها ، ولها كلها ، وليس يعنى في حُملِكها دون ناعيلها . قال : « فإل طاعة لله سنة على عرها » ، وصدق عليه السلام ، لأنها توجب السادة الدائمة ، والخلص من الشقاء الدائم ، ولا أفضل مما يؤدى إلى ذلك .

ومنها قوله : « وحديغ نفسك في السدة » ؛ أمره أن يقتصد بسسه في النوافل ، وأن يُجَادِعَهَا ولا يَفْهَرَهَا فتملّ وتَسَحَّرَ ونزل<sup>(١)</sup> ، بل يأخذ عموها ، ويتوحي أوقات النشاط ، وأشرائح الصد للعبادة .

قال : فأما الرئوس فحُكِّمها عبرة هذا الحكم ، عليك أن تقوم بها ، كرهتها أمس أو لم تكرهها . ثم أمره أن يعم ماصريصة في دمتها ، ولا يؤخرها عنه فتصير قصا .

ومنها قوله : « وإذك أن يبرل بك لوب وأت آبق من رتك في طلب الدنيا » ؛ هذه وصية شريفة جدا ، حمل طلب الدنيا المحرص عن الله عند موته كالتبذ الآبق يقدمه على مولاته أسيرا مكتنفا ما كسر الرأس ، في طوك به حيث !

ومنها قوله : « وإياك ومصاحبة الصاق ، فإن الشر بالشر ملحق » ؛ يقول : إن الطباع يبرع بعضها إلى بعض ، فلا تصحب مناق يترع بك ما ييك من طبع الشر إلى مساعدتهم على الفسوق والمعصية ، وما هو إلا كائنات تقوى بالنار ، فإذا لم تجاورها وتمارحها نركت إلى الايطاء والحمود أقرب .

وروي « مُلْحِقٌ » بكسر الحاء ، وقد جاء ذلك في الخبر النبوي « فإني عذابك بالكفار ملحق » بالكسر .

ومنها قوله : « واجب احتاءه » ، قد جاء في الخبر : « لا يكمل إيمانُ امرئٍ حتى يُحبَّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَيُبْغِضَ مَنْ أَبْغَضَ اللَّهُ » .

ومنها قوله : « واحد المصَّب » ، قد تقدم لنا كلامٌ طويل في المصَّب . وقال إسماعيلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَوْصِي ؛ قَالَ : « لَا تَمُصَّ » ، فقال : رِذْي ؛ فقال : « لَا تَمُصَّ » ، قَالَ : رِذْي ؛ قَالَ : « لَا أَحَدُ لَكَ صَرِيحاً » ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُذًّا عَطِيًّا مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ، لِأَنَّهُ أَصْلُ لَطَمِ الْقَتْلِ وَفَسَادِ كُلِّ أَمْرٍ سَالِحٍ ، وَهُوَ إِحْدَى الثَّوَاتِ الثَّلَاثِ لَمْ يَخْلُقْ أَضَرُّهُمَا عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَهِيَ مَسْعُ الشَّرِّ : التَّمَصُّ وَالشَّهْوَةُ .

(٧٠)

الأُصْلُ :

ومن كتب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو حامله  
على المدينة ، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية :

أَنَا فَعْدُ ، فَقَدْ تَعَيَّنِي أَنْ رَحَلًا مِنْ رَفَثِكَ يَسْلُقُونَ إِلَى مُتَابِعَةٍ ، فَلَا تَأْسَفْ  
عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدِيدِهِمْ ، وَيَدْفَعُ عَنْكَ مِنْ مَدِيدِهِمْ ، عَكَمَى لَهُمْ عِيَا ، وَلَكَ مِنْهُمْ  
شَا بَامَرُ أَرْهَمُ مِنَ اللَّهِ ذِي وَالْحَقِّ ، وَيَضَاعُفُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ دُنْيَا  
مُتَقَابِرُونَ عَلَيْهَا ، وَمِنْهُمْ طَلَبُونَ إِلَيْهَا ، فَدَعَّرَ كَوَلَا أَمْدَلٍ وَرَأَوْهُ ، وَتَسْمُوهُ وَرَعَوْهُ ، وَعَمِمُوا  
أَنْ النَّاسَ عِدَّةٌ فِي الْحَقِّ أَسْوَأُ ، مَهَرُّوا إِلَى الْأَثَرَةِ ، فَمَعْدَا لَهُمْ وَسُحْقًا لِإِسْهِمْ وَالْقَعِ  
لَمْ يَعْرِوْا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَنْتَحِفُوا لِمَدَنٍ ، وَإِنْ نَطَطَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلِّلَ اللَّهُ لَنَا  
مَسْنَةً ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزَنَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَسَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

• • •

البَرْجُ :

قد فُتِمَ سُبُّ سَهْلٍ بْنِ حَنِيفٍ وَأَخِيهِ عُبَيْدٍ فِيهَا مَضَى .

وَيَسْلُقُونَ : يَخْرُجُونَ إِلَى مُتَابِعَةٍ هَارِيَّةٍ فِي خَيْفَةٍ وَاسْتَتَار .

قال : « فَلَا تَأْسَفْ » أَيْ لَا تَحْزَنْ . وَمَنْ : الصَّلَال .

قال : « وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيَا » ، أَيْ يَكْمِئُكَ فِي الْأَنْقَامِ مِنْهُمْ وَشَاءَ النَّاسُ مِنْ عَقَابَتِهِمْ  
أَنَّهُمْ يَسْلُقُونَ إِلَى مُتَابِعَةٍ .

قال : ارض لمن عذب عنك عيبتك ، فذاك دث عندك فيه .

والإيضاح : الإصرع . وصع البعير أى أسرع ، وأوضعه صاحبه ، قال :

رأى برقا فأوضع فوق سكره فلا بك ما أسأل ولا أعا

ومُطعمون : مُسرعون<sup>(١)</sup> أيضا ، والأثر : الاستئثار ، يقول : قد هرقوا أقي لا أقيم

إلا بالسوية ، وأنى لا أمر قوما على قوم ، ولا أعطى على الأخشاب والأشباب كما فعل

عيسى ، فتركوا وهربوا إلى من يستأثر ويؤثر .

قال . « فمدا لهم وسخما » ، دعا عنهم بسوء والهلاك .

وروى آتهم لم « يعرفوا » ناسوا ، من نكر ؟ ثم ذكر أنه دفع من الله أن يدل له

صعب هذا الأمر ، ويسهل له حرقه ؟ والحزن ، ما علط من الأرض ، وميده السهل .

(١) ن : أ : « مطعمون : مسرعون » .

# (٧٨)

## الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى المدر بن الحارود الصديّ وقد كان استعمله على بعض النواحي ، صان الأمانة في بعض ما ولاه من أعماله :

أَمَّا نَعْدُ ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَمْرِكَ عَرَفْتُ مِنْكَ ، وَصَنَّتْ أُنْتُ تَنْبَغُ هَذِهِ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ ، فَإِذَا أَنْتَ بِمَا رُفِيَ إِلَيْنَا مِنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ أَنْفِيَادًا ، وَلَا تُسْقِي لِأَحْرِيكَ عَتَادًا ، نَعْمُ دُنْيَاكَ بِحَرَسِ آخِرَتِكَ ، وَتَصِلُ غَيْرَتُكَ بِقَطِيعَةِ دِيْبِكَ ؛ وَلَوْ كَانَ مَا نَدَى بِكَ حَمًا لَحَمَلْتُ أَهْلِكَ وَشِيعَتُكَ حُسْرًا مِنْكَ . وَمَنْ كَانَ بِسَعْيِكَ فَتَنَسَ بِأَهْلِهِ أَنْ تُدْخِلَهُ نَرًّا ، أَوْ يُعَدِّدَ مَوْتًا ، أَوْ يُدْخِلَ لَهُ قَدْزًا ، أَوْ تُشْرِكَ فِي مَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمِنَ عَلَى حِسَابِهِ ، فَافْضِلْ إِلَيْنَا حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

\*\*\*

قال الرضى رضى الله عنه :

المُتَدْرِ [ بن الحارود ] (١) هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهُ لَكَطَّارٌ فِي مَعْطَمِهِ مُخْتَالٌ فِي مُرَدِّهِ ، تَدَنَّ فِي شِرَاكَتِهِ .

\*\*\*

## البشر :

### [ ذكر للنفر وأبيه الجارود ]

هو المديّر بن الجارود . واسم الجارود بشر بن حنيس بن الملقى ؛ وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن نذلة بن حديعة بن عوف بن أمار بن عمرو بن ودعة بن لكيز بن أعصى بن عبد القيس بن أعصى بن دُعَيْن بن خزيمة بن أسد بن زبيعة بن رار بن معد بن عدنان ، بينهم بيت الشرفى عند القيس ، وإنما سُمّي الجارود لَمَثَلِهِ مَثَلُ الشُّعْرَاءِ فِيهِ فِي آخِرِهِ :

• كاجرة الجارود نكر بن وائل • (١)

ووجد الجارود على النبي صلى الله عليه وآله في سنة سبع ، وقيل : في سنة عشر ودكر أبو عمرو بن عيسى آخر في كتاب الاستيعاب ، (٢) أنه كان نصرانياً فأسلم وحس إسلامه ، وكان قد ودع مع أسير بن معاوية جماعة من عبد القيس ، وقال : شهدت «ن» الله حقاً وسأعنت «ن» ما أتى بالجهاد والنهض فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة «ن» خيمت حيث كنت من الأرض قال : وتداخلت في سه احتلاه كثيراً ، فقبل بشر بن الملقى بن حنيس ؛ وقيل : بشر بن حنيس بن الملقى ، وقيل : بشر بن عمرو بن السلاء ، وقيل : بشر بن عمرو بن الملقى ، وكتبته أبو عتاب ، ويكنى أيضاً أبا المديّر

وسكن الجارود البصرة ، وقُتِلَ مَارِضَ دَرَسَ ؛ وقيل : بل قُتِلَ بها وقد سمع النعمان ابن مقرن . وقيل : إنَّ النعمان بن العاص مَثَلُ الجارود في مَثَلِهِ مَثَلُ سَاحِلِ دَرَسَ ، فقتل

(١) صدره :

• وَدُسَّهْمُ الْحَبِيرِ مِنْ كُلِّ حَابٍ •

(١) الاستيعاب ( نهضة مصر ) ٢٦٢ - ٢٦٤ .



بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ نَقْعَةُ الْحَارُودِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُعْرَفُ نَقْعَةُ الْخَلِيسِ ؛ فَمَا قُتِلَ الْحَارُودُ فِيهِ عَرَفَهُ النَّاسُ نَقْعَةَ الْحَارُودِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَادِيثٌ وَرَوَى عَنْهُ ، وَآلُهُ دَرَجَةٌ بِتِ رُؤْيَمِ الشَّيْبَانِيَةِ .

وَقَالَ أَبُو عَنَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْثَرِ فِي كِتَابِ « التَّحَا » . « إِنَّ يَسُونَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَكْرَمَ الْحَارُودِ وَعَدَا أَمِيرِ حَبَشٍ وَنَدَا بِهِ ، وَقَالَ لِلْأَنْصَارِ : « قَوْمُوا إِلَى إِحْوَاكُم ، وَأُشْهِ النَّاسَ بِكُمْ » ؛ قَالَ : لِأَنَّهُمْ أَحْبَبَتْ تَحَلُّ ، كَمَا أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ أَحْبَبَتْ نَحْلَ ، وَمَسْكُومَ النَّخْرَيْنِ وَالنَّجَامَةَ . قَالَ أَبُو عَنَيْدَةَ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَوْلَا أَنِّي صَحَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَقُوتُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي قَرِيضٍ لَا عَدْلَ ، فَخَلَّافَتُ الْحَارُودَ ابْنَ شَرِيحِ الْمَلِكِ ، وَلَا يُدْعَى فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ :

قَالَ أَبُو عَنَيْدَةَ : وَلَمَّا دَخَلَ الْقَيْسُ مَتَّ حَصَنَ هَبَ بِهَا عَلَى الْعَرَبِ ؛ مِمَّا : أَسْوَدُ الْعَرَبِ نَبَاتًا ، وَأَشْرَقُهُمْ رَهْطًا الْحَارُودُ هُوَ وَوَلَدُهُ .

وَمِمَّا أَشْجَعُ الْعَرَبِ حَكِيمُ بْنُ حَبَلَةَ ، فَطَلَمَتْ رَحْلَهُ يَوْمَ الْجَلِ ، فَاحْدَثَهَا بِيَدِهِ وَرَخَفَ عَلَى قَائِلِهِ بَصَرَانَهُ بِهَا حَتَّى قَتَلَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَا نَفْسُ لَا تُرَايِي      إِنَّ قُطْعَتُ كُرَايِي

\* إِنَّ مَيَّ دِرَايِي \*

فَلَا يُعْرَفُ فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ سَمِعَ صَوْتَهُ .

وَمِمَّا أَعْدَا الْعَرَبِ هَرَمُ بْنُ حَبَّانٍ صَاحِبُ أَوْيُسَ الدَّرَسِيِّ .

وَمِمَّا أَحْوَدُ الْعَرَبِ عَدُوُّ اللَّهِ بْنُ سُوْدَ بْنِ هَمْدَمَ ، عَرَا السُّنْدَ فِي أَرْدَمَةِ آلَافَ ، فَفَتَحَهَا وَأَظْمَرَ الْحَبَشَ كُلَّهَا دَاهَا وَقَامَلَا ، فَهَامَهُ أَنْ رَحَلَاسَ الْحَبَشَ مَرَضَ ، فَاشْتَعَى حَبَشًا ،

فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان ، فأقطعهم حتى فصل ، وتقدم إليهم ألا يؤخذ أحد منهم ناراً لطعام في عسكره مع ناره .

ومنها أخطب العرب مصقلة بن ربيعة ، به يعزب النمل فيقول : أخطب من مصقلة .  
ومنها أهدى العرب في الهاهنية وأصدفهم مناراً وآثراً في الأرض في عدوه ، وهو دُعَيْمِص (١) الرَّمْلُ كان يُعرف بالحوم هدايةً ، وكل أهدى من القطا ، يدفن بين النعام في الرَّمْلِ محمداً ما ثم يعود إليه فيستخرجه .

فلما أهدى بن الحارود فكان شريفاً ، وأمه الحكم بن النذر يسلموه في الشرف ، والنذر غير معدود في الصحابة ، ولا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا وليه في أيامه ، وكان ثابثاً معهما بمكة ، وفي الحكم أنه يقول الرازي :

« حَكَمُ بْنُ النَّدْرِ بْنِ الْحَارُودِ      أُمُّهُ الْحَوَادِ بْنِ الْحَوَادِ الْمُحَمَّدُ »

« سُرِّيَ أَدَى مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ مُحَمَّدٌ »

وكل يقال : أطوع الناس في قومه عدوؤهم بشر من النمل ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فأرندت العرب ، حكى قومه من : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ، « استمسيكوا بذيكم » ومن ذهب له في هذه الفتنة ديناراً أو درهم أو فقرة أو شاه صلى مثله ، فلما حالته من عند القيس أحد .

\*\*\*

قوله عليه السلام : « إن صلاح أهلك عزى منك » ، قد ذكرنا حال الحارود وصحته وصلاحه ، وكثيراً ما يعزب الإنسان بحسب الإساءة فيظن أب الأساء على مباحهم ، فلا يكون والأمر كذلك « يُخْرِجُ الْخَلِيَّ مِنَ بَيْتٍ وَيُخْرِجُ الْخَيْتَ مِنَ الْخَلِيَّ » .

قوله : « هما رُفَيَّ » بالتحديد ، أي فيرفع إلى : وأصله أن يكون الإنسان في موضع عالٍ

(١) ب : دُعَيْمِص ، وانظر السامري

فريق إليمني، « وكان العلوهاها هو علو المرتبة بين الإمام والأئمة، ونحوه قولهم: تامل باعتبار علو رتبة الأمر على الأمور. والألم في «لوائه» متعلقة بمحدوف دل عليه «أضيادا»، ولا يتعلّق بنس «انتباد» لأنّ التعلّق من حروف الجرّ بالمصدر لا يجوز أن يتقدّم على المصدر.

والعتاد: العدة.

قوله: « ونصل عشيرتك »، كلّ فيما رُئيّ به عه أنه يقتطع المال ويبيعه على رغبته وقومه ويخرج بعضه في لداًه وآزاره.

قوله « لَحْمِ أَهْلِكَ »، التّرب تعرب لحم الأهل في الموال قتل.

لقد عظم الممرّ دبر فُتّرَ وَسَمَ يَسْتَمِن بِالْعِظَمِ الممرّ<sup>(١)</sup>

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيَّ مَكَلَّ وَحَمَّ وَحَبَّيْهِ عَلَى الْخُصْفِ الْحَرَرُ

وَصَرَّه الْوَلَدَةُ بِالْمَرَاوِي فَلَا يَمَرُّ لَدَيْهِ وَلَا نَكَمُ

فأما شمع النّمل صرّب النّمل في الأسيانة مشهور، لانتدالها ووطئها الأقدام في التراب.

ثم ذكر أنه من كل نعمته فليس ناهي لكدا ولا كدّا، إلى أن قال: «أو يشرّك في أمانة؟» وقد حمل الله تعالى البلاد والزمّة أمانة في دمة الإمام، فإذا استعمل المَعَال على البلاد والزمّة فقد شرّكهم في تلك الأمانة.

قال: « أو يؤمن على حياية »، أي على استحباب المراح وحمة، وهذه الرواية التي صمّاها، ومن الناس من يزعمونها « على حياية » وهكذا رواها الراوندي، ولم يرد الرواية الصحيحة التي ذكرناها نحن؛ وقال يكون « على » متعلقة بمحدوف، أو « يؤمن » نفسها، وهو بعيد ومتكلف.

(١) لعماس بن مهدي السمي، ديوان الخاسة ٤١٩ - بفتح المروقي.

ثم أمره أن يُقبل إليه ، وهذه كناية عن المزَل .

فأما الكلمات التي ذكرها الرضي عنه عليه السلام في أمر المِدر فهي دابة على أنه  
نسبه إلى أخته والمُحِب ، فقال : « نطّار في عصيّه » ، أي حاييه ، ينظر تارة هكذا وداره هكذا ،  
ينظر لنفسه ، ويستحسن هيئته ونسبه ، وينظر هل عده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه  
بإيرائه ، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدعى نفسه الحس واللاحة .

قال : « مُحْتَالٌ في بُردَيّه » يعني الحيلاء عَجَبٌ ، قال محمد بن واسع لابن له وقد رآه  
يُحْتَال في بردٍ له : أدنُ ، فدا فقال : من أين جاء بك هذه الحيلاء وبك ! أما أمك فأمة  
ابتنتها عاتق درهم ، وأما أبوك فلا أكثر الله في الناس أمثاله

قوله : « تَعَالَى شِرَاكِيه » ، الشُّرَاكُ : سِبْرٌ ردي يكون في العمل على ظهر القدم .  
والتَّعَل بالسكون : مصدر تَعَلَّ أي تَصَنَّى ، والتَّعَلَّ محركا البُعَاقُ عنه ، وإعْاَ بفعله  
المُحِب والثَّانِي في شِرَاكِيّه لينهب عني الشُّسار والتوسح ، تَعَلَّ بهما ويمسحهما  
ليعودا كالخديدين .

(٧٣)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ نَسْتَ بِسَابِقِ أَحَقِّكَ ، وَلَا مَرُؤِيٍّ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَأَعْنَمَ بَانَ  
الدَّخَرِ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دَوَلٍ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ  
أَنَّاكَ عَلَى صَمْعِكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ نَمَّ تَدْفَعُهُ بِقُوَّتِكَ .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

قد تقدم شرح مثل هذا الكلام ، وهذا معنى مطروى ، قد هال الناس فيه ما كثروا ،  
قال الشاعر :

قد بُرِّقَ العاهرُ الصَّيْبُ وما شَدَّ بُكُورُ رَحْلًا وَلَا قَتَمًا<sup>(١)</sup>

ويحرم المرء ذو الخلادة والزَّأْيَ ومن لا يزال مُعْتَرِبًا

ومن حَيَّدَ ما قِيلَ في هذا المعنى قول أبي يعقوب الخريجي<sup>(٢)</sup> :

هل الدهرُ إِلَّا صَرْفُهُ ونَوَائِصُهُ وَسَرَّاهُ عَيْشُ رَائِلٍ وَمَصَائِصُهُ

يقولُ الفسَى ثَمَرُ مَالٍ وَإِنَّمَا لَوَارِثُهُ مَا تَمَرُّ الْمَالِ كَالِصْبَةِ

(١) من أبيات سنها صاحب الأمان ( ١٥ - ٢١ - هـ ) ، روى ابن عبد الأسد مرواية مخالفة .

(٢) الخريجي : تخریب .

يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ فِي حِسَابِهِ	وَيَتْرَكَ تَهْبَاتٍ لِمَنْ لَا يَحَاسِبُهُ
فَسُكْنُهُ وَأَطْمِنَتُهُ وَخَالَتُهُ وَارْتِئَانُهُ	شَجِيحًا وَدَهْرًا تَتَرَبَّعُ نَوَائِبُهُ
أَرَى الْمَالَ وَالْإِنْسَانَ لِلدَّهْرِ نُهَةً	فَلَا الْبُخْلُ مَبْتِغِي وَلَا الْخُودُ غَارِبُهُ
لِكُلِّ امْرِئٍ رِزْقٌ وَلِلرِّزْقِ حَالٌ	وَلَيْسَ يَفُوتُ الرِّقَّةَ مَا خَطَّ كَاتِبُهُ
يَحِبُّ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ	وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ
يُسَاقُ إِلَى دَارِ رِقَّتِهِ وَهُوَ وَارِعٌ	وَيُحْرَمُ هَذَا الرِّزْقَ وَهُوَ يَمَارِعُهُ
وَأَيْتُكَ لَا تَنْدِي: أُرْزَقُكَ فِي الْفَتَى	تَطَارِعُهُ أُمٌّ فِي الْفَتَى لَا تَطَارِعُهُ أُمٌّ
نَاسٍ دُوبِ الْأَقْرَبِينَ فَلَانَهُ	لِكُلِّ حِمٍ رَاكٍ هُوَ رَاكِبُهُ
لَهُ هُمُوتٌ فِي الرِّخَاءِ يَشْوِيهَا	بِهَيْبَةٍ يَوْمَ لَا تَوَارَى كَوَارِبُهُ
تَرَاهُ مُسَدُّوًا مَا أَمِنَتْ وَتَطْلُقُ	يَجْلِبُجُ يَوْمَ الْوَعَى مَنْ يَحَارِبُهُ
لِكُلِّ امْرِئٍ إِخْوَانٌ يُؤَسِّدُ قَلِيمَةً	وَأَعْظَمُهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ رُبَّةِ

(٧٣)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

أَنَا تَعْدُ، مَبْنِي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي حَوَائِكَ ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ ، لَمَْوْهَنْ رَأَيْتُ ،  
وَعُمَلِي : وَرَأَيْتُ ، وَإِنَّكَ إِذَا تَحَاوَلْتُمُ الْأُمُورَ ، وَتَرَأَيْتُمُ السُّطُورَ ، كَأَلَمْ تَسْتَقْبِلِ النَّاسِمَ  
تُكَدِّدُهُ أَهْلَامَهُ ، وَالْمُسَجَّيْرَ الْفَذِيمَ بِنَهْجِهِ بِمَقَامِهِ ؛ لَا يَدْرِي أَلَمْ يَأْتِي أَمْ عَلَيْكَ ،  
وَلَسْتُ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهُ .

وَأَقْبَمُ بِأَنَّهُ لَوْ لَا تَقَسُّ الْإِسْتِغْنَاءُ ، لَوَسَلَتْ مِنِّي إِلَيْكَ مَوَارِعُ شَرِّهِ الْعَطْمِ .  
وَنَفْسُ اللَّحْمِ .

وَأَقْبَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَذَّ نَطْكَ عَنْ أَنْ تَرَأِيحَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ ، وَتَادَنَّ لِمَعَالِ  
لَمَسِيحِكَ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

\*\*\*

البزج :

روى « موارع » جمع مارة ، أى حادثة « لمة » ، وروى « تهلّس اللحم » و « تهلّس »  
بتقديم اللام ، و « تهلّس » يكسر اللام : تدبّه حتى يصير كببد به الهلّاس ، وهو السلّ ؛  
وأما تهلّس فهو بمعنى تهلّص ، أي بولت الحاء هاء ؛ وهو عن ليحيت كذا بلساني بالكسر ،  
أحسه ، أى تأثّر على اللحم حتى تلعسه لحسا ، لأن النوى إنما يلحس إذا ذهب وبقي أثره ،  
وأما « يهلّس » وهى الرواية المشهورة ، فمما يمترق .

وتأذن بفتح الدال، أى تسمع .

قوله عليه السلام « إني لو هُزن رأيت » بالتشديد، أى رأى لاني نفسي، ومستصعب رأيت  
في أن حملتك طيرا، أكتب ونحيي، ونكتب وأجيبك؛ وإع كل يدي أن يكون  
حواب مثلك السكوت لحوايك .

\*\*\*

من قلت : فما معنى قوله : « على التردد ؟ » .

قلت : ليس معناه التوقف، بل معناه التردد والتكرار؛ أى أنا لاني نفسي على أن  
أكرر تارة بعد تارة أحولتك عما تكته .



ثم قال : وإني في ساطرتي ومعارفتي بالأمور التي محاولتها، وأبكت التي سكبتها  
كالنائم يرى أحلاما كاذبة، أو كمن قلم مقام بين يدي سلطان، أو بين قوم علاه لمتندر عن  
أمر، أو ليخطئ بأمر ونفسه، قد يهبط مقدمه ذلك، أى أشبه فهو لا يدرى هل يسطى  
بكلام هو له، أم عليه؛ فيتعجب ويتشدد، ويذكره اليأس والخسر .

قال : وإن كنت لست بذلك الزَّحَر فثبت شبه به؛ أما تشبيهه بالنائم ثم دى الأحلام،  
فمن معاوية نورأى في السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه حليمة يحاط  
بهمزة التؤمين، ويحارب عليها على الخلافة، ويقوم في المسلمين مقام رسول الله صلى الله عليه  
وآله لما طلب ذلك النام مأويلا ولا تعبيرا، وبعد من وسامس الخيال وأصعاث  
الأحلام؛ وكيف وأنى له أن يحطر هسدا يذله، وهو أمد الخلق منه؛ وهذا كما يحطر  
للعناط<sup>(١)</sup> أن يكون مكيكا، ولا سطر إلى سبه في المناقب<sup>(٢)</sup>، بل انظر إلى أن

(١) العناط : مسحرج الغصن، وهو نريت .

(٢) حشية ب : « قوله ولا تطرق الدقب » قال في القاموس : « سقاب، وإسكس : الرحن  
العلامة والنص، ومه : « فرحان في حجاب » يصر حقه يهيء؛ فمن هذا يريد بكاته تشابهة بالنسب .



الإمامية هي ثبوت معتصره ، وأن الطليق المردود من المؤلفة هو بهم المكذب قلبه وإن أفرّ  
 بلسانه ، الباقى الثلاثة عند المسلمين ، الماعد في أحرى الصمت ؛ إذا دخل إلى مجلس فيه  
 أهل السوابق من المباحين ، كيف يحظر يس أحد أمها نصير فيه ويملكها ويسمى الناس  
 وسمها ، ويكون للمؤمنين أميرا ، ويصير هو الحاكم في رقاب أولئك العلماء من أهل الدين  
 والفصل ! وهذا أعجب من العجب ، أن يحدد سبب صلي الله عليه وآله قوماً سيئه ولسانه  
 ثلاثاً وعشرين سنة ، ويلصقهم ويعدمهم عنه ، ويترأى انقرا بئهم ولصمهم ، ولراءة منهم ،  
 فلما تمهدت له الدولة ، وعلى الدين على الله ، وصارت شريعة دينية محكمة ، مدت قسيده  
 دينه الصالحون من أصحابه ، وأوسعوا رقعة منته ، وعظم قدرها في العوس ، فتسلط عليهم  
 أولئك الأعداء الذين حادهم النبي صلى الله عليه وآله فحكوا وحكوا فيها ، وقتلوا الصالحين  
 والأحرار وأهزب سبيهم الذين يطهرون طاعه ، وآت تلك الحركة الأولى وذلك الاحتباد  
 اسابق إلى أن كان ثمره لهم ؟ عليه كل يمت فيرى معاوية الطليق واسه ، ومروان واسه  
 خلفاء في مقامه ، يحكمون على المسلمين ، فوضح أن معاوية بها يراحمه ويكاتبه ؟  
 كصاحب الأحلام .

وأما تشبيهه إياه بانقائم مقامه مد بطله ، فلا الخلل وشمه والمادير التي يذكرها معاوية  
 في كتبه أو من من نسخ المتكبروت ، هو خلل يكتف كعائمه ذلك العام يحط خطا المشواء ،  
 ويكتف ما يعلم هو والعقلاء من الناس أنه سعة وعقل .

فإن قلت : فما معنى قوله عليه السلام : « لولا بعض الاستنقاء » ؟ وهل كانت الخلال  
 تقتضى أن يستقى ؟ وما تلك القوارع التي أشار إليها ؟

== يعني أن معاوية وإن كان في النسب له من الشبهة حسه عنه السلام من حيث القرشية والقرشية ولكه .  
 إذ اعترت إلى أن الإمامية هي مودة مختصرة لا يصح لها من حسمت من فضائل من التوبة ومناقب آماوعها  
 وسوابق تنوها ، وأما الطلقاء وأبناء الطلقاء فليس هم أن يصرحوا بأن يكونوا من أدنى موالى أربابها .

قلت : قد قيل : إن النبي صلى الله عليه وآله فَوَّضَ إليه أمرَ نسائه بمسد موته ، وجعل إليه أن يقطع عصمة أيتهن شاء إذا رأى ذلك ، وله من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك ، فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة أم حبيبة ، ويبيع سكاكها الرّاحل عقوبة لها ولماوية أخوها ، فإنها كانت تُعصر علياً كما يُفصمه أحوها ، ولو فعل ذلك لانتَهَسَ لحه ، وهذا قول الإمامية ، وقد رووا عن رِحاظم أنه عليه السلام تهدّد عائشة بصربٍ من ذلك ، وأما عن فلا يصدق هذا الخبر ، وعسر كلامه على منى آخر ، وهو أنه قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمّوا من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بلس معاوية بعد إسلامه ، ويقول : إنه منافق كافر ، وإنه من أهل النار ، والأخبار في ذلك مشهورة ؛ فهو شاء أن يحمل إلى أهل الشام حطوطهم وشهادتهم بذلك ، ويسمعهم قولهم ملاطعةً ومشافهةً لعمل ، ولكنه رأى المدول عن ذلك ، مصدقةً لأمر يملّه هو عليه السلام ، ولو فعل ذلك لانتَهَسَ لحه ، وإنما أتى عليه .

وقلت لأبي ريد المصري : لم أتق عليه ؟ قدل . والله ما أتقى عليه مراعاة له ، ولا رفقاً به ، ولكنه حلف أن يعمل كعمله ، فيقول لعمر بن العاص وحبيب بن مسلمة ونُسر بن أبي أرطاة وأبي الأعور وأمثالهم : ارووا أئمة عن النبي صلى الله عليه وآله أن علياً عليه السلام منافق من أهل النار ، ثم يُحمل ذلك إلى أهل العراق ؛ فهذا انسب أتقى عليه .

(٧٤)

الأفضل :

ومن حلف له عليه السلام كنه بين ربيعة واليمن - ونقل من خط هشام  
ابن السكيت :

هَذَا مَا احْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَصِيرُهَا وَنَائِيهَا ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَاكِسُهَا ،  
أَتَتْهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ ،  
لَا يَشْتَرُونَ بِهِ نَعْمًا قَلِيلًا ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلًا ، وَأَتَتْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ حَالَفَ  
ذَلِكَ وَتَرَكَهُ ، وَأَتَتْهُمْ أَنْصَارٌ لِمَعْصُومٍ لَيْثَمِ ، دَعَوْهُمْ وَاحِدَةٌ ، لَا يَقْبَضُونَ عَهْدَهُمْ  
لِمَعْنَتِهِ غَائِبٍ ، وَلَا لِيَصْرٍ عَاصِرٍ ، وَلَا لِاسْتِدْلَالٍ قَوْمٍ قَوْمًا ، وَلَا لِامْتِنَةِ قَوْمٍ قَوْمًا ،  
عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَعَارِئُهُمْ ، وَسَفِيهِهِمْ وَعَالِيهِمْ ، وَحَالِيهِمْ وَجَاهِلِيهِمْ .  
ثُمَّ إِنَّ مِنْهُمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَبَيْتَهُ ، إِنْ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا .  
وَكُتِبَ عَلَيْهِ بِنُ أَبِي طَالِبٍ .

\*\*\*

البشرح :

الحِيفُ : المهد ، أى ومن ككتاب حيف ، غنص المصافى . واليمن : كل من ولده  
قحطان ؛ نحو رَحِيْلٍ ، وعكث ، وحُدَام ، وكِنْدَةَ ، والأرد ، وغيرهم .  
وربيعة ، هو ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان ؛ وهم بكر وتليل ، وعبد القيس .  
وهشام ، هو هشام بن محمد بن اساب السكيت ، نَسَابَةُ ابْنِ نَسَابَةٍ ؛ عالم بأيام العرب  
وأخبارها ، وأبوه أعلم منه ، وهو يروى عن أبيه .

والحاضر : ساكنو الحَضَر : والبادي : ساكنو البادية ؛ واللفظ لفظ الفرد والملي الجمع .

قوله : « إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ » حرف الجرّ يمتنع بمحدود ، أي محتمون .  
قوله : « لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا » ، أي لا يَتَمَوَّصُونَ عنه بالثمن ، فسعى التَمَوَّضُ اشتراء ؛ والأصل هو أن يشتري شيء بالثمن لا لثمن بشيء ، لكنه من باب اتساع العرب ، وهو من أَلْفَطَ القرآن العزيز (١) .  
وَأَتَمَّهُمْ يَدٌ واحدة ، أي لا حلف بينهم .

قوله : « لِمَتَبَةِ طَائِفَةٍ » ، أي لا يؤثّر في هذا العهد والحلف ، ولا يقتضيه أن يمتنع أحد منهم على أنفسهم ؛ لأنه استجداء لم يُحْدِثْهُ ، أو طلب منه أمراً لم يَفْعَلْهُ ، ولا لأنّ أحداً منهم عصب من أمر صدر من صاحبه ، ولا لأنّ عزّاً منهم استدقّ دليلاً منهم ، ولا لأنّ إنساناً منهم سبّ أو عداً بعضهم ، فإنّ أمثال هذه الأمور يتمدّد ارتداعها بين الناس ؛ ولو كانت تنقض الحلف لما كان حلف أصلاً .

واعلم أنه قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : « كُلَّ حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَرِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شُدَّ » ؛ ولا حلف في الإسلام ، لكن قيل أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالاتباع من حرّ أو واحد ؛ وقد تحالفت العرب في الإسلام مراراً ، ومن أراد الوقوف على ذلك فليطلبه من كتب التاريخ .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

(٧٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أول ما يبيع له  
بالخلافة - ذكره الواقدي في كتاب الجمل :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :  
أَمَّا نَعْدُ ؛ فَقَدْ عَمِمَتْ إِعْدَارِي فِيكُمْ ، وَإِعْرَاسِي عَنْكُمْ ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ  
وَلَا دَفْعَ لَهُ ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَذِيرَ مَا أَذِيرَ ، وَأَفْسَلُ  
مَا أَفْسَلُ ، فَيَا بَيْعَ مَنْ يَنْفَكُ ، وَأَذِيرُ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَسْعَابِكَ وَالسَّلَامُ .

\*\*\*

البشرح :

كتبه إلى معاوية ومحاكمته لدى أمة حبيبا . قال : « وَقَدْ عَمِمَتْ إِعْدَارِي فِيكُمْ » ،  
أي كوني ذا عذر لو لُئْتُكُمْ أو دَعَمْتُكُمْ - يعني في أيام عثمان .  
ثم قال : « وَإِعْرَاسِي عَنْكُمْ » أي مع كوني ذا عذر لو فُتِيتَ ذلك فلم أقبله ، بل أمرت  
عن إساءة إليّ وضررت عنكم صعبا . حتى كان ما لا بد منه - يعني قتل عثمان  
وما جرى من الرخصة بالمدينة .

ثم قاطعه الكلام مقاطعة وقال له : والحديث طويل ، والكلام كثير ، وقد أذير  
ذلك الزمان ، وأقبل زمان آخر ، فيا بَيْعَ وَتَقْدِيمَ ؛ علم يابيع ولا قدم ، وكيف يابيع

وعينه مائة إلى الملك والرياسة منذ أمره صر على الشام ، وكل عالي الهمة ، نوافاً إلى معالي الأمور ، وكيف يطيع عليّ والمعرض له عى حرّنه عدد الحصا ! ولو لم يكن إلا الوليد بن عقبة لكنى ، وكيف يسمع قوله :

فوالله ما هند بأملك إن مضى أسفارٌ ولم يثار بغيرنا ناثرٌ  
أبقتل عدو القوم سيّد أهيه ولم تفتنوه ، ليت أملك عافرٌ  
ومن صبر أن مت بالشام وادناً فربرا وقد دارت عليه الدوائر ا

ويطيع علياً ، ويبايع له ، ويُقدم عليه ، ويسمّ نفسه إليه ، وهو نازل بالشام في وسط فخطان ودونه منهم حرّة لا ترام ؛ وهم أطوع به من دمه ، والأمر قد أمكنه الشروع فيه ؛ ونالقه لو سمع هذا التحريضُ أحبُّ الناس وأسمعهم ساء وأنقصهم همة لحركة وشجدة من عزمه ؛ فكيف معاوية ، وقد أبغض الوليدُ فضيرة من لا يندم ا

(٧٦)

الأضل :

ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على النصرة :

سَمِعَ النَّاسَ يُوْحِيكَ وَيُعْهِدُكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْبَى فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ  
مِنَ الشَّيْطَانِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَأْتَكَ مِنْ اللَّهِ يُبْعِدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ الْقَبْرِ يُقَرِّبُكَ  
مِنَ النَّارِ .

\*\*\*

الْبُشْرُج :

روى : « وحلمك » . وتُرب من لله ، هو الرب من توبه ، ولا شبهة أن ما قرأ  
من التواب باعد من المقاب ، وبالعكس لتأنيها .

فأما وصيته له أن يَسْعَ أساس بوحه ومحسه وحكمه ، فقد تقدم شرح مثله ، وكذلك  
القول في المعص :

وطَّره من الشيطان . بمنح عطاء وسكون إياه ، أى حَقَّةً وليس  
قال الكيوت :

وَحِلْمُكَ عِرْلًا إِذَا مَا حَمَمْتَ وَطَرْتُكَ النَّارُ وَالْحِطْلُ<sup>(١)</sup>

(٧٧)

## الأبصار

ومن وصية له عليه السلام لعبد الله من الناس أيضا لما بعثه للاحتجاج

على الخوارج :

لَا تَخَارِصَهُمْ مَا قُرْ أَنْ فَلَنْ الْقُرْ أَنْ حَالَ ذُو وَخُومٍ ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ ... وَلَسْكَنُ  
حَاجَتَهُمْ نَاسَةً ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَحْجُوا عَنْهَا مَحْجِيماً .

\*\*\*

## الشيخ

هذا الكلام لا يطير له في شرفه وعلو مناه ، وذلك أن القرآن كثير الاشتباه ،  
فيه مواضع يُظن في الظاهر أنها متناقضة متضدية ، نحو قوله : ﴿ لَا تَذْكُرْهُ الْإِنْسَارُ ﴾ <sup>(١)</sup>  
وقوله : ﴿ إِنْ رَأَيْتَ نَارَ رَبٍّ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ونحو قوله : ﴿ وَحَقَّقْنَا مِنْ يَمِينِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ  
حَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْتَابَهُمْ قَوْمٌ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ فَأَمَّا نُمُودُ فَمَنْ يَنْهَكُمْ ،  
فَلْيَسْتَحْشُوا الْعَمَى عَلَى الْإِهْدَى ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ونحو ذلك ، وهو كثير جداً ؟ وأما السنة فابست  
كذلك ، وذلك لأن الصحابة كانت تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وتستوضح منه  
الأحكام في الوقائع ، وما عساه بشقة عليهم من كلامهم ؟ يراجعون فيه ؟ ولم يكتفوا  
يراجعونه في القرآن إلا فيما قل ! بل كانوا يأخذونه به تلقف ، وأكثرهم لا يفهم معناه ،

(١) سورة الأنعام ١٠٣ . (٢) سورة النبا ٢٤ .

(٣) سورة يس ٩ . (٤) سورة ص ١٧ .



لأنه غير مفهوم ؟ بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه ؟ إنما إحلاله أو إرسال الله أن  
سأله عنه ، أو يحرمه مجرى الأسماء الشريفة التي إنما يراد منها ركنها لا الإسماعية عساها ؟  
فلذلك كثر الاختلاف في القرآن . وأيضاً من ناسحه ومنسوخه أكثر من ماسح السنة  
ومنسوخها ؟ وقد كان في الصحابة من يسأل الرسول عن كلمة في القرآن يصرفها له تفسيراً  
موجزاً ، فلا يحصل له كل الفهم ، لما أرثت آية السكالة<sup>(١)</sup> ، وقال في آخرها : ﴿ يَسْئَلُ اللَّهُ  
نَعْمَ أَنْ تَصِلُوا ﴾<sup>(٢)</sup> ، سأله عمر عن أسكالة ماهو ؟ فقال له : بكفيك آية الصيف ، لم يرد  
على ذلك ، فلم يراحمه عمر وانصرف عنه ، فلم يفهم مراده ، وبقى عمر على ذلك إلى أن مات ،  
وكل يقول بعد ذلك : اللهم مهما تَبَيَّنَ ، من عمر م يَتَبَيَّنَ ، يشير إلى قوله : ﴿ يَسْئَلُ اللَّهُ  
لَكُمْ أَنْ تَصِلُوا ﴾ وكانوا في السنة ومحطبة الرسول على خلاف هذه القاعدة ، فلذلك  
أوصاه على عليه السلام أن يحاجهم بالسنة لا بالقرآن .

فإن قلت : فهل حاجتهم يومئذ ؟

قلت : لا ، بل حاجتهم بالقرآن ، مثل قوله : ﴿ قَاتِلُوا حَسَكًا مِنْ أَهْبِهِ وَحَسَكًا مِنْ  
أَهْلِيهَا ﴾<sup>(٣)</sup> ومثل قوله في صيد الحرم : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ دَوَاعِلُ مِنْكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ؛ ولذلك  
لم يرحبوا والتجتمت الحرب ، وإنما رجع باحتجاجهم نهر منهم .

فإن قلت : هي السنة التي أمره أن يحاجهم بها ؟

قلت : كان لأمر المؤمنين عليه السلام في ذلك عرص صحيح ، وإليه أشار ، وحوله  
كان يطوف ويحوم ، وذلك أنه أراد أن يقول لهم : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :  
« على الحق والخلق مع علي يدور معه حيثما دار » ، وقوله : « اللهم والي من والاه  
وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واحدل من حذله » ، ونحو ذلك من الأخبار التي

(١) يريد قوله تعالى في آخر آية من سورة النساء : « يَأْتِيكَ عَنْ السَّكَاةِ » الخ .

(٢) سورة النساء ١٢ - (٣) سورة النساء ٣٥ .

(٤) سورة المائدة ٩٥ .

كانت الصحابة قد سمعنها من قلن في صلوات الله عليه ، وقد بقى ممن معها جماعة  
تقوم الحجة وتثبت بنقلهم ، ولو احتج بها على الخوارج في أنه لا يحمل بحالته والمدول عنه  
بحال الحصول من ذلك عرض أمير المؤمنين في حاجتهم ، وأعراض أخرى أرفع وأعلى منهم ؟  
فلم يقع الأمر بموجب ما أراد ، وقضى عليهم بالحرب ؛ حتى أكلتهم عن آخرهم ، وكان  
أمر الله مفعولا .

(٧٨)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام أحاب به ، ما موسى الأشعري عن كتاب كتبه  
إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة - وذكر هذا الكتاب سعيد  
ابن يحيى الأموى فى كتاب المنازى :

قَالَ النَّاسُ قَدْ تَنَزَّكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَطْمِهِمْ ، فَسَالُوا مَعَ اللَّهِ نِيًّا ،  
وَنَظَّفُوا بِأَلْهَوَى ؛ وَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَرَكًا مُعْجِبًا ، احْتَمَمَ بِهِ أَهْوَاءُ  
أَعْيَضَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَأَمَّا أَدَاوَى مِنْهُمْ فَرَحًا أَخْلَفَ أَنْ يَمُودَ عَدَا تَمُودُ ، وَلَيْسَ رَحْنٌ  
- فَأَعْلَمَ - أَخْرَجَ النَّاسَ عَلَى سَهَابَةٍ أُمِّيَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَتَعْبَهَا مَنِي ،  
أَتَمَّ بِدَلِّكَ حَسَنَ الثَّوَابِ ، وَكَرَّمَ أَمَّابِ  
وَسَأَى بِأَلْدَى وَأَيْتُ عَلَى نَقِي ، وَبِرْ تَبَرَّتْ عَنْ مَالِجٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ ،  
فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حَرَّمَ نَفْعَ مَا أَوْقَتْ مِنْ تَعْلِيلٍ وَتَحْرِيقٍ ، وَإِنِّي لَأَعْتَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ  
بِأَطْلَرِ ، وَأَنْ أَفِيدَ أَمْرًا قَدْ أَسْتَحْهُ اللَّهُ ، فَدَخَّ عَنْكَ مَا لَا تَعْرِفُ ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ  
طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقْوِيلِ السُّوءِ ، وَالسَّلَامُ .

\*\*\*

البَيْتُ :

روى : « وطلعت مع الهوى » ، أى ما تبنى مع الهوى .  
وروى : « وأنا أدارى » بإزاء ، من ادارة ، وهى التلاية والساهة .

وروى: « تقع ما أولى » باللام ؛ يقول : أوليته معروفًا .

وروى: « إن قال قائل ياطل ويمد أمرا [ فد أسكنه الله <sup>(١)</sup> ] » .

واعلم أن هذا الكتاب كتاب من شك في أبي موسى واستوحش منه ؛ ومن قد نقل عنه إلى أبي موسى كلاماً إما صدقاً وإما كذباً . [ وقد نقر عن أبي موسى إليه كلاماً إما صدقاً أيضاً وإما كذباً <sup>(٢)</sup> ] ، قال عليه السلام : إن الناس قد نير كثير منهم عن حطبهم من الآخرة ، فالواقع الدنيا . وإن رأت من هذا الأمر منزلاً مميحاً ، بكسر الجيم ، أي يجب من رآه ، أي يجعله متعمقاً منه .

وهذا الكلام شكوى من أصحابه ونصاره من أهل العراق ؛ فإنهم كل اختلافهم عليه واضطرابهم شديداً جداً . وانزل وآثروا ههنا عار واستمارة ، وللمنى أتى حصلت في هذا الأمر الذى حصلت فيه على حال معجبة من ثامتها ، لأنى حصلت بين قوم كل واحد منهم مستند رأى يخالف فيه رأى صاحبه ، فلا تسلم لهم كلمة ولا يسنوتق لهم أمراً ؛ وإن حكى عليهم برأى أراه أما حاله وهوى ، ومن لا يطاع فلا رأى له ، وأما معهم كاطلب الذى يداوى قرحاً ، أى حراحة قد قارت الاندمال ولم تدرمل بعد ؛ فهو يخاف أن يعود علقاً ، أى دماً .

ثم قال له : ليس أحد - فاعلم - أحرص على أئمة الأمة وضم نثر السليين .

وأدخل قوله : « علم » بين اسم ليس وحبرها فصاحة ، ويجوز رفع « أحرص » محله صفةً لاسم « ليس » ؛ ويكون الخبر محذوفاً - أى ليس فى الوجود رجل .

وتقول : قد وأيت وأباً ، أى وعدت وعداً ، قال له : أما أنا فسوف أبى بما وعدت وما استقرت بينى وبينك ؛ وإن كنت أنت قد تفترت عن صالح ما فرقنى عليه .

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون قوله : « وب تَمَرَّت » من جملة قوله فيها بعد « فإن الشق » كما تقول : إن خالتي من الشق من يحرف الحق .

قلت : نعم ؛ والأول أحسن ؛ لأنه أَدْحُ في مدح أمير المؤمنين عليه السلام كأنه يقول : « أنا أفي وإن كنت لا نفي ، والإيحاء بحسنه السب الواقع في مقابلته :  
 \* وَالضَّدَّ يَطْهَرُ حَسَنَهُ الْعَدُوُّ \*

ثم قال : « وإن لأعند » أي آت ، من عيد بالكسر أي أيف ، وقروا قوله :  
 ﴿ فَأَمَّا أُولُ الْأَعْدِيَّةِ ﴾ <sup>(١)</sup> بذلك ، يقول : إني لأف من أن يقول تحميري قولاً باطلاً ، فكيف لا آت أنا من ذلك لمسي اثم محتب روايات في النقطه بعدها كما ذكرنا  
 ثم قال : « قدع عنك ما لا تعرف » أي لا تبني أمرك بالأعلى اليقين والعلم القطعي ، ولا تُسخر إلى أقوال الوشاة وثقة الحديث ، فإن الكذب يحالط أقوالهم كثيراً ، فلا تصدق ما عساه يملك عنى شرار الناس ؛ فيهم يبرأ إلى أقويل السوء ؛ ولقد أحسن القائل فيهم :

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَبَرَ يَحْمَوْهُ وَإِنْ يَسْمَعُوا  
 شَرًّا أَدَاعَوْا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا  
 ونحو قول الآخر :

إِنْ يَسْمَعُوا دِيَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا      وَإِنْ دُكِرَتْ بِحَيْرٍ عَدِمُوا <sup>(٢)</sup>

(١) سورة الزمر ٨١ . (٢) لقص بن أم صاحب ، مختارات ابن النجاشي ١ : ٧

(٧٩)

الأصل :

ومن كتاب كتبه عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد :

أَمَّا بَدَأُ : فَإِنَّمَا أَهَمَّتْ مَنْ كَانَ فِيكُمْ أَهْمُ مَسْئَلَةِ النَّاسِ الْحَقِّ فَاشْتَرَوْهُ ،  
وَاحْدُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ .

\*\*\*

الشرح :

أى ممنعوا الناس الحق واشترى الناس الحق منهم بالرشا والأموال ، أى لم يضمنوا  
الأمور مواسمها ، ولا ولوا الولايات مستحقها ، وكانت أمورهم الدينية والدينية تجري  
على وفق الهوى والفرس الفاسد ، واشترى الناس منهم الميراث والحقوق كما تشتري السلع  
بالمال .

ثم قال : « واحْدُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ » ، أى حملهم على الباطل فجاء الخلف من بعد  
السلف ، فاقْتَدَوْا بآبائهم وأسلافهم وارتكبا ذلك الباطل ظناً أنه حق لما قد ألقوه ونشئوا  
وربوا عليه .

وروى « فاشْتَرَوْهُ » بالسبب المهمة أى اختاروه ، يفد استريت خيار المال ، أى اختارته  
ويكون الضمير عائداً إلى « الطلعة » لا إلى « الناس » ، أى ممنعوا الناس حقهم من المال  
واختاروه لأنفسهم واستأثروا به .









باب المختار من حكم أمير المؤمنين ومواعظه  
ويدخل في ذلك المختار من أحرفه مسائله والكلام القصير  
المأرج من سائر أعلامه



### الفتح :

اعلم أن هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن ، والسواد من العين ؛ وهو الدرّة  
الكمونة التي سائر الكتاب صدقها ، ودعا ومع فيه تكرار لبعض ما تقدم بسير جداً ؛  
وسب ذلك طول الكتاب وبعد أطرافه من الفهم ، وإذا كل الرضى رحمه الله قدسها  
فكرت في مواضيع كثيرة في " نهج البلاغة " على اختصاره كما نحن في تكرار يسير  
في كتابنا الطويل أعذر .

(١)

الأصل :

كُنْ فِي الْعِشَةِ كَأَنَّ النَّوْبَ ؛ لَا ظَهْرَ قَبْرٍ كَبَّ ، وَلَا صَرَخَ فَيْحَلَبَ .

\*\*\*

الشرح :

ابن النون : ولد أمانة الذَّكَرُ إذا استكمل السَّنة الكنية ودخل في الثالثة ، ولا يقال للأُنثى : سنة اللَّوْن ؛ وذلك لأنَّ أمَّها في الأغلب رُسع عرهما ، فتكون ذات بَنٍ ، واللَّوْن من الإبل والنَّشاة : ذات اللَّبَنِ ، نمريرة كالب أو يَكِينَة<sup>(١)</sup> ، فإذا أرادوا الغزوة قالوا : أبنة ، ويقال : ابن لَوْنٍ وابن بَنُونٍ ، مسكراً أو معرَّفاً ، فلما شاعر :

وإِن النَّوْبَ إِذَا مَارَ في غَزْوَةٍ لَمْ يَسْتَطِيعْ صَوْنَةَ الْبُرْنِ الْقَضَائِيْسِ<sup>(٢)</sup>

وإِن اللَّوْن لا يكون قد كمر وغوى ظهره على بُرْك ، وليس بأُنثى ذات ضرع فيُحَلَب وهو مطروح لا يُسْتَمْع به .

وأَيَّامُ الفِتَّة هي أَيَّامُ الحَصومة والحرب بين رئيسين صائِبٍ يدعوان كلَّهما إلى ضلَّالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير ، وفتنة عمرو بن الصَّدَّاق ، وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك ، فإِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَ حَقٍّ فَلَيْسَتْ أَيَّامُ فِتَّةٍ كَالْجَلِّ وَصِفِّينَ وَنَحْوَهَا بل يجب الجهاد مع صاحب الحقِّ وسنَّ السِّيفِ والسَّيْفِ عن السكر وبذل النَّفْسِ في إغْزَالِ الدِّينِ وإظهارِ الحقِّ .

(١) الكبيشة : قبيلة النجاشية . (٢) غرير ، ديوانه ٣٢٣ . القرن : الحبل . والقضائيس : الشداد .

قال عليه السلام : أحمل نفسك أيام سنة ، وكفى صعباً مغموراً بين الناس لا تصلح لهم نفسك ولا بمالك ولا تنصر هؤلاء وهؤلاء .

وقوله : « فِرْكَبَ » « فَيُجَبَّ » ، منصوب لأيهما جواب النفي ، وفي الكلام محذوف تقديره : « له » ؛ وهو يستحق الرفع ، لأنه حر المتبداً ، مثل قولك : لا إله إلا الله ، تقديره « لنا » ، أو « في الوجود » .



(٢)

الأصل :

أَرَى نَفْسِي مَنِ اسْتَشَمَّ الطَّمْعَ ، وَرَمَى بِالْأُلْ مِنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّي ،  
وَهَانَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ أَمَرٍ عَلَيْهَا لَيْتَهُ

\*\*\*

البشرح :

هذه ثلاثة فصول :

الفصل الأول في اطعم : قوله عليه سلام « أرى نفسي » ، أي فصرها .  
من استشم الطعم ، أي جملة شامه أي لارمه .  
وفي الحديث المرفوع : « إن الصائم الزوال الذي لا تثبت عليه أقدام الملاء الطمع » .  
وفي الحديث أنه قال للأنصار : « إنكم لتكثرون عند الفرج وتقلون عند الطمع »  
أي عند طمع الرزق .

وكان يقال : أكثر مصارع الأدب تحت ملال الصمم .

وقال بعضهم : العيب ثلاثة : عند ريق ، وعند شهوة ، وعند طمع .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن يميني ، فقال : « اليأس مما في أيدي الناس ،  
ومن مثي مسكم إلى طمع الدنيا فليمتن رويده » .

وقال أبو الأسود :

السنَّ عدوك في رفقٍ وى دَعَسِيَّ طوَى لنى لوبى للدهر لئاسي  
ولا تمرنك أحتدُ مرمقةً قد بُرِكَ الدَّيرُ المداي بأحلاسي  
واستمن عن كل دى قرى ودى دحيم بن الميِّ الذى استمنى عن الناس  
قال عمر . ما ألخر صِرْفاً بأدهعَ يقول (أحد من أطمع .

وى الحديث الرفوع : « أطمع الفقر الحاضر » .

قال الشاعر :

رأيت محبةً فطمتُ فيها وى أطمع الدلة للرقاب

الفصل الثانى فى الشكوى : قال عبيد السلام : « من كشف للناس سره » أى شكى  
إلهم يؤسه وفقره ، « قد رضى بالنيل » ،

كل يقال : لا تشكون إلى أحد ، أى كل عدواً سره ، وإن كل صديقاً سره .  
وليس سره العدو ولا مساواة الصديق بمحمودة ،

مع الأحتف رحلاً يقول : لم أهر المية من وقع صرسي ؛ جعل بكتر ، فقال : يا هذا  
لم تكتر ؟ فوالله لقد دعت عيني مد ثلاثين سنة فما شكوت ذلك إلى أحد ، ولا أعلت  
بها أحداً .

الفصل الثالث فى حبط اللسان : قد تقدم لنا قول شافى فى ذلك ، وكان يقال : حبط  
اللسان راحة الإنسان ، وكان يقال : رت كلمة سمكت دعاً ، وأورثت مدماً .

وفى الأمتان العامية ، قال اللسان للرأس . كيف أنت ؟ قال : بحير لو تركتني .

وفى وصية المهلب لولده ، يا بنيّ نادوا تحنوا ، فإن بني الأعيان يختلفون فكيف بيني  
العلات ، إن البر يسأ فى الأجل ، ويريد فى العسد ، وإن القطيعة تورث القلة ، وسعف

انار بعد الذلّة . اتقوا دلة اللسان فإن الرجل تزلّ رحله فيتمسّ ، ويزلّ لسانه فيهلك ،  
وعليكم في الحرب بالكيدة ، فإنها أبغ من الخجدة ، وإن القتال إذا وقع وقع النساء ،  
فإن ظهر الرجل ذو الكيد والحزم سعد ، وإن طُهر به لم يقولوا : قَرَّط .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

يموتُ التي من عشرة لسانه      وليس يموتُ المرء من عشرة الرجل



(٣)

الأضل :

أَسْخَلَ عَارِيَّ ، وَالْجُنَى مَقْمَعٌ ، وَنَقَرُ نَحْرِي أَلَمَطِينَ عَنْ حَاجَتِي ، وَالْمَقِلُّ  
غَرِيبٌ فِي بَلَدِيهِ .

• • •

الْبُخْلُ :

هذه ثلاثة فصول :

الفصل الأول في البخل . وقد تقدم لنا كلام مقتطع في ذلك .

ومن كلام بعض الحكماء في ذلك : « أَقْلٌ مَنْ يَحْمِلُهُ الْمَالُ ، وَتَسْتَعْلِي بِهِ الْعِشَاءُ ،  
وَيَرْضَى عَنِ السَّائِلِ ، وَمَا زَالَتْ أُمُّ الْكَرَمِ تَرُورًا وَأُمُّ الْقَوْمِ دُلُولًا . » وأكثر الواحدين  
مَنْ لَا يَجُودُ ، وَأَكْثَرُ الْأَحْوَادِ مَنْ لَا يَجِدُ .

وما أحسن قول الفاضل : كفى حرجاً أَنْ الْخَوَادِ مَعْتَرِ عَيْبِهِ ، وَلَا مَعْرُوفٍ عِنْدَ بَحِيلٍ .

وكان يقال : البخل مهانة ، والجود مهابة .

ومن أحسن ما نقل من حُودِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْسَى أَنَّ عُمَرَ بْنِ مَسْعُودٍ كَانَتْ مَاتَ فِي مَسْجِدِ  
سبع عشرة ومائتين ، وَحَافَ رُكَّةَ حَلِيَّتِهِ ، صَعَتْ أَسْنَاهُ ، إِسْتَحَافَ الْمُتَصِمَ وَجَمَاعَةَ مَعَهُ مِنْ  
الْكِتَابِ لِيَحْضُرُوا مِلْفَهَا ، فَجَاءَ الْمُتَصِمُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَحْسِلُ الْخَلَاةَ ، وَمَعَهُ الْكِتَابُ ، فَقَالَ :  
مَا دَأَيْتُمْ ؟ فَقَالَ الْمُتَصِمُ مَعْظُمًا لَهُ رَأَاهُ : وَحْدَهُ عَيْتًا ، وَصَامِتًا ، وَسَبِيحًا ، فَبَعَثَ ذَلِكَ أَحْمَرَ  
ثَمَانِيَةِ آلَافٍ أَلْفَ دِينَارٍ . وَمَدَّ صَوْتَهُ : فَقَالَ ابْنُ مَوْسَى : إِنَّا اللَّهُ ! وَاللَّهِ مَا كَفَتْ أَرْصَافُهَا



لتابع من أتباعه ليوفر هذا على غنائه ! فحجل المتصم حتى ظهر خبجه للحاضرين.



الفصل الثاني في الجبن ، وقد تقدم قولنا في فضل الشجاعة .

وقال هشام بن عبد الملك لسلمة أخيه : يا أبا سعيد ، هل دخلك دُعر في حرب قطّ  
شهدتها ؟ قال : ما سلت في ذلك عن ضر يقبه على حيلة ، ولا غشيتي دعر سبني رأي ،  
فقال له هشام : هذه والله البسالة ، قال أبو دُلّامة ، وكان جباناً :

إني أعوذ بروح أن يتدمي إلى القتال فتنشئ بي بنو أسدٍ  
يُنْزِلُ الهَلْبَ حُبَّ الموت أوردكم ولم أرث ربيعة في الموت عن أحدٍ  
قال النصور لأبي دُلّامة في حرب إبراهيم : تقدم ويك ! قال : يا أمير المؤمنين شهدت  
مع مروان بن محمد أرملة عساكر كلها انهزمت وكبرت ؛ وإنّي أعينك بالله أن يكون  
عسكرك الخامس .



الفصل الثالث في الفقر . وقد تقدم القول فيه أيضا .

ومثل قوله : « اشتر بحرس الفِطْن عن حاجته » قول الشاعر :

سَأْهَلُ نَصٍّ العيس حتى يكتمى فِئسَ المال يوماً أو عَنَى الخَدَنانِ  
فلمَوْتُ خَيْرٌ من حياة يُرَى لها على الحرِّ بالإفلال وَسَمُّ هَوَانٍ  
مَنْ يَشْكُمُ يُبَلِّغُ حُكْمُ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانٍ  
كَانَ النَّيْسُ عن أهله يوردك النَّيْسُ بِعِيرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ  
ومثل قوله عليه السلام : « واللّفل عَرَبٌ في بلدته » قول حَبَل الأحرار :  
لا نطقي أَنَّ التريب هو التا نِي وَلَكِنَّا التريب المقل  
وكل يقال : ما لك نورك ، فإن أردت أن تنكشف ضرّعه وأتلمه .

قيل للإسكندر : لم حطت الفلاسفة السال مع حكمتها ومعرفتها بالدنيا ؟ قال : لئلا  
توجههم الدنيا إلى أن يقوموا مقاماً لا يستحقونه .

وقال بعض الزهاد : ابدأ برعييتك فاحرر رُحماً ثم تعد .

وقال الحسن عليه السلام : مَنْ رَمَى أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ الْمَالَ فَهُوَ عَدِي كَارِبٌ ، فإِنْ عَلِمَتْ  
مَدَقَهُ فَهُوَ عَدِي أَحَقُّ .



(٤)

الأفضل :

الْعَجَزُ آفَةٌ ، وَالسَّبَرُ شَجَاعَةٌ ، وَزُهْدُ نَفْسٍ ، وَالْوَرَعُ حُسْنٌ ، وَيَعْنِي الْقَرِينُ  
الرَّشَا .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

فهذه فصول حمة :

اشعل الأول : قوله عليه السلام « العجز آفة » ، وهذا حق لأن الآفة هي النقص  
أو ما أوجب النقص ، والعجز كذلك .

وكان يقال : العجز المرط رك التناهي للساد .

وقلوا : العجز عجزان ، أحدهما عجز التفسير وقد أمكن الأمر ، والثاني الحد في طلبه  
وقد فات .

وقلوا : العجز نائم ، والحرم يقطر .

\*\*\*

الفصل الثاني في الصبر والشجاعة : قد تقدم قولنا في الصبر .

وكان يقال : الصبر مرة ، لا يتجرعه إلا حر .

وكان يقال : إنَّ للأرمان الحمودة والنمومة أعماراً وآحالا كأعمار الناس وآجالهم ؟

فاصبروا لزمانٍ سوء حتى يمتي عمره ، ويأتي أحله .

وكان يقال : إذا تضيعتك نارله « فريه الصبر عبيها » ، وأكرم مشواها لديك بالتوسل

والاحتساب لترحل عنك ، وقد أبقت عليك أكثر مما سكت منك ، ولا تنسها عند  
رخائك ، فإن تدرك لها أوقات الرخاء بعد السوء عن نفسك ، وينس القساوة عن قلبك  
ويوزعك حمد الله وتقواه .



الفصل الثالث : قوله : « والزهد ثروة » ، وهذا حق ، لأن الثروة ما استغنى  
به الإنسان عن الناس ، ولا عاء عنهم كالزهد في دنياهم ؛ فالزهد على الحقيقة هو  
التنسي الأكرم .

وروى أن عليا عليه السلام قال لعمر بن الخطاب أول ما ولي الخلافة : إن سرك أن  
تلتحق بصاحبك فتعصر الأمل ؛ وكلّ دون أشيع ، ولرفع القميص ، واحصب الثقل ،  
واستغفر عن الناس بعفرك تلتحق بهما .

وقب ملك على سقراط وهو في الشرفة عند أسند ظهره إلى حبة كان نأوى إليه ، فقال  
له : سل حاجتك ، فقال : حاجتي أن تنتحى عني ، فقد منعني ظلك المرفق بالشمس ، فسأله عن  
الحبة ، قال : آوى إليه ، قال : فإن اكسر الحب لم يتكسر المكان  
وكان يقال : الزهد في الدنيا هو الزهد في المحمدة والرياسة ، لا في العلم والشرب ،  
وعند المارفين : الزهد ترك كل شيء يشغلك عن الله .

وكان يقال : العالم إذا لم يكن راهدا لكان عفويا لأهل زمانه ، لأنهم يقولون : لولا أن  
عليه لم يصوب عبده الزهد لآزهد ، فهم يقتدون بهده في الزهد .



الفصل الرابع : قوله : « والورع حبة » ؟ كان يفل : لاعصمة كعصمة الودع والعبادة ؛  
أما الودع فيعصمك من المعاصي ، وأما العبادة فتعصمك من حميمك ؛ فإن عدوك لو رآك  
قائما تصلي وقد دخل ليقنتك لصدّ عنك وهابك .

وقال رجل من بني هلال لبيه : يا سيي أظهروا المسك فإن الدس إن رأوا من أحدٍ  
منكم بحلا ، قالوا : مقتصد لا يحب الإسرار ، وإن رأوا رجلاً ، قالوا : متوقِّفٌ يكره  
الكلام ، وإن رأوا حَسَنًا قالوا : متحرِّجٌ يكره لإقدام على الشبهة .



الفصل الخامس : قوله : « ودم القرمز الرما » ، قد سبق ما قول مقبِع في الرضا .  
وقال أبو عمرو بن السلاء : دفعت إلى أرض محدبة بها سرٌّ من الأعراب ، ففلت  
لعضهم : ما أرضكم هذه ؟ قال : كما ترى ، لا ررع ولا ضرع ، قلت : فكيف يمشون ؟  
قالوا : يمشون<sup>(١)</sup> الصَّاب ، وصيد الدَّوَاب ، قلت : فكيف صرَّكم على ذلك ؟ قالوا :  
يا هذا ، سل حلقَ الخلق ! هل سويت ؟ فقال : بل رصيتُ .

وكان يقال : مَنْ سَخِطَ المصاء طاحَ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ كَفَلَ بِهِ اسْتراح .  
وكل يقال . عليك الرما ، ولو قُتِلَتْ عني جَرَّ المصاء .

وفي الخبر المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى : « من لم يرص بعضاً  
فلينخذ رباً سوائى » .

---

(١) في اللسان . « حرش الصب يحرشه حرشاً ، واحترشه وحرشه وحرمره : أي أفاخره للشم  
بصاه عنه وأبلغ حرشاً في حجره فإذا سمع الصوت حسه دبة يريد أن يسجل عليه فجاء يرحل على رجليه  
وعمره مقانلاً ويصرف يده فاهزمه الرجز فأحد يده فمسب عنه — أي شد القسي — ثم يلمس أن يعجمه  
— أي يفلت منه » .

( ٥ )

الأصل :

العلمُ وِرَاقَةٌ كَرِيْمَةٌ ، والآدابُ خُلُقٌ مُحَمَّدَةٌ ، والعِكرُ مِرَاةٌ صَارِفَةٌ .

\*\*\*

البُشْحُ :

إنّا قلّ : « العلم وِرَاقَةٌ » لأنّ كلّ عالم من البشر إما يكتسب علمه من أستاذ يهدّ به وموصّ يعلّمه ؛ فكأنّه ورت العلم معه كما يرث لاس المال عن أبيه ، وقد سبق مما كلام شافى في العلم والأدب .

وكان يقال . عطية العالم شبيهة بمواهب الله عزّ وجلّ ، لأنّها لا تعتمد عند الخلود بها وتبقى بكاملها عند مفيدها .

وكان يقال : الفضائل المُلَيَّة تشبه السجل ، نطى الثمرة ، بعيد الفساد .

وكان يقال : ينفى للعالم ألا يترفع على الخاهل ، وأن يتطامن له عقيدار ما رصده الله عليه ، وينقله من الثالث إلى اليتيم ، ومن الخسرة إلى التتبيس ، لأن مكابحته قسوة والصبر عليه وإرشاده سياسة .

ومثاله قول بعض الحكماء : الخير من اعماء من يرى الخاهل معزلة الطلل الذى هو بالرحمة أحقّ منه بالخطئة ، ويمدده نفسه فيها قرط منه ولا يمدد نفسه فى التناحر عن هدايته .

وكان يقال : العلم في الأرض بمنزلة الشمس والملك ، لولا الشمس لأظلم الجوّ ، ولولا العلم لأظلم أهل الأرض .

وكان يقال : لا حيلة أحسن من حيلة الأدب ، لأنّ حيل الثياب تبلى ، وحيل الآداب تبقى ، وحيل الثياب قد يعتصمها العاصم ، ويسرقها السارق ، وحيل الآداب باقية مع جوهر النفس .

وكان يقال . الفكرة الصحيحة بطلان روحاني .

وقال أوس بن حجر يرثي :

إبراهيم الذي تجمّع أشباحه والنسجدة والحرم والشعرى<sup>(١)</sup> مما

الأممى الذي طهر منك الظلم<sup>(٢)</sup> كأن قد رأى وقد مما

ومن كلام الحكماء . النار لا ينقصها ما أحدها ، ولكن يحمدها ألا تجد حظاً ،

وكذلك العلم لا ينقصه الاقتصار ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه .

فيل لبعضهم : أى العلوم أفضل ؟ قال . ما العامة فيه أرهد .

وقال أفلاطون : من جهل الشيء ولم يسأل عنه جمع على نفسه فصيحتهن .

وكان يقال : ثلاثة لا تحرمه منهن : أدب بربر ، وعجاجة الرزية ، وكعب الأذى .

وكان يقال : عليكم بالأدب ؛ فإنه صاحب السر ، ومؤنس في الوحدة ، وجمال في

المجمل ، وسبب إلى طلب الحاجة .

وكان عبد الملك أديبا فاضلا ، ولا يحاسر إلا أديبا .

وردى الهيثم بن عدي عن يسعر بن كدام ، قال : حدثني سعيد بن جابر الجعدي ،

قال : لما قدم عبد البك الكوفة ندد قتل مصعب دعا الناس يعرضهم على فرائضهم ،  
 فحضر ما بنى يديه ، فقال : من اتقوا ؟ قنا . خديلة ، فقال : خديلة عَدُوَان ؟ قنا : نعم ،  
 فأُشده :

عَذِرَ إِلَى مَنْ عَدُوا      نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ (١)  
 نَمَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا      هَلْ يَرَعُوا عَلَى بَعْضٍ  
 وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ      وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ  
 وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْعَى :      فَلَا يُعْمَرُ مَا يَقْعَى  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْزِي النَّاسَ      بِالْبُيُوتِ وَالْأَرْضِ

ثم أقبل على رجل مآ وسب حسيم فدعاه أماسا ، فقال : أيكم يقول هذا الشعر ؟  
 قال : لا أدري ، فقلت أنا من حلته : بقوله دو الإصبع ، فتركي وأقبل على ذلك الرجل  
 الحسيم ، قال : ما كل اسم دي الإصبع ؟ قال : لا أدري ، فقلت أنا من حلته : اسمه  
 خُرثان ، فتركي وأقبل عليه ، فقال له : وم سمي دَا الإصبع ؟ قال : لا أدري ، فقلت أنا  
 من حلته : نهشته حية في بسبعه ، ففعل عيه وتركي ، فقال : من أيكم كان ؟ فقال :  
 لا أدري ، فقلت أنا من حلته : من بي نوح تدي يقول الشاعر فيهم :

فَأَمَّا بَنُو نَاحٍ فَلَا تَذْكُرْتَهُمْ      وَلَا تَنْبِئْ عَيْنَاكَ مَنْ كَانَ هَالِكَا

فأقبل على الحسيم ، فقال : كم عطاؤك ؟ قال : سعمائة درهم ، فأقبل عليّ ، وقال :  
 وكم عطاؤك أنت ؟ قلت : أربعمائة ، فقال : يا أبا الزَّعْبَرَةِ . حظ من عطاء هذا ثلثائة ،  
 وزدّها في عطاء هذا ، فرحت وعطائي سعمائة وعصاؤه أربعمائة (٢) :

وأشد مدشد بمحصرة الواثق هارون بن المتصم :

(١) يقال للرجل الصعب المبيع : حية الأرض .

(٢) الخبر في الأغانى ٣ : ٩١ ، ٩٢ .



أَطْلُومُ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَحَلًا أَهْدَى السَّلَامِ نَحْيَةً طَلْمُ<sup>(١)</sup>

فقال شخص: رحل هو حر «بَنَ»، ووقع على ذلك قولهم وخالفه آخرون، فقال الواقف: من يق من علفاء اسحقين؟ قالوا: أبو عبد الله البصرة، فأمر بإشعاصه إلى سُرْمَنَ رَأَى بعد إزاحة عنته، قال أبو عبد الله: فاشخصت، فلما أدخلت عليه قال: بمن الرحل؟ قلت: من ماري، قال: من ماري تميم، أم من ماري ربيعة، أم ماري قيس. أم ماري التميمي؟ قلت: من ماري ربيعة، قال: ما سميت؟ يريد: «ما اسمك» لأن لغة ماري ربيعة هكذا، يدلون الهم باه والهاء مباءة. فقلت: مكرأى «مكر» فصحك وقال: احبس واطمئن، فحلفت هألأى عى أسيت فأنشدته مصوفاً، فقال: فأبى حر إن؟ فقلت: «طلم» قال: كيف هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن البيت إن لم يحمل «طلم» حر «بَنَ» يكون مقطوع انتهى معدوم العائنة أ قلنا كروت انقول عليه فهم، وقال: فبح الله من لا أدب له، ثم قال: ألك ولا؟ قلت: بلى، قال: فما قالت لك حين ودعتهما؟ قلت: ما قالت بنت الأعشى:

تَقُولُ ابْنِي حِينَ حَدِّ الرَّحِيلِ أَرَأَا سَوَاهُ وَمَنْ قَدْ يَتَسَمَّ<sup>(٢)</sup>  
أَبَا نَا فَلَا رَمَتْ مِنْ عَفْدَنَا قَابًا بِحَيْرِ إِيَّا لَمْ تَرَمْ  
أَمَانَا إِذَا أَصْرَتِكَ السَّلَا دُ نُحْفَى وَتَقَطَّعَ مَاءَ الرَّحِمِ

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت: أشدتها بيت حرير:

رَتَقِي بِلَهِّ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عَدِ الْحَلِيقَةِ مَالِ الْحَاكِ<sup>(٣)</sup>

فقال: ثم بالبحاح إن شاء الله تعالى، ثم أمرني بالعباد وكسوة، ورددني إلى البصرة<sup>(٤)</sup>.

(١) به اسحقين وامريرى وقدة التماس ٤٣ لدى العري، وسه اسمعدي في المراه ١: ٢١٧  
قل اغارت من حاله العروى.

(٢) ديوانه ٣٣، (٣) ديوانه ٣٦.

(٤) الخبر في طبقات الزيدى ٩٣، ٩٤.

(٦)

— الأُصْلُ

وَصَدْرُ الْمَافِلِ مُدَوَّقُ سِرِّهِ ، وَالنَّشَاطَةُ جِسْمُهُ الْمَوْدِيُّ ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْمُيُوبِ .  
وَرُؤْيَاهُ قَالٌ فِي الْمِرَارَةِ عَنْ هَذَا الْمُعْصَى أَيْضًا : الْمَسْأَلَةُ حَبُّ الْمُيُوبِ .

• • •

الْبَيْزُجُ

□□□

هذه فصول ثلاثة :

الفصل الأول : قوله : « صدر اساقن سندوق سرِّه » قد ذكرنا فيما تقدم مَرَّهَا  
صالحا في كنهان السر .

وكان يقال : لَا تُسَكِّحْ حَاطِبَ سِرِّكَ .

قال معاوية لمختار المندى : انعم لي محمد ، قال : معنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ،  
أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأحمله كثرهما ، فربَّ الرجل إذا اتخذ حليسا ألقى إليه  
عُصْرَهُ وَنُحْرَهُ .

وقال بعض الأعراب : لا تَضَعْ سِرِّكَ عِنْدَ مَنْ لَا سِرَّ لَهُ عِنْدَكَ .

وقالوا : إذا كان سرُّ الملك عند اثنين دحلت على اثنين النشبة ، وأتسعت على الزَّخْلِينِ  
العاذير ، فإن عاذبهما عد شياعه ، عاق اثنين مذنب واحد ، وإن آتاهمهما اتهم برشا

بختاية مجرم ، وبين عفا عنهما كان اسمو عن أحدهما ولا دب له ، وعن الآخر ولا حجة عليه .

الفصل الثاني : قوله : « انشاشة حباله النودة » ، قد فُتِنَا في البُشر والشاشة فيما سبق قولاً مقنناً .

وكان يقال : البُشر دالٌّ على السجاء من ممدوحك ، وعلى الوُد من صديقك دلالة النور على القمر<sup>(١)</sup> .

وكان يقال : ثلاث بُشُر لك الوُد في صدر أخيك ، نفاقه شركك ، وتدوؤه بالسَّلام ، وتوسّع له في المجلس .

وقال الشاعر :

لا تدحسك صخرة من سائل      فقبحر دهرك أن ترى مشولاً  
لا تمحس بالردحة مؤسدة      قد ام عسبك أن يرى مأمولاً  
نلقى الكريم فتسندني بشره      وترى الميوس على اللثيم دليلاً  
واعلم بأنك عن قليل صائر      حراً فكن حراً بروق جيلاً

وقال البحرى :

لو أن كفتك لم تجد لؤم      لكف عاحل شرك التهلل<sup>(٢)</sup>  
ولو أن محذك لم يكن متدماً      أعاك آخر سودد عن أول  
أدركت ماقت الكهول من الحجا      من غموم شديك المتقىل  
فإذا أمرت ها يقال لك اتد      وإذا حكمت فإ يقال لك : اعدل

الفصل الثالث : قوله : « الاحتيال في العيوب » ، أى إذا احتملت صاحبك وحلت

(١) في د : « دلالة النور على القمر » : (٢) ديوانه ٢ : ٢١٨ .

عنه ستر هذا الخلق الحسن منك عيوبك ، كما يستر الدرّ الميت ، وهذا مثل قولهم في الجود :  
كلّ عيبٍ فأنكرهم ينقطيه .

فأما الحبّ فمصدر جأته أحمؤه ، والمعنى في الروايتين واحد ، وقد ذكرنا في فصل  
الاحتمال والمسألة فيما تقدّم أشياء سالحة .

ومن كلامه عليه السلام : وحدث الاحتمال أعسر لي من الرجال .

ومن كلامه : مَنْ سألَ النَّاسَ حِلْمَ مِثْلِهِمْ ، وَمِنْ حَرَبِ النَّاسِ حُلُوبُهُ ؟ فَإِنَّ الْمَثَرَةَ  
لِلْكَافِرِ .

وكان يقال : العاقل حادِمُ الْأَحْمَقِ أَبَدًا ، وإن كان فوقه لم يجد من مداراته والتقرّب إليه  
بدًا ؛ وإن كان دونه لم يجد من احتماله واستكشاف شره بدًا .

وأسمع رجل يريدني عمر بن حنبله فأعرض عنه ، فقال الرجل : إِيَّاكَ أَعْي ، قال :  
وعنك أَعْرَضُ .

وقال الشاعر :

إذا طلقَ السعيه فلا تحبّه	خبرٌ من إحصاه السكوتُ
سكتَ عن السعيه طلقَ أُنَى	غيبتُ عن الجواب وما عيّنتُ

(٧)

الأصل :

مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ سَاحِطُ عَيْبِهِ ، وَالصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُجِيعٌ ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نَعْبُ أَعْمِيهِمْ فِي آخِرِهِمْ .

\*\*\*

الشرح :

هذه فصول ثلاثة :

الفصل الأول : قوله « مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ سَاحِطُ عَيْبِهِ » . قال بعض الفضلاء  
لرحل كل يرضى عن نفسه ويذهب الخير على الناس ، العلم : عليك يوم تروهم يبرح حاك ،  
وزروهم برحرك ، فإنك لا تعلم عرا ، ولا تغد عرا ، لا يبع مسبارها عوزك ،  
ولا تستغرق أقدارها طورك .

وقد الشاعر :

أَرَى كُلَّ كَلِّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ بَعِيهِ      وَيَمْتَنِي عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ  
وَمَا حَبِيرُ مَنْ تَحْمَى عَلَيْهِ عَيْبُهُ      وَيَسْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي بِأَحْيِهِ

وقال بعضهم : دخلت على ابن مارة وبين يديه كتاب فسد صنعه ، فقلت : ما  
هذا ؟ قال : كتاب عملته مدخلا إلى الثورية ، فقلت : إن الناس ينكرون هذا ،  
فلو قطعت الوقت صبره <sup>(١)</sup> ! قال : الناس جهال ، وأنت صدم ؟ قال : نعم ، قلت :

فيبقى أن يكون صدقهم جاهلاً عندهم ، قل : كذلك هو ! قلت : فقد بقيت أنت جاهلاً بإجماع الناس ، والناس هم الذين يقولون وحدك ؟ ومثل هذا المعنى قول الشاعر :

إذا كنتَ تَقْضِي أنْ عَقَلْتَ كَاملٌ      وأنْ بِي حَوَاءَ عَيْبِكَ جَاهِلٌ  
وَأَنْ مَعِيصَ الْعِلْمِ صَدْرُكَ كَلَمٌ      فَمَنْ دَا أَدْرَى يَدْرِي مَا نَعْلُ جَاهِلٌ !

\*\*\*

الفصل الثاني : « الصدقة دواء منجح » ، قد جاء في الصدقة فعل كثير ، وذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . وفي الحديث الرفوع : « تَحَرَّوْا قُلُوبَ الصَّدَقَةِ رُبْحَانًا » ؛ وقيل : « الصدقة صدائق الجنة .

وميل للشئ » : ما يحب في مائتي درهم ؟ فقال : أنا من جهة التبرع خمسة دراهم ، وأما من جهة الإخلاص « الكثر » .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل فقيل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تعطى وأنت صحيح شحيح ، تأمل ليلتك ، وتحشى القبر ، ولا تعمل حتى إذا بعث الخلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا » .

ومثل قوله عليه السلام : « الصدقة دواء منجح » ، قول النبي صلى الله عليه وآله : « داووا مرضاكم بالصدقة » .

\*\*\*

الفصل الثالث : قوله : « أعمال الساد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم » ، هذا من قوله تعالى : « يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ جَبْرٍ مُخَصَّرًا وَمَا تَحْتِ مِنْ سُوءِ تَوَدُّ »

لَوْ أَنَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا <sup>(١)</sup> . وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ •  
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن كلام بعضهم : إنا نَقْدَمُ على ما قَدَمْتَ ، ولست نَعْدِمُ على ما رَكْتَ ؛ فأتَر  
ما تُلْغاهُ غدا على ما لا تراه أبدا .

ومن حكمة أعلامهم : أكنم حسنَ صبيحتك عن أعيى النَّشْرِ ، فإنَّه ممن بيده  
ملكوت السماء أعياناً ترمقه فتجارى عليه .

(A)

الأفضل :

اعْبَجُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ يَنْخَمِرُ ، وَيَسْكَنُ بَلْخَمِرَ ، وَيَسْمَعُ بِعَظَمٍ ، وَيَسْمَعُ  
مِنْ خَرْمٍ .

\*\*\*

الشيخ :

هذا كلام محمول بمصه على ظاهره ، لا ندعو إليه ضرورة من محاطة المائة بما يهيموه  
والمدول مما لا تدله عقولهم ، ولا تبيح طويهم .

أما الإحصار ؛ فقد اختلف فيه ، فضل : إنه بجروح شعاع من العين تتصل بالرقى  
وقيل : إن القوة المنصرة التي في العين تلاقى بذاتها للرياحات فتصرها . وقال قوم : من  
بتكليف الهواء بالشعاع المنصري من غير حروح ، فيصير الهواء باعتباره تكليفه بالشعاع به آلة  
العين في الإدراك .

وقال المحققون من الحكماء : إن الإدراك المنصري هو ما يطاع أشباح الرغبات في  
الرطوبة الجندية من العين عند توسط الهواء اشده الضيق ، كما تنطبع الصورة في المرآة .  
قلوا : ولو كانت المرآة ذات قوة منصرة لأدركت الصور المنطبعة فيها ؛ وهي جميع الأقوال  
فلا بد من إثبات القوة المنصرة في الرطوبة الجندية ، وإلى الرطوبة الجندية ومن إثباته  
عليه السلام بقوله : « يَنْظُرُ يَنْخَمِرُ » .

وأما الكلام فتحله اللسان عند قوم . وهو قوم : ليس الإنسان آلة ضرورية في الكلام  
لأن من يقطع لسانه من أصله يشكّم ، وأما إذا قطع رأسه لم يشكّم . قالوا : وإنا الكلام



بالأموات ، وعلى كلا القولين فلا بد أن نكسر آلة الكلام لح ، وإليه وقت إشارة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وليس هذه النية المخصوصة شرطا في الكلام على الإطلاق لحواز وجوده في الشحر والجد عند أصحاب ؛ وإنما هي شرط في كلام الإنسان ، ولذا قال أمير المؤمنين : « انحبوا لهذا الإنسان » .

فأما اسمع للصوت فليس نعظم عند تحقيق ، وإنما هو القوة المودعة في العصب المروش في الصنّاح كالنفس ، فإذا حمل لمواء الصوت ودخل في ثقب الأذن المتفتح إلى الصنّاح بعد تموّجات فيه حملت لتجرى عرى الأبراعة للصوت ، وأقصى ذلك الصوت إلى ذلك العصب الحامل لمواء السامعة حصل لإدراكه . والحلقة ثلاثة من عظم ، لأن الحامل اللحم والمصّب إنما هو العظم .

وأما التمعّن فلا ريب أنه من حرم ؛ لأنه من الأنف ، وإن كان قد عكس لو صدّ الأنف أن ينفس الإنسان من الفم وهو حرم أيضا ، والحاجة إلى التنفس بفتح الهواء الحارّ عن القلب وإدخال النسيم البارد فيه ، فحمل الزئ كالمروحة سسقط وتمنع ، فيدخل الهواء بها ويخرج من قصبتها بعده إلى الخارج .

(٩)

الأفضل :

إِذَا أَقْبَلَتِ الذُّبَابُ عَلَى قَوْمٍ أَعَارَنَهُمْ مَحْسِرَ عَيْرِهِمْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَبَبَهُمْ  
مَحْسِرَ أَنْفُسِهِمْ .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

كل الرشيد أيام كل حسن الرأي و جمر بن يحيى ، بحلف بالله أن جمرأ أفضل من  
قُسٍّ بن ساعده ، وأصحح من عمر بن الطفيل ، وأكف من عبد الحميد بن يحيى ، وأشوس  
من عمر بن الخطاب ، وأحسن من مُصعب بن الزبير . وكل جمر ليس بحسن الصورة ،  
وكل طويل الوجه حدا . وأصح له من الحجاج بعد ذلك ، وأصح من عبد الله بن جمر ،  
وأصح من يوسف بن يعقوب ؟ فلما تمير رأيه فيه أسكر بحاسنه الحقيقية التي لا يختلف  
اتفاق أنها فيه ، نحو كياسته ومخاطبته . وقد يكن أحد يحسّر أن يردّ على جمر قولاً ولا رأياً ،  
فيقال : إن أول ما ظهر من مثير الرشيد له أنه كلم الفصل بن الربيع بشيء مرده عليه  
الفصل ، ولم تجر عادة من قبل أن يفتح به في وجهه ، فأكسر سليمان بن أبي جمر  
ذلك على الفصل ، فمضب الرشيد لإكسر سليمان ، وقال : « دحولك بين أحمى ومولاي ؟  
كلّ رأيي عما كان من الفصل ، ثم تكلم جمر بشيء قاله للفصل ، فقال الفصل :  
أشهد عليه يا أمير المؤمنين ، فقد جمر : فصّ الله لك ما جاهل ! إذا كان أمير المؤمنين  
الشاهد ، فمن الحاكم انتهود عنه ؟ وصحّ رشيد ، وقال : يا فصل ، لا تغار جمرأ ؟ فإنك  
لا تقع منه موقفاً .

واعلم أنا قد وجدنا تصديق ما قاله عليه السلام في العلوم والفنائل والخصائص  
 النسانية ، دَخَّ حديث الدنيا والسلطان والرياسة ، هي المخلوط من علم أو من فضيلة تصاف  
 إليه شوارد تلك الفضيلة وشوارد ذلك الفن ؛ مثله حظّ عليّ عليه السلام من الشجاعة ،  
 ومن الأمثال الحكمية قلّ أن ترى مثلاً شارباً أو كلمة حكيم إلا ونصيحها الناس إليه ،  
 وكذلك ما يدعى العامة له من الشجاعة وقتل الأعداء حتى يقال : إنه حمل على سبعين ألفاً  
 هزمهم ، وقتل الجنّ في البئر ، وقتل الطوق الحديد في عُقّ خالد بن الوليد . وكذلك حظّ  
 عترة بن شداد في الشجاعة ، يُذكر له من الأضداد ما لم يكن ، وكذلك ما اشتهر به  
 أبو نؤاس في وصف الخمر ، يضاف إليه من الشعر في هذا الفن ما لم يكن قاله ، وكذلك  
 جود حاتم وعبدالله بن حمير ونحو ذلك ؛ وانعكس من لاحظ له ينفي عنه ما هو حقيقة له ،  
 فعدواً كثيراً من الشعر الجليل يُسمى عن قائله استحقاقاً له ، لأنه حامل الذكر ، وينسب  
 إلى غيره ، بل رأينا كثيراً مصفحة في هوى من العلوم تحلّ ذكر مصنفها ونسب إلى غيره  
 من دوى انبهاة والصّيت ، وكل ذلك منسوب إلى التلذّذ والإقبال .

(١٠)

الأفضل :

حَالِلُوا النَّاسَ مُحَاطَةً بِنِ مُتَبِّ مَعَهَا سَكَّوْا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَسُوا  
إِلَيْكُمْ .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

وقد روى : « حَسُوا » بالخاء المحمّية ، من الحبس ؛ وهو صوت يجرّح من الألف  
عند السكاء . وإلى تنطق محدود ، أى حَسُوا شوقاً إليكم .

وقد ورد في الأعراس بإحسان العشرة مع أسس الكثير الواسع ، وقد ذكرنا طرفاً  
من ذلك فيما تقدم .

وفي الخبر الرفوع : « إِذَا وَسَمْتَ النَّاسَ سِطَّ الْوُجُوهُ ، وَحَسَنَ الْخَلْقُ ، وَحَسَنَ  
الْجَوَارِ ، فَكَأَنَّمَا وَسَمْتَهُمْ بِالْمَالِ » .

وقال أبو الدرداء : يَا لِهَيْبَةٍ وَجُوهَ أَهْوَامٍ وَإِنْ قُلُوبٌ لَتَقْلِبُهُمْ .

وقال محمد بن الفضل الهاشمي لأبيه : لِمَ نَحْسُ إِلَى هَلَنْ وَقَدْ عَرَفْتَ عِدَاوَتَهُ ؟ قَالَ :  
أُحْبِبِّي نَاراً ؛ وَأَقْدَحَ عَنْ وَدِّ .

وقال المهاجر بن عبد الله :

وَإِنِّي لِأَقْصَى الرُّءُوسِ مِنْ عِيرِ نَفْسِي وَأَدْنَى أَحَا الْبِنَاءِ مَنَى عَلَى تَحْمِيدِ

لِيُحْدِثَ وَدّاً لِمَدِّ بِنَاءٍ أَوْ أَرَى لَهُ مَصْرَعاً يُرْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يُرْدِي

وقال عتيد بن شبة النخعي : كَتَبْتُ رَدِّبَ أُنَى ، فَلَنِيهِ حَرِيرُ بْنُ الْحَلْعَمَى عَلَى كَفَلَةٍ ،

حَفِيَّاهُ ابْنِي وَالظُّلْمَةُ ، فَلَمَّا مَضَى قَتْلَهُ : اَتَمَّدَ اَنْ قَالَ لَنَا مَا قَالَا قَالَ : يَا بَنِي اَفَاوَسَعُ حَرْحِي !

وقال محمد بن الحنفية عليه السلام : قد يُدْفَعُ بِحَيْثَالِ الْمَكْرُوهِ مَا هُوَ اَعْظَمُ مِنْهُ .

وقال الحسن عليه السلام : حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ ، وَبِدَارَةُ الْاَسْئَةِ نِصْفُ الْعَقْلِ ، وَالتَّصَدُّقُ فِي الْمَيْشَةِ نِصْفُ الْمُرُوَّةِ .

ومدح ابن شهاب شاعراً مُعْطَاهُ ؟ وَقَالَ : اِنْ مِنْ اِبْتِهَاءِ الْحَيْرِ اِتَّقَاءُ الشَّرِّ .

وقال الشاعر :

وَأَرْكَبِي طَوْلَ السَّوْيِ دَارَ عَرِيَّةٍ      مَتَى شئتُ لَا نَهَيْتُ امْرَأً لَا اَنَا كَلَهُ

أَنَا نَفْسِي حَتَّى يَنْتَالِ سَحْبَةٌ      وَلَوْ كَانَ دَا عَقْلٍ لَكُنْتُ اَعَاظُهُ

وفي الحديث المرفوع : « لَنَسَلِمَ عَلَى السَّلَامَةِ سَأَ : يَحْتَمِ عَلَيْهِ إِذَا لَفِيهِ ، وَيَحْيِيهِ إِذَا دَعَاهُ ،

وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ ، وَبِمُرُودِهِ إِذَا مَرَضَ ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَشْفَعُ حَوَارِهِ

إِذَا مَاتَ » .

ووقَّعَ سَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلَهُ عَلَى مَحْمُورٍ ، فَحَمَلُ بِسَاطِهَا وَيَتَحَفَّاهَا ، وَقَالَ : « إِنْ حُسِنَ

الشَّهَادَةُ مِنَ الْإِيمَانِ ، إِسْمُهَا كَانَتْ ثَانِيًا أَيَّامَ حَدِيثِهَا » .

( ١١ )

الأصل

إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاحْمِلْ أَسْعَوْ مَعَهُ شُكْرًا لِقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .

\*\*\*

الشرح :

قد أخذت أنا هذا المعنى ، فقلت في قسمة لي :

إِنَّ الْأَمَانَةَ أَكْأَبُ الْخَمُولِ فَلَا تَتَّبِعْ بِهَا وَارِثَ الْأَهْوَالِ وَالْخَطَرِ

وَاحْمِلْ مِنْ اسْتِغْلَالِ جَهْلًا وَاطْرَحْ نَظْرًا فِي الْوَقْتِ وَلَا تَسْتَفْرِحِ الْخُدْرَا

وَإِنْ قَدَّرْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُتَنَصِّرًا فَاشْكُرْ لِمَعُونِكَ عَنْ أَعْدَائِكَ الطَّامِرَا

وقد تقدّم لنا كلام طويل في الخلق و صبح و اسعوا .

ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك : شَحَرَ بَيْنَ أَيْ مُسْلِمٍ وَبَيْنَ صَاحِبِ مَرَوْ كَلَامٌ

أَرَبِّي فِيهِ صَاحِبُ مَرَوْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَطَ لَهُ فِي النُّزُولِ ، فَحْتَمِيهِ أَبُو مُسْلِمٍ ، وَبَدَمَ صَاحِبُ مَرَوْ ،

وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ أَيْ مُسْلِمٍ مُتَنَدِّرًا ، وَكُلَّ قَوْلَ لَهُ فِي حِمْلَةِ مَا قَالَ : يَا قَيْطُ أَفْعَالِ أَبُو مُسْلِمٍ :

مَهْ ! لِسَانُ سَبْقٍ ، وَوَمَّ أَحْطُ ، وَالْعَصْبُ شَيْطَانٌ وَأَمْ حَرَّ أَنْتَ عَلَى مَا حَبَّلَكَ قَدِيمًا ؛ فَبَيْنَ

كُنْتَ لِلذَّبِّ مُتَنَدِّرًا ، فَدُ شَارَكَكَ فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ مَعْلُومًا فَاعْمُوا بِسُوءِكَ . فَقَالَ

صَاحِبُ مَرَوْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ عِلْمَ دَسِ يُنَمِّنِي مِنَ الْخُدْرَا . فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : يَا بَعْجَا !

أَقَابَكَ بِإِحْسَانٍ ، وَأَتَى مَسِيءًا ، ثُمَّ أَقَابَكَ بِسَاءَةٍ وَأَتَى عَمْسًا ! فَقَالَ : الْآنَ

وَتَقْتَ بِمَعُونِكَ .

وَأَدَبَ بِمَعْنَى كِتَابِ الْأُمُورِ دُبًّا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيُحْتَجَّ لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، قِفْ

مكأنك ؛ فإنما هو عُذر أو عيّن ، فقد وهبته لك ، وقد نكرت منك ذلك ، فلا تزال تسيء  
ونحسن ، وندب ونعمر ؛ حتى يكون اسمو هو الذى يصلحك !  
وكل يقال : أحسن أفعال القادر اسمو ، وأفصحها الانتقام .  
وكل يقال : ظمّر الكريم عمرو ؛ وعمو<sup>(١)</sup> لشيم عقوبة  
وكل يقال : ربة دب مقدار النفوة عليه ، علام اندب به ، ولا يماور به حدّ الارتفاع  
إلى الإيقاع .

وكل يقال : ما عا عن الدقب من خُرع به .

ومن الحلم الذى يتصنّ كترأ مستحسناً ؛ ما روى أن مُصعب بن الزبير لما ولى العراق  
عرض الناس ليدفع إليهم أروافهم ، فإدى مباديه : أين عمرو بن حُرْمُور ؟ فبيل له :  
أبها الأمير ؛ إنه أبعد فى الأرض ؛ قل يا أَوْ حَنَّ الأحق أنى أقتله ماى عبد الله اقولوا له :  
فليظهر آسا ، وليأخذ عطاءه مسلماً .

وأكثر رجل من سبّ الأحب وهو لا يحبه ، فقال الزّحل : ويلي عليه والله  
ما منعه من جوابي إلا هواي عنده ا  
وقال لقيط بن زُرارة :

فقل لى سمدٍ ومالى ومالكُم      نرقوب منى ما استعلمم وأعتقُ  
أمرَكُم أنى بأحسر شيمة      نصبرُ وأنى بالفواحش أحرقُ !  
وأناك قد سانبقى صهرتى      هيتاً مريثاً أمت بالفحش أحتقُ

وقال أنامون لإبراهيم بن المهدي لما طهره : إنا قد شاورت فى أمرك ؛ فأشير على  
مقتلك ؛ إلا أنى وحدت قدرك فوق دسك ؛ فكهرت قنك للارم حرمك . فقال إبراهيم :  
« أمر اللومين ؛ إن لشير أشار عما تقتضيه السياسة ، وتوجيه العادة ؛ إلا أنك أبنت أن

تطلب النعم إلا من حيث عودته من أعمى ؟ فإن قتلتك فلك نظراء ؟ وإن عفوت  
فلا طير لك . قال : قد عفوت ، فأذهب آمناً .

ضل الأعشى في طريقه ، فأصبح بأبيات علقمة بن خلانة ، فقال قائده ، وقد نظر  
إلى قتات الأذى : واسوء مساحاه يا أبا بصير ! هذه والله أبيات علقمة : خرج فتيان الحى ،  
فقبضوا على الأعشى ، فانوا به علقمة ، فثل بين يديه ، فقال : الحمد لله الذى أطعنى بك  
من غير دمة ولا عقد ؟ قال الأعشى : أو ندرى م ذلك جئت هناك ! قال : نعم ، لأنتم  
اليوم معك بتوالتك على اساطير مع إحدى إنيك ؟ هل لا والله ، ولكن أطعك الله في  
ليلو قدر حبيك في . فأطرق علقمة ، « يدفع الأعشى فقال :

أعاقم قد صرنتى الأمور      إليك وما كان في مسكن<sup>(١)</sup>

كماكم خلانة أتوا به      وورثكم جمعه الأحوص

فهب لي نسي هذلك اسعوس      فلا رب تنعى ولا تنقص

فقال : قد فعلت ! أما والله لو قلت في بعض ما فعله في عامر بن عمر ، لأعيتك طول  
حياتك ، ولو قلت في عامر بن عمر ما فعلته في ما أدايت برؤ الحياة .

قال معاوية بن ميمر السدوسي : على ماذا أحببت علياً ؟ قال : على ثلاث :  
حلته إذا غضب ، وسدقه إذا قال ، ووهبه إذا وعد .



## (١٢)

### الأصل :

أَغْرَصَ النَّاسُ مِنْ عَجَرَ عَنَزِ الْإِخْوَانِ ، وَأَعْجَرَ مِنْهُ مَنْ ضَبَّحَ مَنْ  
ظَفَرَ بِرِ مِنْهُمْ .



### الشرح :

قد ذكرنا قطعة صالحة من الإحوايات فيما تقدم . وفي الحدث المرفوع أن النبي  
صلى الله عليه وآله نكس لما قُتِلَ حمير عذرة ، وقال : « المرء كثير ما حيه » .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : لكل سَيِّئَةٍ جَلِيلَةٍ وَجَلِيلَةٍ الرَّحْلُ أَوْ دَاوُدَ .

وأشد ابن الأعرابي :

لَمَعْرُكٍ مَامِلٍ الْعَمَى بِدَجِيرٍ وَلَكِنَّ يَحْوَانِ الْمَعَاءِ الدَّحَارُ

وكان أبو أيوب السَّخْتَيَانِيُّ<sup>(١)</sup> يقول : إذا ملئ موت أح كالماء ! فكأنما سقط

عصو منى .

وكان يقال : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالداء لا تستفى عنه ، وطبقة كالإدواء

يحتاج إليه عند المرض ، وطبقة كالإدواء لا يُحتاج به أبدا .

وكان يقال : صاحبك كرفعة في قبضك ، فانظر بما ترفع قبضك !

(١) ب : السجستاني ، والصواب ما أثبتته من أ .

وكان يونس بن عبيد يقول : اثنان ما في الأرض أغلّ منها ، ولا يزادان إلا لله :  
 درهم يوضع في حق ، وأح يُسَكَّن إليه في الله .

وقال الشاعر :

أحك أخاك إنَّ مَنْ لا أخا له      كساعر إلى الهيجا بغير سلاح  
 وإنَّ ابن عمِّ المرء فاعلم جَاحُه      وهنَّ ينهض الباري بنهر جَاح ؟

وقال آخر :

ولن تنمكْ تُحسد أو تُمادى      فأكثر ما استطلعت من الصديق  
 وينصك<sup>(١)</sup> لفتى أقل خُرا      وأسلم من مودة دى السوق<sup>(٢)</sup>  
 وأوصى نصيهم أبه ، قال : يا بني ، إذا نازعتك نفسك إلى مصاحبة الرجل طامح من  
 إذا صحبت زانك ، وإذا خدمته سالك ، وإذا عرضت لك مؤنة أعانك ؛ وإن قلت صدق  
 قولك ، وإن سكنت شدَّ صولك ؛ وإن مددت يدك لأمر مدّها ، وإن بدت لك<sup>(٣)</sup> عورة  
 سدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن سأله أعطاك ، وإن سكت ابتدأك ، وإن نزلت  
 بك ملّة وإسأك ؛ من لا تأتبع منه البوائق ، ولا تختار<sup>(٤)</sup> عيبك منه الطرائق ، ولا يحذلك  
 عند الحقائق .

ومن الشعر المصوب إلى عليّ عليه السلام :

إنَّ أخاك الحقَّ مَنْ كلَّ معك      ومن يضرّ نفسه ليسمعك  
 ومن إذا ربَّيُّ الزمان صدّك      شئت فيك ضلّته ليسمعك

(١) في « وبهاء التّلي » وهو وجه أيسر . (٢) : « عك » .

(٣) في « ولا تحلف » .

ومن الشعر المنسوب إليه عليه السلام أيضاً :

أحورك أذى إن أحصيتك ملةً من الدهر لم يرح لها الدهر واحداً  
وليس أحورك بالذي إن تشعت عيبك أمورٌ ظلل ياحاك لا تمسا

وقال بعض الحكماء : يعني للإسراء أن يوكل بمعه كائين : أحدها يكلؤه من أهله ،  
والآخر يكلؤه من وراثته ، وهما عقله الصحيح ، وأخوه النصح ، فإن عقله وإن صح فليس  
يستره من عيبه إلا بمقدار ما يرى الرجل من وجهه في المرأة ، ويحصى عليه ما حلقه ، وأما  
أخوه النصح فيستره ما خلفه وما أهله أيضاً

وكتب طريف إلى صديق له : إني غير محمود على الاتقياد إليك ، لأنني سادقتك من  
جوهر نفسي ، والنفس يلع بعضها بعضاً

وفي الحديث الرفوع : « إذا أحب أحدكم أخاه فليقلبه » .

وقال الأخف : جبر الإخوان من إذا استغثت به لم يردك ودّاً ، وإن احتجت إليه  
لم ينقصك .

وقال أعشى باهلة برقي المنتشر بن وهب :

إما سلكت سبيلاً كنت سالكها ذهب فلا يُمددك الله منشر<sup>(١)</sup>  
من ليس في حيرة شرٌّ بكه على الصديق ولا في صفوة كدر  
وقال آخر برقي صدقاً له :

أح طالباً سرّني ذكره وأصبحت أشجى لدى ذكره  
وقد كنت أعدو إلى قصره فأصحت أعدو إلى قصره  
وكتبت أراي عيياً عن التلس لو مدني عمرو عن التلس لو مدني عمرو  
إذا حنت طالباً حاجة فمري بحوزة علي أمره

رأى بعض الحكماء مصطلحين لا يترفا ، فسأل عهما ، فžil : صديقان ، قال : فما

بال أحدهما عنياً والآخر فقيراً !

(١٣)

الأصل :

وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتل معه :

حَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَصَرُّوا بِالْبَاطِلِ .

• • •

البيان :

قد سبق ذكر هؤلاء فيما تقدم ، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيس ، وأسامة بن زيد ، وعبد بن مسلفة ، وأنس بن مالك ، وجاعة غيرهم .

وقد ذكر شيخنا أبو الحسين في " المرر " أن أمر المؤمنين عليه السلام لادعاهم إلى القتال معه ، واعتدوا بما اعتدوا به ، هل لهم : أتسكرون هذه البيعة ؟ قالوا : لا ، لك لا نقاتل ؟ فقال : إذا بايستم فقد قاتلتم ؟ قل : سيموا بذلك من القدم ؟ لأن إمامهم رضي عنهم .

ومعنى قوله : « حذلوا الحق ولم يصروا الباطل » ، أي حذلوني ولم يحاربوا معي معاوية ؟ وبعض أصحابنا ابعدا الذين يتوقف في هؤلاء ، وإلى هذا القول يميل شيخنا أبو حنبل الإسكافي .

(١٤)

الأمثل :

إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَمِّرُوا أَفْعَاهَا رِقْلَةَ الشُّكْرِ .

• • •

الشُّرْح :

قد سبق القول في الشكر ، ونحن نذكرها هنا زيادة على ذلك .

قال بعضهم : ما شِئْنِي السُّوء ، بل شُكْرِي مَنْ أَسْكِرَهُ .

وقالوا : المعاف ربة الفقر ، والشكر ربة الغنى .

وعائلا : من سعادة المرء أن يصح مروهه عدد من يشكره .

ومن جيد ما قيل في الشكر قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْمَنَاسِ مَعْتَذِرًا      مِنْ ضَعْفِ شُكْرِي وَمَعْتَرَفًا<sup>(١)</sup>

أَنْتَ أَمْرٌ لَا تَحْتَسِي نَعْمًا<sup>(٢)</sup>      أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي ضِدَّ ضَعْفِ

فِيكَ مَنِ الْيَوْمَ مَعْتَذَرًا<sup>(٣)</sup>      حَادِثُكَ بِالتَّصْرِيحِ مِنْكَفِئًا

لَا تُسَدِّيقَ إِلَيَّ عَارِفَةً      حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

وقال البحتري :

فَإِنْ أَنَا لَمْ أَشْكُرْ لِمَعَاكَ حَادِثًا      فَلَا تَلْتُ تُسَمِّي بِمَدِّهَا تَوْجِبَ الشُّكْرَ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٧١ . (٢) الديوان . « حَقْنِي » .

(٣) الديوان : « قُلِ الْيَوْمَ تَعْلَمُهُ » .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٩ .

وقال أيضاً :

سأحمدُ في شكري لئنك أنقِ      أرى الكفرَ لثمنا ضريباً من الكفرِ

وقال ابن أبي طاهر :

شكرت علياً برّه وملاءه      فنصرتني سُكْرِي وإني لجاهدُ  
وما أنا من شكري علياً بواحدٍ      ولكنه في النملِ والحدودِ واحدُ

وقال أبو الفتح السقي :

لا تظنَّ بي وبرُّك حتى      أنْ شكري وشكرَ عبرى مواتُ  
أنا أرضٌ وراحتك سحابُ      والأبدي وبُلى وشكري نباتُ

وقال أيضاً :

وخرّ لا أوليت شكري ساجداً      ومثلُ الذي أولتَ بعده الشكرُ

البحرئ :

أراك بين الكسبي ورق النسي      بآلائك اللاتي يمدنها الشكرُ  
ويجبنني ففري إليك ولم يكن      ليمحني لولا محنتك الفقرُ

آخر :

بدأت بمرومٍ وثبتت بالرضا      وثلتت بالحسي ودرت بالكرمِ  
وإشرت أمرِي ولعنيت بحاجتي      وأخرت «لا» عني وقد امتلى «نعم»  
وصدقت لي ظني، وأنجزت موعدي      وطبت به غمّاً ولم تتبع الدّمِ  
فلئن نحن كافأنا بشكر فواجبُ      وإن نحن فخرنا فما الودّ متممُ

(١٥)

الأصل :

مَنْ صَيَّمَهُ الْإِقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَمْدُ .

\*\*\*

الشرح :

إنَّ الإنسانَ قد يصومه مَنْ لا يرحو نصره وإنَّ أهله أقربوه وحذوه ، فقد تقوم به الأحباب من أساس ، وقد وحدنا ذلك في حقِّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، صَيَّمَهُ أَهْلُهُ ورعطه من قريش وحذوه ، وغاثوا عليه ، فدم نصره الأوس والخزرج ، وهم أعداء الناس بساًمه ، لأنه من عدنان وهم من خطاه ، وكلَّ واحد من الفريقين لا يحب الآخر حتى تحب الأرض الدم . وقامت ربيعة بنصر عني عليه السلام في صيِّمين ، وهم أعداء مُصَرِّ الذين هم أهله ورعطه ، وقامت اليمين بنصر معاوية في صيِّمين ، وهم أعداء مُصَرِّ ، وقامت الخراسانية وهم عجم بنصر الدولة العباسية ، وهي دولة العرب . وإذا تأملت السَّيْرَ وجدت هذا كثيراً شائماً .

(١٦)

الأصل :

مَا كُلُّ مُقْتُونٍ يُنَاقِبُ .

\*\*\*

البشرح :

هذه الكلمة قالها علي عليه السلام لسعد بن أبي وقاص وعمر بن سلمة وعبد الله  
ابن ممر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الحقل ، وطردها أو قريبت منها  
قول أبي الطيب :

مَا كُلُّ فَصَالٍ يُجَارَى بِفَعِيلِهِ      وَلَا كُلُّ قَوَالٍ لَدَى يُجَاهٍ<sup>(١)</sup>  
وَرُبُّ كَلَامٍ مَرَّ فَوْى مَسَامِي      كَمَا طَنُّ فِي لَفْحِ الْهَجِيرِ ذُنَابُ

(١) لم أجد هذا في ديوانه .



## (١٧)

الأفضل :

نَزَلُ الْأُمُورُ لِنَمَقَادِيرٍ ، حَتَّى يَكُونَ الْخُفْتُ فِي التَّنْذِيرِ .

\*\*\*

البشرح :

إذا تأملت أحوال العالم وجدت صدق هذه الكلمة طاهرا ، ولو شئت أن تذكر  
الكثير من ذلك لذكرنا ما يحتاج في تقييده بالكتابة إلى مثل حجم كتابها هذا ، ولستنا  
نذكر لها وسكتنا وأطرافا وذروا من القول .

فرس مروان بن محمد وفد إلى عبد الله بن علي - أطاعا وتسخط عليها المال ، وقال : من  
حامي رأسه مائة درهم ، صجرت الحفظة والخراس عن حماته ، وأشعلت طائفة من  
الحند ريشته ، وتهاوت الحيش عليه لينسوه ، فضيهم عبد الله بن علي بما كره ، فقتل  
منهم ما لا يحصى ، وهزم الباقون .

وكسر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن حش أبي جعفر المصور ياتحري  
وأمر أصحابه بأنواعهم ، فغال بينهم وبين أصحاب أبي جعفر مائة صفصاح ، فكروا إبراهيم  
وحبسه حوض ذلك الماء ، وكان واسما ، فامر صاحب لوائه أن يتمرح بالواء على  
مساة<sup>(١)</sup> كانت على ذلك الماء ياسة ، فسكها صاحب اللواء وهي تعض بالسراج وأنكس  
إلى الأرض اليس ، فها رأى عكر أبي جعفر أن لواء القوم قد تراحح

(١) المساة : صخرة تبقى قليل لئلا تلام .

الْقَهْقَرَى تَلْتُمُهُمْ مِنْهُمْ زَيْنٌ ، فَصَلُّوا عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَجَاءَ سَهْمٌ غَرَبٌ<sup>(١)</sup> فَاصَابَ إِبْرَاهِيمَ فَقَتَلَهُ .

وقد دِيرْتُ من قبلُ قَرِيضٌ في حِجَابِ الْيَبْرِ نَأْنُ تَمَرْتُ عَلَى الصَّغْبِ وَالذُّنُولِ لِتُدْفَعَ  
وَسُورَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْمَغْطِيَةِ<sup>(٢)</sup> ، فَكَانَ هَلَاكُهَا فِي تَدْيِيرِهَا .

وَكُثِرَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ أَحُدَ بَانَ أَحْرَجَتِ النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا مِنْهَا  
أَنْ الظُّفَرِ وَالشُّعْرَةَ كَانَتْ بِذَلِكَ ، وَكَانَ سَبَبُ عَقَبِهَا وَظَمَرُ قَرِيضٍ بِهَا ، وَلَوْ أَقَامَتْ بَيْنَ  
جُدُرَانِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَنْظُرْ قَرِيضٌ مِنْهَا بِشَيْءٍ .

وَدِيرَ أَبُو مُسْلِمٍ الدَّوْلَةَ الْهَاشِمِيَّةَ ، وَقَامَ بِهَا حَتَّى كَانَ حَتْمُهُ فِي تَدْيِيرِهِ .

وَكَذَلِكَ جَرَى لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْتَسِبِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُهْدِيِّ بِالْمَرْبِ .

وَدِيرَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ السَّلْمَةِ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ فِي إِحْرَاجِ النَّسَائِيَّاتِ عَنِ الْعِرَاقِ حَتَّى كَانَ  
هَلَاكُهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا انْكَسَرَ عَلَيْهِ تَدْيِيرُهُ فِي إِدَارَةِ الدَّوْلَةِ الْوُثَيْبِيَّةِ مِنَ الدَّوْلَةِ  
السَّجُورِيَّةِ ظُلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ يَدْفَعُ الشَّرَّ ، بِنِيرِ الشَّرِّ فَيَدْفَعُ الشَّرَّ بِمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ .

وَأَمَّا هَذَا وَطَائِفُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى .

(١) سهم غرب : لاهموى رامي .

(٢) المغطية : غائلة تجعل السطور .

(١٨)

الْأَنْصَلُ :

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : غَبَرُوا الشَّيْبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ وَاللَّهِ بِيْنُ قُلٍّ ، فَمَا الْآنَ وَقَدَرْنَا نَسْعَ بَطْلَانُهُ ، وَصَرَبَ رِجْرَائِهِ ، فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ .

\*\*\*

الْبَرْخُ :

اليهود لا تحصب ، وكل من استولى على شيء عليه وآله أمر أصحابه بالحلباب ليكسوا في مَرَأَى البين شباب فيحرق المشركون معهم حل الحرب ، فإن الشيخ مِطْنَةُ الصنف .

قال علي عليه السلام : « كل ذلك والإسلام قُلٍّ » ، أي قليل ! وأما الآن وقد نسمع بطلانه وصَرَبَ رِجْرَائِهِ فقد سقط ذلك الأمر وصار الحصاب مُحَاحاً عِبَرٍ مَذدوب .

والنطاق : ثوبٌ نلتسه المرأة لسة محصورة لسرصدرة ولا سروايل ، وسميت أحماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لأنها قطعت من ثوبها ذلك قطعة شددت بها سكرة لها حملها أبو بكر معه حين خرج من مكة مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « لقد أدها الله بها نطاقين في الحنة » ، وكان عمر الشام ينادون عبد الله ابنها حين حصره الحجاج عسكة يشتمونه كما رَحَمُوا : يا ابن ذات النطاقين ، فيصحك عبد الله منهم ، وقال لابن أبي عتيق : ألا نسمع ! يطلونه دَمَا ثم يقول :

• وتلك شكاة ظاهري عنك عارها<sup>(١)</sup> •

واستمار أمير المؤمنين عليه السلام هذه القصة لسمعة رقة الإسلام ، وكذلك استمار قوله : « وضرب بحراة » ، أى أقام وثقت ، وذلك لأن العبر إذا ضرب بحراة الأرض بحراة مقدم عنقه - فقد استفتح وبزكته .

وامرؤ مستداً وإن كل نكرة ، كقولهم : « شر أهر دانا » ، للحصول الفاشة ، والواو بمعنى « مع » ، وهى وما بعدها الخبر ، وما مصدرية ، أى امرؤ مع اختياره .

• • •

### [ نبذ مما قيل في الشيب والخضاب ]

فأما القول فى الخضاب فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله بدأ شيب بسير فى لحية ، فتمره بالخضاب ، حمى بالخفاء والكتم ، وقال قوم : لم تشب أصلاً .

وروى أن عائشة قالت : ما كان الله يمشى بالشيب ، فبلى : أوشق هو يا أم المؤمنين ! قالت : كلكم بكرهه . وأما أبو بكر فصح الخبر عنه بذلك ، وكذلك أمير المؤمنين ، وقيل : إنه لم يخضب . وقيل الحسين عليه السلام يوم الطل وهو محسوب . وفى الحديث الرفوع رواه عتبة بن عامر : « عليكم الخفاء » ، فيه خضاب الإسلام ، إنه يصمى التصير ويذهب بالصداغ ، ويريد فى البلاء ، ويتركه واسود ، فإنه من سواد ، سواد الله وجهه يوم القيامة » .

وعنه صلى الله عليه وآله . « عليكم بالخضاب » ، فإنه أهيأ لمدوكم وأعصم إلى نسايتكم » .

(١) لأن ذؤيب الحس ، وصمد .

• وَغَيْرَهَا نَوَاشُونَ أَنَّى أَجَبَهَا •

(٢) ديوان الفياض ١ : ٢١ .

ويقال في أبواب السكناية للمختضب ، هو يسود وجهه النذير ، لأن النذير الشيب ؛ قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ <sup>(١)</sup> : إنه الشيب .

وكان عبدالرحمن بن الأسود أبيض الرأس والوجه ، فأصبح ذات يوم وقد حمرها ، وقال : إن مائنة أرسلت إلي البارحة جاريها فأقسمت علي لأعيرن ، وقالت : إن أبا بكر كان يصبغ .

وروى قيس بن أبي حازم قال : كان أبو بكر يخرج إلينا وكان لحيته خرام عرقج . وعن أبي عمر الأنصاري : رأيت أبا بكر يعير بالحناء والسكتم ، ورأيت عمر لا ينير شيئاً من شيبه ، وقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « من شاب شيعة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة » ، ولا أحب أن أعير نوري .

وكان أس بن مالك يمحض ويلشد  
سود أعلاها وبقي أصولها  
وليس إلى ردة الشباب سبيل

وروى أن عبد الملك وقد على حيف بن ذي ركن ، فقال له : لو حضت أفضا  
إلى مكة حبص ، هذات له امرأته نقيحة أم ابباس وصرار : ما أحسن هذا الخصب  
لو دام ! فقال :

فقد دلم لي هذا الحصاب حديدته  
تحت منه والحياة قصيرة  
وموت جهنم عاجله لا شوي له  
وكان بديلة من حليله قد اصرم  
ولا بد من موت شيعة أو هرم  
أح الياس من مفالككم حكم

قال : يعني أنه صار شيخاً ، فصار حكيم بين الناس ، من قوله :  
لا تسيط المسرة أن يقال له : « صهي فلان » له حكماً

وقال أمّاء بن خارجة لجاريته : احضيني ، ففالت حتى متى أردفك ! فقال :

عَبْرَتِي خَلَقْنَا أَبْلَيْتُ حَدَّتَهُ      وَهَلْ رَأَيْتِ جَدِيدَانِ يَمُدُّ حَلَقَهُ!

وأما من يروى أن علياً عليه السلام ما حَضَبَ ، فيحتج بقوله ، وقد قيل له : لو غيّرت  
شيبك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الحصاب زينة ، ونحن في مصيبة - يعني برسول الله صلى  
الله عليه وآله .

وسئل الحسن عليه السلام عن الحَضَبِ ، فدل : هو حَرَجٌ ببيع . وقال محمود الوراق :

يا حَضَبَ الشَّيْبِ الَّذِي      فِي كُلِّ نَاشِئَةٍ يَسُودُ

إِنَّ الحَضَابَ إِذَا مَضَى      فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ حَدِيدُ

فَدَمَحَ الشَّيْبَ وَمَا يُؤِيدُ      فَلَنْ تَسُودَ كَمَا تُرِيدُ

وقد ردّى قومٌ عن النبي صلى الله عليه وآله كراهية الحُصَابِ ، وأنه قال : لو استبَدَّ  
الشَّيْبُ بِالْقَوَاعِ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ :

قال الشاعر :

وَسَبَّحْتُ مَا مَسَّحَ الزَّمَانُ ظَمَ يَدُومُ      صَبْنِي وَدَامَتْ صِنْفَةُ الْأَيَّامِ

وقال آخر :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْغَيْرُ شَيْبُهُ      كَيْفَا تُصَدِّهُ مِنَ الشَّيْبَانِ

أَقْصِرْ فَلَوْ سَوَّدَتْ كُلَّ حَمَامَةٍ      بَيْضَاءَ مَا عُدَّتْ مِنَ الزَّرْبَانِ

ويقولون في ديوان عَرَضِ الخَيْشِ سُدَادٌ لَنْ يَحْضِبَ إِذَا دَكَّرُوا جَلِيَّتَهُ : مستعار ،  
وهي كناية لطيفة . وأما استحسن قول البُخْتَرِيِّ : خَصَبْتُ بِالْقَرَأِضِ : كناية عن قَصِّ  
الشعر الأبيض ، فجعل ذلك خضابه عوضاً عن الصنع ، والأبيات هذه :

لَا يَسُ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضِي      وَمَلِيحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضِي<sup>(١)</sup>

وإذا ما امتعشتُ من وَلَعِ الشَّيْءِ      بَ رَأْسِي لَمْ يَتْرُكْ دَاكَّ لِمَتَامِي  
 لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ أَمْرٌ فِيهِ      هَ إِلَّا عَنِ نَحْوَةٍ\* أَوْ تَمَاسِي  
 وَابْتَوَانِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا      لَعَنَ شَيْئًا شَبِيهَةً بِالْمَوَاسِي<sup>(١)</sup>  
 وَأَنْتَ تَزِيدُكَ الْمُدَيَاتِ وَالْآ      صَالٍ حَتَّى حَصَتْ بِالْمَقْرَاضِ  
 وَدَوَاهِ الشَّيْرِ كَانَتْخِصَ فِي عَمِي      نَفْلٍ فِيهِ فِي الْيَوْمِ الْمَرَضِ  
 طَالَ حُرَّتِي عَلَى الشَّبَابِ وَمَا بَقِيَ      مِنْ لَوْنٍ مِنْهُ التَّضَاعُضِ  
 فَهَلِ الْحَادِثَاتُ بِأَسَ عُمُوبٍ      تَرَكَانِي وَلَيْسَ هَذَا الْيَاسِ!

(١٩)

## الأضلل

مَنْ حَرَى فِي عَيْنِ أُمِّهِ عَثَرَ بِأَحْيِهِ .

\*\*\*

## البنج

قد تقدم لنا قول كثير في الأمل ، وذكرها هنا زيادة على ذلك :

قال الحسن عليه السلام : لو رأيت الأجر ومسيرة ، لميت الأمل وعروءه ،  
وَيُقَدَّرُ الْمُتَدَرُّونَ وَالْقَصَاءُ يَمْنَحُكَ :

وروى أبو سعيد الخدري أن أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر ،  
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أَلَا نَمَجُّونَ مِنْ أُسَامَةَ يَشْرِي إِلَى شَهْرٍ ! إِنَّ أُسَامَةَ  
لَطَوِيلُ الْأَمَلِ » .

أبو عثمان النهدي : قد ملتُ نحواً من ثلاثين ومائة سية فما من شيء إلا  
قد عرفت فيه القصص إلا أمتي ، فإنه كما كلن .

قال الشاعر :

أَرَاكَ تَزِيدُكَ الْأَيَّامُ حِرْصًا      عَلَى الدَّيَا كَأَنَّكَ لَا تَمُوتُ  
فَهَلْ لَكَ عَايَةٌ إِنْ مَرَّتْ يَوْمًا      إِلَيْهَا قُلْتُ حَسْبِي قَدْ رَصِبْتُ أ

وقال آخر :

مَنْ تَمَتَّى الْمَيِّ فَأَعْرَقَ فِيهَا      مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ إِنْ يَسَّالَ مُنَا  
لَيْسَ فِي مَدِّ مَنْ تَتَابَعَ فِي أَمَدَاتٍ فَصَلَّ عَنْ نَفْسِهِ سِوَاهُ



(٢٠)

الأصل :

أَقْبِلُوا دَوَى الْمَرْوَاتِ عَنَّا حَيْثُمْ فَمَا يَمْتَرُ مِنْهُمْ عَارِزُهُ إِلَّا وَيدُهُ بيدِ اللَّهِ  
يَرْفَعُهُ .

• • •

البشرح :

[ نبذ مما قيل في المروءة ]

قد رُوِيَتْ هذه الكلمة مرفوعة ، ذكر ذلك ابنُ قُتَيْبَةَ في " عيون الأخبار " ،  
وأحسن ما قيل في المروءة قولهم : اللدَّةُ تركُ المروءة ، والمروءة تركُ اللدَّة .

وفي الحديث أن رجلاً قام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ،  
أأستُ أفضلَ قومٍ ؟ فقال : إن كان لك عقلٌ ففك ففضل ، وإن كان لك خلقٌ ففك مروءة ،  
وإن كان لك مالٌ ففك حسب ، وإن كان لك تقىٌ ففك دين .

وسئل الحسنُ عن المروءة فقال : جاء في الحديث المرفوع : « إن الله تعالى يحب مماليك  
الأمور ويكره سفاسها » .

وكان يقال : من مروءة الرجل جلوسه يباب داره .

وقال الحسن : لا دين إلا بمروءة .

وقيل لأبن هُبيرة : ما الرُوءة ؟ فقال : إصلاح السال ، والرَّائنةُ في المجلس ، والنداء والعشاء بالبقاء .

وجاء أيضا في الحديث المرفوع : « حَسَبُ الرَّحْلِ مَالُهُ ، وَكَرَّمُهُ دِينُهُ ، وَمَرْوُهُ خُلُقُهُ » . وكان يقال : ليس من الرُوءة كثرةُ الأُتُناتِ في الطريق .  
ويقال : مُرعةُ اللَّشَى تذهب بِمُرُوءَةِ الرَّحْلِ .

وقال معاوية لمرو : ما اللهُ الأشياء ؟ قال : مَرٌّ فِتْيَانٍ غَرَبُوا أَنْ يَقُومُوا ؛ فَلَمَّا قَامُوا قَالَ : إِسْقَاطُ الرُّوءَةِ .

وكلُّ عُرْوَةٍ بَنُ الرَّزِيرِ يَقُولُ لِنَيْهِ : يَا سَيِّئُ الْقَسَا ، فَإِنَّ الرُّوءَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ الْقَسَبِ . وقيل للأحنف : ما الرُّوءَةُ ؟ قال : النِّعَةُ وَالْحِرْفَةُ ، تَمَتْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَتَحْتَرِفُ فِيهَا أَحَلُّ اللَّهِ .

وقال محمد بن عمر بن النعمي : لا أشدَّ من الرُّوءة ، وهي ألا تعمل في السرِّ شيئا نستعي منه في العلانية . وسئل السَّطَّامُ عن الرُّوءَةِ ، فَأَشْدَّ بَيِّنَ دُهَيْرٍ :

الْمَرْوُودُونَ الْمَاحِشَاتِ وَلَا يَمَسُّوْنَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ<sup>(١)</sup>

وقال عمر : تعلموا العربية فإنها تريد في الرُّوءَةِ ، وتعلموا النَّسَبَ قُرْبُ رَجُلٍ مِمَّا لَمْ يَدْخُلْ قَدِ وُصِّلَ بِهِ .

وقال ميمونُ بْنُ مِهْرَانَ : أَوَّلُ الرُّوءَةِ عِلَاقَةُ الْوَحَى ، وَالثَّانِي التَّوَدُّدُ إِلَى الْبَاسِ ، وَالثَّالثُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ .

وقال مسلمة بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَرْوَتَانِ ظَاهِرَتَانِ : الرِّيشُ وَالْمَصَاحَةُ .

وكان يقال : تَمَرَّتْ مَرْوَةُ الرَّجُلِ بِكَثْرَةِ دُبُونِهِ .

وكان يقال : العقلُ يَأْمُرُكَ بِالْأَنْفَعِ ، وَالرُّوءَةُ تُمْسِكُكَ بِالْأَحْمَلِ .

لَا مَ مَعَاوِيَةَ بِرَيْدَ اللَّهِ عَلَى تَمَاجِ الْعِبَاءِ وَحُبِّ الْقِيَانِ ، وَقَالَ لَهُ : أَسَقَطْتَ مَرْوَةَكَ ،  
 هَذَا بَرِيدٌ : أَنْتُمْ بِلِسَانِي كَلَمَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَسْتُ أَبِى سَعْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَهَذَا  
 بَنِي عُنْتَةَ مَعَ لِسَانِكَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثَنِي نَحْرُو بْنُ أَعْمَاصٍ - وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ  
 عَبْدُ اللَّهِ بِصَدَقِهِ - أَنَّ أَبَا سَعْيَانَ كُلَّ يَجْتَمِعُ عَلَى الْمَعْنَى الْغَاضِلِ وَالْمَصَاعِفِ مِنْ رِيَابِهِ ،  
 وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُدَّاسٍ عَتَاهُ يَوْمًا فَأَمْلَأَهَا سَاءً ، فَجَعَلَ يَجْلَعُ عَلَيْهَا  
 أَنْوَابَهُ ثَوْبًا ثَوْبًا حَتَّى نَحَرَّ دَحْمَرُودَ النَّيِّرِ ، وَثَنَدَ كُلُّهُ وَغَفَّانَ ابْنُ أَبِي سَعْمَانَ وَبِمَا خَلَا  
 حَارِثَةَ أَعْمَاصُ بْنُ وَائِلٍ عَلَى أَعْرَاقِهِمَا ، فَرَّ بِهَا عَلَى الْأَبْطَحِ وَجِلَّةَ فَرِيشٍ يَنْطَرُونَ إِلَيْهَا ؛  
 مَرَّةً عَلَى طَهْرٍ أَبِيكَ ، وَمَرَّةً عَلَى طَهْرٍ عَفَسَ ، فَمَا أَدَّى نَسْرُ مَنْنِي ؟ هَذَا مَعَاوِيَةُ : اسْكُبْ  
 لَعْنَاكَ اللَّهُ ! وَاللَّهِ مَا أَحَدُ الْحَقِّ مَانِيكَ هَذَا ، إِلَّا لِيَمُرَّكَ وَيَصَحَّحَكَ ، وَإِنْ كَانَ أَبُو سَعْيَانَ  
 مَا عَلِمْتَ لَتَنْتَقِلُ الْجَنَّةُ ، يَقْطَعُ الرَّاى ، غَارِبُ الْهَوَى ، طَوِيلُ الْأَمَامَةِ ، فَعِيدُ الْأَعْمَرِ ،  
 وَمَا سَوْدَنَهُ قَرِيشٌ إِلَّا لِقَصَّةِهِ .

( ٢١ )

الأضل :

لُرِنْتُ أَلْهِيَّةً بِالْخَيْفِ ، وَأَلْحِيًا بِالْحِرْمَانِ ، وَالْفُرْمَةَ عَرُّ مَرَّ السَّحَابِ ،  
فَانْتَهَرُوا مَرَّ مِنَ الْحَبْرِ .

\*\*\*

الشُّنْجُ :

في النُّل : مَنْ أَقْدَمَ لَمْ يَنْدَمْ ، وقال الشاعر :

لِس لَفْجَاتٍ لَا مِنْ لِه وَحْدَةٍ وَفَاحُ  
وَلِسَانُ طِرْمِيدِي<sup>(١)</sup> وَغَسْدُو وَرَوَاحُ  
مُصْلِيهِ السُّيُ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ الْمَحَاحُ

وكان يقال : العرصة ما إذا حولته فأحطدك نعمه ، لم يعمل إليك صرة .

ومن كلام أبي الفصح : اشهر العرصة في إحرار اللآثر ، وأعتيم الإمكان ما سطرنا  
الحبر ، ولا تقتطير ما تعامل فتجاري عنه مثله ، فإني إن عوملت عكروه واشتملت برصد  
المكافأة عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدة ، وأقتناء مَنَقَةٍ ، ونصرت أيتامك  
بين تندر عليك ، وانتظار لطلوع يدرأك آثار من حصمك ، ولا عيشة في الحياة أكثر  
من ذلك .

كانت العرب إذا أودعت وأذا قالت له : يَاكَ وَالْهَيْئَةَ ؛ فإنها حية ؛ ولا تبت عند  
ذنب الأمر وث عند رأسه .

(١) حرمي : يمدح بما ليس به .



على ركب عَجُز البير أعظم ، وكان الصبر على تأخر راک عَجُز الصبر عن الراک  
على ظهره أشدّ وأصم .

وهذا الكلام تزعم الإمامية أنه قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام ، ويدّعي أصحابنا  
إلى أنه قاله يوم الشورى بعد وفاة عمر واحتجاج الجماعة لاختيار واحد من الستة ، وأكثر  
أرباب السير ينقلونه على هذا الوجه .

(५५)

الأصل :

مَنْ أَظْلَمُ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يَسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ

\*\*\*

البشر :

هذا الكلام حَثٌّ وَحَسٌّ وَمُحَرِّمٌ عَلَى الْعَادَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَمثَالُهُ <sup>(١)</sup> ، وَسَيَأْتِي لَهُ  
مِثَالُهُ كَثْرَةً ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « يَا عَالِمَةُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ، إِنْ  
لَا أَمْسَى بِكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنْ لَا أَمْسَى بِكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ،  
(إِنْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ أَتَاكَ) » <sup>(٢)</sup> .

(١) في د ٣ مثله ٤ . (٢) صورة الخمرات ١٣ .

(٢٤)

الأصل :

مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعَظِيمِ إِمَانَةً أَمَّنُوهُ ، وَالتَّائِبِينَ عَنْ الْمَكْرُوبِ .

\*\*\*

الشرح :

قد جاء في هذا المعنى آثار كثيرة ، وأخبار حيلة . كلّف العتاني قد أُنقِ ،  
فجاء فوق باب الأمان يسوق الله على يده ، فوافى يحيى بن أكنم ، فصرص له  
العتاني ، فقال له : إن رأيت أيها القاضي أن أعلم أمير المؤمنين مكان فاضل ، فقال :  
لست بمباح ؛ قال : قد علمتُ ، ولكنك ذو فضل ، ودو الخصال يعوان ، فقال :  
سلكت في غير طريق ؟ قال : إن الله أنجمك منه بحمار وسمعة ، وهو مقل عليك بأزيد  
إن شكرت ، وبالتنكير إن كفرت ، وأهلك اليوم خير منك لعسك ، لأنني أذكرك  
إلى ما فيه ازدياد نعمتك ، وأنت تاتي علي ، ولكل شيء ركعة ، وركعة الحاء وقد المستعين .  
فدخل يحيى فأخبر الأمان به ، فأحصروه وحذروه ولاطمه ووصفه .



(٢٥)

الأصل :

يَا أَيُّهَا آدَمَ ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ يَمَّهُ وَأَنْتَ تَعْبِيهِ فَاحْذَرُهُ .

\*\*\*

البيان :

هذا الكلام مخوف وتحذير من الاستدراج ؛ قال سبحانه : ﴿ سَتَجِدُنَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْتَمِعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ وذلك لأنَّ العبد ليروره يستفد أن موالاة النعم عليه وهو خاص من باب الرضا عنه ، ولا يعلم أنه استدراج له وثمة عليه .

وإن قلت : كيف يصح القول بالاستدراج على أصولكم في السدل ؟ أليس معنى الاستدراج إيهام العبد أنه سبحانه عبر ساحت فعله ومعصيته ؛ فهل هذا الاستدراج إلا مفسدة وسبب إلى الإصرار على التَّبَيع ؟

قلت : إذا كان السكف عالمياً بضح القبيح ، أو متمكناً من العدم بفتح ثم رأى النعم تنوال عليه وهو مُصِرٌّ على المعصية ، كل ترادف تلك النعم كالنعم له على وجوب الحذر ، مثال ذلك مَنْ هو في جذمة ملك ، وهو عون ذلك الملك في دونه ، ويسم أن الملك قد عرف حاله ، ثم يرى يَمُّ الملك مترادفة به ، فإنه يحس بمقتضى الاحتياط أن يشتد حذره ، لأنه يقول : ليست حال مع أنك حلٌّ مَنْ يستحق هذه النعم ، وما هذه إلا مكيدة وتحتها غائلة ، فيجب إدن عليه أن يحذر .

(٢٦)

الْأَفْضَلُ :

مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي مَقَاتِلِ بَسَائِدِهِ ، وَصَنَحَاتِ وَجْهِهِ .

\*\*\*

الْمُنْخُج :

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُئَمَى :

وَمَهْمَا نَكُنْ عِدَا امْرِئٍ مِنْ حَلِيقَةٍ      وَإِنْ حَالَهَا تَخَمَّى عَلَى الدَّاسِ نَعْمَرُ<sup>(١)</sup>

وَقَالَ آخَرُ :

تَحَبَّرَنِي الْقِيَامِي مَا الْقَدْبُ كَلَامٌ      وَمَا حَنَ بِالْخِصَاءِ وَالطَّرِيقِ الشَّرَارِ

وَقَالَ آخَرُ :

وَيَ عَيْبِكَ رَحْمَةً أَرَاهَا      تَدَلَّى عَلَى الصَّنَانِ وَالْحُقُودِ

وَأَحْلَاقُ عَهْدَتِ اللَّيْلِ فِيهَا      عَدَّتْ وَكَأَنَّهَا رُبْرُ الْحَدِيدِ

وَقَدْ عَهْدَتْنِي بِحُلَايٍ هَذَا      وَقَدْ أَتَى : « أَوْفُوا مَا لِقُودِ »

وَكُنْ يُقَالُ : الْبَيْنُ وَالْوَحْهَ وَاللَّسَانُ أَحْبَابُ أَحْمَدَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَقَالُوا : الْقَلُوبُ كَالرَّابَا

الْمُتَقَابِلَةِ ؛ إِذَا ارْتَسَمَتْ فِي إِحْدَاهُمَا صُورَةُ مَهِرَتْ فِي الْأُخْرَى .

(٢٧)

الأضل :

امشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ .

\*\*\*

البنخ :

يقول : مهما وجدت سبيلاً إلى العبث على أمرٍ من الأمور أتى قد دُفعت إليها ،  
ومها مشقة عليك ، وصرر لاجئ بك ، فقم ولا تلمس طريقاً إلى تسير ما دعت إليه  
أن تسلكها بالشف ، ومُراعاة الوقت ، ومساواة الأقسية والأقدار ؛ ومثال ذلك  
من يعرض له مرض ما يُمكنه أن يحتمله ويدافع الوقت ، فإنه يحس عليه ألا يترجح حاشته  
إلى الأرض ، ويحلد إلى النوم على الفراش ، ليعالج ذلك المرض قوة وقهراً ؛ فرما  
أقصى به مقاهرة ذلك المرض الصغير بالأدوية إلى أن يصير كبيراً مُعجلاً .

(٢٨)

الأصل :

أَفْصَلُ الرُّغْدِ إِحْيَاهُ الرُّغْدِ .

\*\*\*

الشيخ :

إنما كان كذلك لأنَّ الحُفْرَ المأدَّةَ والزَّهَادَةَ والإِعْلَانِ بِذلكَ لئَلَّ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ غَالِطِهِ  
الزَّهَادِ ، وَهَذَا تَقَدَّمَ لَنَا فِي الرِّيَاءِ أَهْوَالُ مُبِينَةٍ .

رَأَى الْمَنْصُورُ رَحْلًا وَاقِفًا سَابَهُ ، فَخَذَلَ : مِثْلَ هَذَا الدَّرَمِ بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَأَنْتَ وَأَهْلُ  
بَابِنَا ! فَقَالَ الرِّبِيعُ : سَمِ ، لِأَنَّهُ صَرَبَ عَلَى عِبرِ السُّكَّةِ .

شاعر :

مَشَرْتُ أَنْتَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ      لِحَيَاةٍ يَشْفُهَا الْعِجْرَانُ  
عَمَرُوا مَوْضِعَ التَّمَنُّعِ مِنْهُمْ      وَمَكَانُ الْإِحْلَاصِ مِنْهُمْ حَرَابُ

(٢٩)

الأبْشَلُ :

إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ الْمَوْتِ وَ إِقْبَالِ ، مِمَّا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى !

\*\*\*

السَّيْرُ :

هَذَا ظَاهِرٌ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ كَلَمَةٍ جَاءَ فِي إِدْبَارِ ، وَالْمَوْتُ كَلَمَةً جَاءَ فِي إِقْبَالِ ،  
فَيَأْتِيهِمَا مَا يَنْتَعِيَانِ ! وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ إِدْبَارَهُ هُوَ وَهُوَ جَاءَ إِلَى الْمَوْتِ ، وَإِقْبَالُ الْمَوْتِ هُوَ بَوْتُهُ  
الْمَوْتِ إِلَى نَعْوِهِ ، فَقَدْ حَقَّ إِدْرَ الْإِلْتِقَاءِ سَرِيعًا ، وَمِثَالُ ذَلِكَ سَفِينَانِ بِدَحْلَةٍ أَوْ عِبْرَتَا ،  
نَصَدَّ إِحْدَاهُمَا ، وَالْأُخْرَى تَحْدِرُ نَعْوَهَا ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ الْإِلْتِقَاءَ يَكُونُ وَشِيكًَا .

(٣٠)

الأصل :

الحدَرُ الحَدَرُ ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَرَّ ، حَتَّى كَانَهُ قَدْ غَمَرَ .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم هذا المعنى وهو الاستنزاح الذي ذكرناه آيهاً .



وَاللهُ أَعْلَمُ

## (٣١)

## الأصل :

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ : الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٌ : عَلَى الْمَسْبَرِ ،  
وَالْيَقِينِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَادِ .

وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى الشَّوْقِ ، وَالشُّمُقِ ، وَالزُّهْدِ ، وَالْتَرَقُّبِ ؛  
فَمَنْ اشْتَقَى إِلَى الْخَلَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ ؛ وَمَنْ أَشْمَقَ مِنَ السَّارِ اخْتَبَتِ الْمُحَرَّمَاتُ ،  
وَمَنْ رَهَبَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَنَ بِالْمُعْصِيَاتِ ، وَمَنْ ارْتَفَعَ الْمَوْتُ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ .

وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى تَبَعِيرَةِ الْعِطْفَةِ ، وَتَأْوِيلِ الْحِكْمَةِ ، وَمَوْجِطَةِ  
الْمِيزَةِ ، وَسُيَةِ الْأَوَّلِينَ ، فَمَنْ تَبَعَّرَ فِي الْعِطْفَةِ ، تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ، وَمَنْ تَسَبَّتْ لَهُ  
الْحِكْمَةُ ، عَرَفَ الْمِيزَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ الْمِيزَةَ ، فَكُنَّا نَمَّا كَانِ فِي الْأَوَّلِينَ .

وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى عَائِصِ الْقَهْمِ ، وَعَوْرِ الْعِلْمِ ، وَزَهْرَةِ  
الْحِكْمِ ، وَرَسَاقَةِ الْجَلْمِ ، فَمَنْ قَهِمَ عَوْرَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ عِلِمَ عَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ  
عَنْ شَرِّ أَرْبَعِ الْجَلْمِ ، وَمَنْ حَلَمَ لَمْ يَهْرُطْ فِي أَمْرِهِ ، وَعَاشَ فِي السَّاسِ حَمِيدًا .

وَالْإِحْسَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ : عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،  
وَالصَّدْقِ فِي الْمَوَالِينِ ، وَشَسَانِ الْفَاسِقِينَ ؛ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْخَمَ أُنُوفَ الْمُنَافِقِينَ ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَالِينِ قَصَى مَا هَلَكِهِ ،  
وَمَنْ شَسَى الْفَاسِقِينَ وَعَصَبَ شَوْءٌ عَصَبَ اللَّهِ بِهِ وَأَرْخَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٍ : عَلَى التَّمَقُّرِ ، وَالتَّسَاوَعِ ، وَالزُّبْعِ ، وَالشَّغَايِ ؛  
فَمَنْ تَمَقَّقَ لَمْ يُبْسَ إِلَى الْحَقِّ ، وَمَنْ كَثُرَ رِأَاهُ بِالْخَلَلِ دَلَمَ مَهْمُهُ عَنِ الْحَقِّ ،

وَمَنْ رَاعَ سَاعَتَ عَهْدِهِ الْحَسَنَةَ ، وَحَصَنَتِ عَهْدَهُ السَّيِّئَةَ ، وَسَكَّرَ سُكْرَ الصَّلَاةِ ،  
وَمَنْ شَاقَّ وَعَمَّرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ ، وَأَقْصَرَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، وَشَاقَّ عَلَيْهِ مَحْرَمُهُ .

وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى اسْمَادِي ، وَالْهَوْلِ ، وَالزُّدْدِ ، وَالْإِسْنِاسَامِ ؟  
فَمَنْ حَلَّ الْيَمْرَأَ دَيْدَنًا لَمْ يُغْصِخْ لَيْلُهُ ، وَمَنْ هَلَّ مَا يَنْ بَدِيحٍ سَكَّسَ عَلَى عَقِيْبِهِ ،  
وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ ، وَطِئَتْهُ سَايِكُ الشَّيَاطِينِ ، وَمَنْ اسْتَفْتَلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا .

\*\*\*

قَدْ الرَّحِيْبُ رَحِمَهُ اللهُ نَعَالِي . وَمَنْ هَذَا كَلَامٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ خَوْفَ الْإِطْلَافِ  
وَأَحْرُوحَ عَنْ أَمْرٍ مَرَّصٍ الْمُتَقَصُّودِ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

\*\*\*

### البَّيْرُخُ :

من هذا الفصل أَحَدَتِ الصُّوفِيَّةُ وَأَصْحَبُ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ كَثِيرًا مِنْ هَوْنِهِمْ فِي  
عُلُومِهِمْ ؟ وَمَنْ تَأَمَّلَ كَلَامَ سَهْلِ بْنِ عَدْرِاقٍ نُسْتَرِيَّ وَكَلَامَ الْحَسَنِ وَالتَّسْرِيَّ وَغَيْرِهِمْ رَأَى  
هَذِهِ السَّكَاةَ فِي قَوْسِ كَلَامِهِمْ تَلُوحُ كَالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَةِ وَكُلُّ الْعَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الْمَذْكُورَةِ  
فِي هَذَا الْفَصْلِ قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُنَا فِيهَا .

\*\*\*

### [ تَبْدُ وَحِكَايَاتُ مَا وَقَعَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ ]

وَذَكَرَ هَاهُنَا الصَّنِيقُ فِي الْمَوَاطِنِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ ، وَمَنْ يَمَسَّبُ اللَّهُ ، وَيَنْهَى عَنِ  
النَّفْسِ ، وَيَقُومُ بِالْحَقِّ وَلَا يُبَالِ بِالْمَالِ وَالْمُلْكِ وَلَا يُرَاقِبُهُ .



دخل عمرُ بنُ عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه - وهو يومئذ وليُّ عهده - قد عقد له من بعده ، فحاضَ إنسانٌ يَطْبُ ميراثاً من بعض ساء الخلفاء ، فقال سليمان : ما إحال النساء يترقن في المقار شيثاً ، فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ! وأين كتابُ الله ! فقال سليمان : يا علام ، اذهب فأتني ببسحَ عبد الملك الذي كُتِبَ في ذلك ، فقال له عمر . لكأنك أرسلتَ إلى المصحف ! فقال أيوب بن سليمان : والله ليؤشكنَّ الرجل يشككم بمثل هذا عند أمير المؤمنين . فلا يشعر حتى يمارقه رأسه ؛ فقال عمر : إذا أفضى الأمرُ إليك وإلى أمثالك كن ما يدحُل على الإسلام أشدَّ مما يحشى عليكم من هذا القول ، ثم قام فخرج .

وروى إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن حمدي ، قال : كان عمرُ بن عبد العزيز يسيى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : منهم الخموس حتى يمدنوا توبةً ، فأتي سليمان بحروريةٍ مستقتل ، وعنده عمرُ بن عبد العزيز ، فقال سليمان للحرورية . ماذا تقول ؟ قال : ما أهول ما «سق يس اناسق ! فقال سليمان لعمر : ما ترى يا أبا حفص ؟ فسكت ، فقال : أقسمتُ عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ فقال : أرى أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أمك ، فقال سليمان : ليس ! لا ! قال : ليس ! لا ؛ فلم يرجع سليمان إلى قوله ، وأمر نضر بن عمرو الحروري .

وروى أبو قتية في كتاب « عيون الأحبار » قال : بينا المنصور يطوف ليلاً بالبيت سميع قائلاً يقول : اللهم إليك أشكو ظهور الثغى والفساد ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعو ، فقبل ركعتين ، وأستم الإكَّن ، وأقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذي سمعتك تقول من ظهور الثغى والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد خشوتُ مَسَامِي ما أُرْمِصُنِي <sup>(١)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أَمْنُنِي على غُصَي أَيْبَانِكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَسْوَطِهَا ، وَإِلَّا احْتَشَرْتُ مِنْكَ ، وَانْتَصَرْتُ عَلَى غُصَي عَلَى بِهَا شَاعِلٌ ؟ قَالَ : أَمْتُ آمَنْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَزِدْ : إِنَّ الَّذِي دَخَلَ الطَّمْعُ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِسْلَاحِ مَا ظَهَرَ مِنَ النُّعَى وَالْمَسَادِ لَأَمْتُ ، قَالَ : وَيُحَاكُّ ! وَكَيْفَ تَدْخُلُنِي الطَّمْعُ وَالصَّرَاءُ وَابْتِغَاءُ فِي مَقْصَدِي ، وَالْخَلْوُ وَاحْتِصَالِي عَدُوِّي ؟ قَالَ : وَهَلْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الطَّمْعِ مَا دَخَلَكَ ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَرَفَكَ النِّسْبَ وَأُمُورَهُ ، فَاعْتَمَدْتَ أُمُورَهُ ، وَاعْتَمَدْتَ بِمَجْمَعِ أُمُورِهِ ، وَحَدَّثَ بَيْتَكَ وَبَيْنَهُمْ خُجْبًا مِنَ الْحَصَنِ وَالْآخَرَةِ ، وَأَبَوَانِ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَخَصَّةٌ مِمَّنْ السَّلَاحِ ، ثُمَّ سَحَنَتْ نَفْسَكَ فِيهَا مِمَّنْ ، وَنَمَتْ عَمَّاكَ فِي حَيَاةِ الْأُمُورِ وَحِمْمِهَا ، فَتَوَقَّتَهُمُ بِالسَّلَاحِ وَالرَّحْلِ وَالسُّكْرَةِ ، وَأَمَرْتَ مَا لَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، مَرَّ بِحِمَّتِهِمْ ، وَلَمْ تَسِرْ بِإِحْصَالِ الْغُلُومِ وَالنُّبُوفِ ، وَلَا الْخَانِعِ وَالنَّبِيرِ ، وَلَا الصَّمْفِ وَالْمَارِي ، وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ لَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ ، فَسَارَ هَؤُلَاءِ الْمَرْءُ الَّذِينَ اسْتَحْلَسْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَآثَرَهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ ، وَأَمَرْتَ إِلَّا يُحْجَبُوا عَنْكَ ، يُحِبُّونَ الْأُمُورَ وَيَحْتَمِلُونَهَا وَيُحِبُّونَهَا ، وَقَالُوا : هَذَا رَحِلٌ قَدْ حَلَّ لِلَّهِ ، فَهَلَا لَا نَحْوَهُ ، وَقَدْ سَحَرْنَا فَاسْتَمَرُّوا عَلَى إِلَّا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ أَحْصَاءِ النَّاسِ شَيْءٌ . وَلَا مَا أَرَادُوا ، وَلَا يَمْرُجُ لَكَ طَائِلٌ فِيخَالِفَ أَمْرَهُمْ إِلَّا نَفْسُهُ <sup>(٢)</sup> عِنْدَكَ وَنَفْسُهُ أَسْوَاطٌ ، حَتَّى يَسْقُطَ مَرْكَلُهُ وَيَمُوتَ قَدْرُهُ . فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ أَعْطَاهُمُ أَسَاسُ دَهَانِهِمْ ، وَكُلُّ أَوَّلٍ مِنْ صَانَتِهِمْ عَمَّاكَ بِالْهَدَايَا وَالْأُمُورَ لِيَقَرُّوا بِهَا عَلَى ظِلِّ رِعْيَتِكَ ، ثُمَّ هَلْ ذَلِكَ دَوْرُ الْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رِعْيَتِكَ لِيَأْتُوا بِظِلِّ مَنْ دَوَّاهُمْ ، فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ اللَّهِ بِطَمْعِ نَبَا وَمَسَادٍ ، وَسَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ شُرَكَاءُكَ فِي سُلْطَنَتِكَ وَأَمْتُ غَافِلٌ ، وَهَبْتَ حَادَ مَطْلَمَ حَيْلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ

(١) ب : « أَمِصْ » ؛ وَالصُّوْبُ مَا نَبَتْ مِنْهُ ، دَوْعُونَ الْأَحْدَارِ .

(٢) عِيُونَ الْأَحْدَارِ : « نَفْسُهُ » أَيْ عَاقِبَتُهُ .

دارك، وإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وحدك وقد نهيت عن ذلك، ووقعت للناس رجلاً يظفر في مطالبهم، فإن حال المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب الظالم ألا يرفع إليك قصته، ولا يكشف لك حاله، فيحببهم خوفاً منك، فلا يزال الظالم يحتجب نحوه، ويلوذ به، ويستعيثُ إليه وهو يدفعه، ويمتلئ عليه، وإذا أُعيد وأُخرج، وظهرت أنت بعض شأنك صراح بين يديك، فيصرب صرباً مرةً ليكون كالالميرة، وأنت تنظر ولا تنكر، فإبقاء الإسلام على هذا!

وفقد كنت أيام شبتي أسامر إلى معين ففريشها مرةً وقد أميب مكيكها بسعته، فسكى بكاء شديداً، فجاءه<sup>(١)</sup> حساؤه على الفتر، فقال: أما إنى لست أبكى للثنية التالية، ولكن أبكى للظلم بالباب يصرح فلا اصمحُ صوته! ثم قال: أما إذ ذهب صمى فلن مصرى لم يدهب، فإذا في انداس ألا يلبس ثوبا آخر؟ ألا مطلوب<sup>(٢)</sup>، ثم كان يركب القيل طرقي بهاره ينظر هل يرى مطلوماً! فهذا مُشرك بالله علت رافته بالشركن على شح نفسه، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تحببك رافتك بالمسلمين على شح نفسك! فإن كنت إنما جتمع المال لوكدك فقد أراك لله آمالي غيراً في العمل يسقط من على أمه، ماله على الأرض مال، وما من مال يوشد إلا ودونه يد شحيحة نحويه، فلا يزال الله يلعطف بذلك العطل حتى تغطم رعدة الناس بيده، وست مائدى تغطي، ولكن الله يُعطى من يشاء ما يشاء. وإن قلت: إنما أجمع الناس لتشديد السلطان، فقد أراك لله غيراً في مبي أمية، ما أعنى عنهم ما أجمعوا من الذهب وفضة، وأعدوا من الرجال والسلاح والكرام حين أراد الله منهم ما أراد، وإن قلت: أجمع لمبال لطلب عاية هي أحسن من الغاية التي أنا فيها، والله ما فوق ما أنت فيه إلا مرة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه؛ انظر هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا، قال: فإن الملك الذى حوَّلك ما حوَّلك

لَا يُقَابِلُ مَنْ عَصَا بِاِقْتِلَ ، بِالْخُلُودِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ! وَقَدْ رَأَى مَا قَدْ عَقَدْتَ عَلَيْهِ قَلْسَكَ ،  
وَمَحَلَّتْهُ حَوَارِخُكَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ تَصَرُّكُ ، وَاحْتَرَحَّتْ يَدُكَ وَمَشَتْ إِلَيْهِ رَحْلُكَ . وَاطْطَرَّ هَلْ  
يُفِيضِي عَيْكَ مَا شَحَصَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِذَا تَرَعَهُ مِنْ بَيْتِكَ وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ عَلَى  
مَا مَنَحَكَ !

فَبَكَى الْمَصُورُ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُحَنَّنْ ! وَنَبَّحَ ! فَكَيْفَ احْتَسَلْتُ لِنَفْسِي ؟ قَالَ : إِنَّ  
لِلنَّاسِ أَعْلَامًا يَتَرَعَوْنَ إِلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ ، وَيَرَوْنَ قُوْلَهُمْ ، فَاحْتَمَلْتُمْ بِطَانَتِكَ يُرْشِدُوكَ ،  
وَشَاوَرْتُمْ فِي أُمُورِهِمْ نَدَدُوكَ ؟ قَالَ : هَذَا نَعْتُ إِلَيْهِمْ مَهْرُ بَوَائِي ، قَالَ : سَمِعْتُ ، حَاطُوا أَنْ  
تُحْمِلَهُمْ عَلَى طَرَفِيكَ ، وَكُنْ أَقْنَعُ بَانَتِكَ ، وَسَهِّلْ حِجَابَكَ ، وَاطْطَرَّ الطَّلُومُ ، وَاقْتَسَمَ  
أَعْلَامُهُ ، وَحَدَّ الْقَيْءُ . وَالصَّدَفَاتُ مِمَّا حَلَّ وَجَابَ ، وَأَقْبَمِيهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَنَا الصَّامِنُ  
عِنْدَهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ وَيُسْعِدُوكَ عَلَى صَلَاحِ الْأَلْفَتِ

وَأَعْلَامُهُمْ يَتَرَعَوْنَ إِلَيْهِمْ ، وَدَعَا الصَّلَاةَ ، فَتَقَامُ وَصَلَّى ، وَهَذَا هَلْ عَمَلُهُ ، فَطَلَبَ الرِّحْلَ  
فَلَمْ يُوْجَدْ <sup>(١)</sup> .

وَرَوَى أَيْ قُتِبَتْ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ أَنَّ تَحْمُورَ بْنَ عَابِدٍ قَالَ لِلْمَصُورِ : إِنَّ اللَّهَ  
أَعْطَاكَ الْآتِيَا نَاسِرَهَا ، فَاشْتَرِ بِفَسَاكَ مِنْهُ بِمَعْصَا ، وَأَذْكُرْ لَيْلَةَ تَتَمَحَضُ لَكَ صَبِيحَتُهَا عَنْ  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ : يَعْنِي لَيْلَةَ مَوْتِهِ . فَوَحَّمَ الْمَصُورُ ، فَقَالَ الرَّبِيعُ : حَسْبُكَ ، فَقَدْ كَفَيْتَ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ تَحْمُورُ بْنُ عَابِدٍ : إِنَّ هَذَا صَحَبَكَ عَشْرِينَ سَنَةً لَمْ يَرَ عَلَيْهِ أَنْ  
يَصْحَبَكَ يَوْمًا وَاحِدًا ، وَلَمْ يَمَلَّ وَرَاءَ بَانَتِ نَفْسِي ، مِمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سَنَةِ مَبْنِيهِ ! قَالَ  
أَبُو جَعْفَرٍ : فَمَا أَسْمَعُ ؟ قَدْ قُلْتَ لَكَ ؟ حَاتَمِي فِي بَيْتِكَ هَلْ أَتَيْتَ وَأَصْحَابَكَ فَأَكَلْتَنِي ، فَقَالَ  
عَمْرُو : دَعْنِي أَسْمَعُ لَكَ سَمْعًا نَافِعًا نَفَوِيكَ . وَسَارَتْ مَقَالِمُ كَثِيرَةٍ <sup>(٢)</sup> ، فَأَرَادَهَا نَعْمَ  
أَنَّكَ سَادِقٌ <sup>(٣)</sup> .

وقال ابن قتيبة في الكتاب المذكور : وقد قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك بنحو هذا ، قال له : إني مكلّمك ، أمر المؤمنين بكلام [ فيه بعض المغلطة ]<sup>(١)</sup> فاحتمله إن كرهته ، فإن وراه ما نحب ، قال : قل ، قال : إني سأطلق لساني بما خُرسَتْ عنه الألسن من أعطت ثأدة ليقول الله . ثك قد نكمتك رجل أساموا الاختيار لأصبرهم ، فابتاعوا دنياهم بديهم ، هم حرب الآخرة ، سنم الدنيا . فلا تأثمهم على ما أثمك الله عليه ، فإثمهم لم يألوا الأمانة نصيباً ، ولأمة حسد ، وأمت مشول عما احتزحوا ، وليسوا مشولين عما احتزحت ، فلا نصليح ذبهم بمسار آخرتك . فإن أعظم الناس عتناً من باع آخرته دنيا غيره . قال : هذا سبيل : أما أنت يا أعرابي ، فإنك قد سلّقت عليا عملاً لسانك ، وهو أنقطع سيّفك ؛ ففان : أحل ، فقد سلّته ، ولكن لك لا عليك<sup>(٢)</sup> .

(٣٢)

الأصل :

فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

\*\*\*

التبنيح :

قد نطقتُ أنا هذا اللمط واللمى ، فمت في حلقِ آياتِ لي :

خيرُ الصائغِ للإنسانِ مَسْكُومَةٌ      تَمِيحِي وَتَرَكُو إِذَا بَارَتْ لَمَعَانُهُ

والخيرُ خَيْرٌ وخيرٌ منه فاعِلُهُ      وشرٌّ شرٌّ وشرٌّ منه صائغُهُ

هنا غتت . كيف يكون فاعلُ الخيرِ خيراً من الخير ، وفاعلُ الشرِّ شراً من الشرِّ ، مع أنَّ فاعلَ الخيرِ إنما كان ممدوماً لأجلِ الخير ، وفاعلُ الشرِّ إنما كان ممدوماً لأجلِ الشرِّ ، فإذا كان الخيرُ وشرُّها سَدًّا الدَّحِ والدَّمِ - وهو الأصلُ في ذلك - فكيف يكون فاعلُها خيراً وشرُّها منها ؟

قلت : لأنَّ الخيرَ والشرَّ ليسا عبارة عن ذاتِ حيَّةٍ قادرة ، وإنما هما فعلان ، أو فعل وعدم فعل ، أو عَدَمٌ ، فلو قطعنا سطرَ عن نَدَاتِ الحَيَّةِ الفاذرة التي يَصْدُران عنها ، لما انتفع أحدُ بهما ولا استنصر ، فالتمع واضرر إنما حصلنا من الحيِّ انوصوف بهما لا منهما على انفرادهما ، فلهذا كان فاعلُ الخيرِ خيراً من الخير ، وفاعلُ الشرِّ شراً من الشرِّ .

(٣٣)

الأصل :

كُنْ مَنصَحًا ، وَلَا تَكُنْ مُدْرَرًا ، وَكُنْ مُدْرَرًا ؛ وَلَا تَكُنْ مُفْتَرًّا .

\*\*\*

الْبَرْخ :

كلُّ كلامٍ جاء في هذا فهو مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ جُنَيْكَ وَلَا تَمْسُكْهُمَا كُلَّهُمَا فَيَكْفُرُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ (١)

ومعنى قوله : ﴿ إِنَّ الْمُدْرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٢) .

(١) سورة الإسراء ٢٧ . (٢) سورة الإسراء ٢٩ .

(٣٤)

الأضد :

أَشْرَفُ النَّفْسِ ، تَرَكُ الْمَنَى .

\*\*\*

الْبُشْع :

قد سبق منا قول كثير في النُصْب ، ويدكرها ما لم يدكره هناك .

سئل فبيد الله بن أبي بكر : أى شيء أَدْوَمُ مَنَاء ؟ فقال : الْمَنَى .

وقال بلال بن أبي ربيعة : مَا يُسْرَى سَعْبِي مِنَ الْمَنَى مُعَرَّ السَّم .

وكل يقال : الْأَمَانُ لِلنَّعْسِ كَلَرُؤُنِي لِنَصْر .

ومن كلام ربيع الحكماء : الْأَمَانُ نَمِيضُ أَعْيُنِ الْبِعَازِ ، وَالْحَطُّ يَأْتِي مِنَ لَا يَأْتِيهِ ،  
وربما كان الطمع وراء حشوه التآلف ، وسائت يدمو إلى الدامة ، وأشقى الناس بالسَّطْلَانِ  
صاحبه ؛ كما أن أقرب الأشياء إلى النار أَسْرَعُهَا إِخْرَاقًا ، وَلَا يُدْرِكُ النَّفْسُ بِالسَّطْلَانِ  
إِلَّا نَفْسٌ حَاطَّةٌ ، وَحَسْمٌ نَمِيضٌ ، وَدِينٌ مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الْبَحْرُ كَدِيرَ الْمَاءِ ، فَهُوَ بِمَعِيدِ  
الْهَوَاءِ .



(٣٥)

الأفضل :

مَنْ أَمْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ ، أَوْ أَرَادَ مَا لَا يَمْتَنُونَ .

\*\*\*

الشرح :

هذا المعنى كثير واسع ، وسنقتصر ههنا فيه على حكاية ذكرها المرء في " الكامل " .

\*\*\*

[ في مجلس قبة بن مسلم الباهلي . ]

قال : ما فتح قبة بن مسلم سمع قد ألقى<sup>(١)</sup> إلى أئمة لم ير مثله<sup>(٢)</sup> ، وإلى آلات لم ير مثله . فأراد أن يرى الناس عظيم ما أعم الله به عليه ، ويعرفهم أقدار اليوم الذين طهر عليهم ، فأمر بداري هضمت وفي صحبها قدور يرتقى بها ما سلا لم ، فإذا الخصبين ابن المديح بن الحارث بن زائدة الرافضي قد أفل والناس جلوس على مراتبهم ، والخصبين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قبة : أئمة في ممانته ، قل : لا ترد له لأنه خبيث الخواب ؟ فابن عبد الله : لا أن يأذن له . وكل عبد الله يصصف ، وقد كان تسود حائطه إلى امرأة قل ذلك . فأفل على الخصبين ، فقال : أمن ادب دخلت يا أماه ساسان ؟

(١) ألقى ؟ أي اتبع وصار عريضا . (٢) الكامل : « مثله » .

قال: أحل، أسنٌ مثك عن تسوّر الحبيب . قال: أرايت هذه القدور؟ قال: هي أعظم من ألا ترى؟ قال: ما أحسب مكرى واثراً رأى مثبها، قال: أحل، ولا قيلان، ولو كان رأها متى شبعان، ولم يسم قيلان، قال له صدق الله: يا أبا ساسان أنعرف الله يقول:

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَحَرَّ حُصَاها تَحْتَى مَنْ نَحَالِيهِ<sup>(١)</sup>

قال: أحل أعرفه، وأعرف الله يقول:

بَأَذَى الْقَرَمِ قَدْ سَى فَشَحَرِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أُسْرَى كَلَابِ  
وَحِيَّةٍ مِنْ يَحْيَى عَلَى عَيْمٍ وَبَاهِلَةٍ بِنِ يَمْعُرِ وَالزَّكَلِ

يرد: يا حية من يحيى قال: أنعرف الله يقول:

كَانَ صِاحُ الْأَرْدِ حَوْلَ أَبِي مِيسَمٍ إِذَا عَرِفْتَ أَمْوَالَهُ مَكْرَى وَائِلٍ

قال: نعم أعرفه وأعرف الله يقول:

قَوْمٌ قَتِيئَةٌ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قَتِيئَةٌ اسْتَحْوَى مَحَلُّ

قال: أما الشعر فأراك ترؤيه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: أفراعه الأكثر

الأطيب: ﴿ هَؤُلَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مذكوراً ﴾<sup>(٢)</sup>

فأعصه، فقال: والله لقد علمت أن امرأة الحصين حُجِلَتْ إليه وهي حُلِي من غيره .

(١) هو حارثة بن بدر - رغبة الأمل .

(٢) سورة الإنسان ١ .

قال : فاستمررتك الشيخُ عن هيبته الأولى ، ثم قال على رسله ، وما يكون ! نلذ غلاما على فرائس ، فيقال : فلانُ ابنُ الحُصَيْن ، كما يدل : عبدُ الله بنُ مسلم . فأقبل فتبَّعهُ على عهد الله وقال : لا يبعد الله غيرك !

قلت : هو الحُصَيْن بالصاد المعجمة ، وليس في العرب من اسمه « الحُصَيْن » بالضاد المعجمة غيره<sup>(١)</sup> .

---

(١) الكامل ٣ : ١٣٠ ، ١٤٤ ؛ قال أبو العباس : « حصين بن النضر بن الحارث بن وعلج . وكان الحُصَيْن يده لواء على بن أبي طالب رحمه الله على ربيعة ؟ وله يقول القائل :  
لِمَنْ رَايَهُ سَوْدَاهُ يَحْفَقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُصَيْنٌ تَقْدَمَا

(٣٦)

الأمس :

مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ ، أَسَاءَ الْعَمَلَ .

\*\*\*

الْبُخ :

قد تقدم منا كلامٌ في الأمل .

وقيل لبعض الصالحين : ألك حاجةٌ إلى بعداد ؟ قال : ما أحتـ أن أبسط أُملي

حتى تذهب إلى بعداد وتعود .

وقال أبو عبيد الله الهذلي : قد أنت على ثلاثون ومائة سنة ؛ ما من شيء إلا وأُحدِثه

التقص إلا أُملي ، فإني وجدته كما هو أو يزيد .

(٣٧)

الأضل :

وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام وهاقب الأبار فترحلوا له

واشتدوا بين يديه :

مَا هَذَا الَّذِي صَعْتُمُوهُ ؟ فَقَالُوا : خُنُّنَا بِمَا نَعْتَمُّ بِهِ أَمْرَاءًا ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ  
مَا يَنْتَفِعُ بِهِدَ أَمْرَاؤُكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَتَشْفُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَشْفُونَ بِهِ  
فِي آخِرَاتِكُمْ ؛ وَمَا أَحْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَأَاهَا يُقَابُ ، وَأَرْسَعَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ !

\*\*\*

الْبَشْرُح :

اشتدوا بين يديه : أسرعوا شيئاً ، فهم من ذلك وقال : إنكم تشفون به على أنفسكم  
لما فيه من تمك الأعداء . وتشفون به في آخرتكم : تحصنون للولاء ، كما دعمتم أمه خلق  
وعادة لكم ؛ حصوعاً تطلعون به الدنيا واسأفم الحاجة فيها ، وكل حصوع وتبدل لغير الله  
فهو معصية .

ثم ذكر أن الحسرات البين مشقة عاجبه ينتمها عذاب الآخرة والريح البين دعة عاجلة  
ينتمها الأمان من النار .

(٣٨)

الأصل :

قال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام :

يَا سَيِّدِي احْصِ عَنِّي أَرْثَمًا وَأَرْثَمًا ؛ لَا يَصْرُكَ مَا مَحَلَّتْ مَعْنَى : إِنِّي أَعْنَى أَيْسَى الْعَقْلُ ،  
وَأَكْثَرَ الْمَقَرِّ انْتَعَنُ ، وَأَوْحَشَى أَوْحَشِي الْمَحْضُ ، وَأَكْرَمَ أَحْسَبِ حُسْنُ الْخَلْقِ  
يَا سَيِّدِي إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ الْأَخْفَرِ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْنَعَكَ فَيَصْرُكَ ، وَإِيَّاكَ  
وَمُصَادَقَةُ النَّجِيلِ ، فَإِنَّهُ يُنْعِدُ عَمَّا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ  
الْفَارِجِ ، فَإِنَّهُ يَتَيْمُكَ بِإِسْنَادِهِ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّهُ كَالْمُرَابِ يُفْرَقُ  
عَلَيْكَ النِّجْدَ ، وَيُجْعَدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ .

\*\*\*

الشرح :

هذا الفصل يتضمن ذكر أسطر وأحق ، والعجب وحسن الخلق ، والنخل والعجور ،  
والكذب ، وقد تقدم كلامنا في هذه الفصل أجمع ، وقد أخذت قوله عليه السلام :

« إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةُ الْأَخْفَرِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْنَعَكَ فَيَصْرُكَ » فقلت في آياتي :

حَيْثُكَ لَا تَصْجَبُ الْمَهُولَ	فَلَا حَيْرَ فِي صَحْبَةِ الْأَخْفَرِ
يَطْنُ أَحْوَجَ الْمَهْلُ أَنْ الصَّلَا	لَنْ عَيْنُ الزَّنَادِ فَلَا يَتَّقِي
وَيَكْسَبُ صَاحِبَهُ حَقَّهُ	فَيَسْرِقُ مِنْهُ وَلَا يُسْرِقُ <sup>(١)</sup>
وَأَقِيمِ أَرْثَمَ الْعَدُوِّ الْمَلِيءِ	مَا حَيْرٌ مِنَ الشَّقِيقِ الْأَخْفَرِ

(٢٩)

الأصل :

لَا قُرْبَةَ لِلْوَاقِلِ إِذَا أَصْرَتْ بِالْفَرَائِضِ .

\*\*\*

الْبَيِّنُ :

هذا الكلام يُمكن أن يُحمَّلَ على حقيقته ، ويَكُنَّ أن يُحمَّلَ على نَحْوِهِ ، فَبِئْسَ حُجْلٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ مَدَّ دَهَبٍ إِلَى هَذَا الدَّهَبِ كَثِيرٌ مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ مَدَّ يَدَيْهِ الْإِيمَانِيَّةَ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ السُّعْلُ مِمَّنْ عَلَيْهِ فَسَادٌ فَرِيضَةٌ فَكَيْفَ لَا فِي الْمَسْلُوكَةِ وَلَا فِي عَمَلِهَا ، فَأَمَّا الْحَاجُّ فَتَمَتَّقَ عَلَيْهِ بَيْنَ السُّلَمِينَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِسْتِدَاءُ سَعْلُهُ ، وَإِذَا وَجَّهَتْ يَدُهُ الدَّوْلَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ حَسَّ حَقِّقَةُ الْإِسْلَامِ وَقَعَ حُجَّتُهُ فَرَمًا ، فَأَمَّا نَوَاحِلُ الرُّكَاةِ فَاعْرِفْتُ أَحَدًا قَالَ : إِنَّهُ لَا ثَابِتَ التَّنَصُّقِ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُوَدَّ الرُّكَاةُ الْوَاحِدَةَ . وَأَمَّا إِذَا حُجِّلَ عَلَى نَحْوِهِ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ يَحِبُّ الْإِبْتِدَاءَ بِالْأَهَمِّ وَتَقْدِيرُهُ عَلَى مَا لَيْسَ بِأَهَمِّ ، فَتَدْحُلُ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْإِحْوَانِيَّةِ ، نَحْوُ أَنْ تَقُولَ لِمَنْ تُؤَيِّسُهُ . لَا تَبْسُدْ بِمُحْدَمَةِ حَاحِ الْمَلِكِ قُلْ أَنْ تَسُدَّ بِمُحْدَمَةِ وَلَدِ الْمَلِكِ ، فَإِنَّكَ إِذَا رَوَّيْتَ الرُّكَّةَ لِلْمَلِكِ بِالْحِلْمَةِ ، وَلَا قُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي تَأْخِيرِ خِدْمَتِهِ وَلَدَهُ وَتَقْدِيرِ حِدْمَةِ عَلَيْهِ ؛ وَتَحُلُّ السَّكْمَةُ عَلَى حَقِيقَتِهَا أَوَّلَى ، لِأَنَّ أَهْمِيَّتَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ فِي وَمَنَابِهِ وَمَشُورِ كَلَامِهِ أُعْظِمُ .

(٤٠)

الأصل :

لِسَانُ الدَّيْقِلِ ذَرَاءُ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ ذَرَاءُ لِسَانِهِ .

\*\*\*

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَعَدَا مِنَ الْمَدَائِنِ الْمُحْصِيَةِ أَشْرَبَعَةً ، وَتُرَادُّ بِهِ أَنَّ الدَّيْقِلَ لَا يُطْبِقُ لِسَانَهُ إِلَّا مَعَ  
مُشَاوَرَةِ الرُّؤْيَةِ ، وَمُؤَامَرَةِ الْفِكْرِ ، وَالْأَحْمَقُ سَبِيحُ خَدَّيْهِ لِسَانُهُ ، وَفِدَتَاتُ كَلَامِهِ  
مُرَاحِمَةُ فِكْرِهِ ، وَكَمَا حَمَّهَ دَأْبُهُ ، فَكَأَنَّ لِسَانَ الدَّيْقِلِ تَابِعُ أَهْوَاهِهِ ، وَكُلُّ قَلْبِ  
الْأَحْمَقِ نَاعِجٌ لِّلسَانِ .

قَالَ - وَقَدْ رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْمَثَلُ بِمَعْنَى مَعْبُودٍ آخَرَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « قَلْبُ  
الْأَحْمَقِ فِي يَدَيْهِ ، وَلِسَانُ الدَّيْقِلِ فِي قَلْبِهِ » وَمِثْلَاهُمَا وَاحِدٌ .

\*\*\*

الشرح :

فَدَقْدَمَ الْقَوْلُ فِي الْمَثَلِ وَالْحَقُّ ، وَتَذَكَّرَ هَاهُنَا بِإِدَاتٍ أُخْرَى .

\*\*\*

[ أقوال وحكايات حول الحمق ]

قَالُوا : كُلُّ شَيْءٍ يَمُرُّ إِذَا قَلَّ ، وَالْمَثَلُ كَمَا كَانَ أَكْثَرَ كَانَ أَعْرَ وَأَعْلَى .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ : أَنَا لَمَّا قَلَّ سَدِّدُ رَأْيِي لِلْأَحْمَقِ الْقَلِيلِ .

فَقِيلَ لَهُمْ : مَا يَجْعَلُ الْقَلِيلَ ؟ هَذَا : مَا رَأَيْتُهُ مَحْتَمِلًا فِي أَحَدٍ فَأَسِيقَهُ ، وَمَا لَا يُوْجِدُ

كَمَالًا وَلَا حَدًّا لَهُ .



وقال الزهري : إذا أنكرت عقلك فقد حجه بما قل .

وقيل : عظم الثبوت في ما قل متجاهل ، وجاهل متماثل .

وقيل : الأحق يتحطم من كل شيء إلا من نفسه .

وقيل لبعضهم : المقل أفضل أم الخلد ؟ فقال : العقل من الخلد .

وحط رجلان إلى ديمائوس الحكيم استه ، وكان أحدهما فقيرا والآخر غنيا ، فروحها من الفقير ، فسأله الإسكندر عن ذلك ، فقال : لأنّ اسمي كان أحق ، فكنت أحل عليه اسقرا ، والفقير كان عقلا ، فرحوت له النقي .

وقال أرسطو : الماقل يوافق الماقل ، والأحق لا يوافق الماقل ، ولا أحق كالنمود المستقيم الذي يتعلق على المستقيم ؛ فأما الموح فإنه لا يطق على الموح ولا على المستقيم .

وقال بعضهم : لأنّ أراول أحقّ أحد<sup>١</sup> إلى من أراول نصف أحق - أمي الجاهل المتماثل .

\*\*\*

واعلم أن أخبار الحق ونواذيرهم كثيرة ، لا أما ذكر منها ها هنا ما يليق بكتابنا ، فإنه كتاب نزهة عن الخلاعة<sup>٢</sup> والفحش إجلالا لمصير أمير المؤمنين .

قال هشام بن عبد الملك يوما لأصحابه : إن حقّ الرجل يُدرّم بمخضال أربع : طول رجليته ، وبشاعة كنيته ، ونقص خاتمه ، وإفراط نهيمته . فدخل عليه شيخ طويل العنقون ، فقال هشام : أما هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين هو من الباقي ؟ قالوا له : ما كنية الشيخ ؟ قال : أبو الياقوت ، فسألوه عن نقص خاتمه ، فإذا هو :

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾<sup>(١)</sup> فقيل له : أى العلم تستعني ؟ قال : الدنيا<sup>(٢)</sup>

بالزيت ؟ فقال هشام : إن صاحبكم قد كمل

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادي بحر : يا أبا العزري ؟ فقال : لو كان له عقل  
لكنفاه أحدهما .

وأرسل ابن الجعل بن الحليم<sup>(٣)</sup> رسالة في حنة ، طهارة ، ففيل له : سمعته باسم  
يعرف به ، فقام فلقا عينه وقال : قد صحت الأعور ، فقال شاعر يهجوهم :

رمتني سو عجل سداً أبيض  
وأى ساد الله أنوك من عجل !

أليس أبوه عار عین حوايه فاصحت به الأمثال فصرّب بالجلد

وقال أبو كعب انفاص في قصصه : بن النسي صلى الله عليه وآله قال في كيد حرة  
ما علمت ، فادعوا الله أن يطعننا من كيد حرة !

وهل مره في قصصه : اسم اللب الذي أكن يوسف كدا وكدا ، ففيل له : إن  
يوسف لم يأكله اللب ؟ قال : هذا اسم اللب الذي يأكل يوسف .

ودخل كعب النحر الهاشمي على محمد بن عبد الله بن مظهر يبريه في أخيه ، فقال له :  
أعظم الله مُصيبة الأمير ! فقال الأمير : أت فيك صد قتل ، والله لقد همت أن أحرق  
لحيّتك ؟ قال : إنما هي لحية الله ولحية الأمير فيمسل ما أحب .

وكان عامر بن كزير أبو عبد الله بن عامر ، من حنفي قرش ، نظر إلى عبد الله وهو  
يخطب والبأس يستحسنون كلامه ، فقال لإسار بن حاربه . أأ أرحته من هذا وأشار  
إلى متاعه .

(١) سورة يوسف ١٨ . (٢) انباء : الفرع .

(٣) ورد الاسم عرقاً في أ ب . وأصله من د والفتد ٦ : ١٥٦ .

ومن حَتَمَى قُرَيْشَ الْعَاصِمُ بْنُ هِثَمٍ عُرُومِيَّ ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَاتِلَهُ فَتَمَرَهُ مَالَهُ ثُمَّ دَارَهُ ، ثُمَّ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَأَهْلَهُ وَنِسَهُ ، فَتَحَدَّه عِدَا ، وَأَسْلَمَهُ قَبِيلًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ نَذْرِ نَعَثَ بِهِ نَذِيرًا عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَتِلَ يَذَرُ ، فَتَبَّهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ أَبُو عَمٍّ أُمَةً .

وَمِنْ الْخَلْقِ الْأَحْوَصِ بْنُ حَمْرٍ بْنِ عُمَرُ بْنُ حُرَيْثٍ ، قَالَ لَهُ يَوْمًا عَالِسُوه . مَا بَالُ وَجْهِكَ أَصْفَرُ ! أَتَشْتَكِي شَيْئًا ؟ فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا سَيِّدَ الْخَلِيَّةِ ، أَنَا شَاكٍ وَلَا تَعْلَمُونَنِي ! اطْرَحُوا عَلَيَّ الْثِيَابَ وَأَمْسُوا إِلَيَّ الطَّيِّبَ .

وَمِنْ حَتَمَى بَنِي عَجَلٍ حَسَّاسُ بْنُ الْعَمَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَرِثَ نَصَبَ دَارِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : أَرِيدُ أَنْ أَبِيعَ حَتَمِي مِنْ الدُّلَا ، وَأَشْتَرِيَ بِالْثَمَنِ النِّصْفَ أَبَاقًا ، فَتَصْبِرَ الدُّلَا كُلُّهَا لِي .

وَمِنْ حَتَمَى قُرَيْشٍ نَكَارُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسَاءُ أَنْ يُجَالِسَ خَلْدَةَ ابْنَ زَيْدٍ بْنِ صَافِيَةَ لِمَا يُعْرِفُ مِنْ نَحْوِهِ ، فَجَسَّ يَوْمًا إِلَى خَلْدَةَ ، فَقَالَ خَلْدَةُ بَعَثَ بِهِ : هَذَا وَاللَّهِ الرَّدْدُ فِي بَنِي عَبْدِ مَنَاظَ ، فَخَالَ نَكَارُ : أَحَرُّ ، أَنَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

• مَرَدَّدٌ فِي بَنِي اللَّجْنَاءِ تَرَدِيدًا •

وَمَارَ لِسْكَارُ هَذَا بَارِي ، فَكَانَ لِصَاحِبِ الشَّرْطَةِ : أَعْلَى أَوْبَابِ دِمَشْقَ لِلْأَسْلَافِ بِحَرَجِ الْبَارِي .

وَمِنْ حَتَمَى قُرَيْشٍ صَافِيَةُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، يَسَاءُ هُوَ وَاقِفٌ بِبَابِ دِمَشْقَ يَتَطَرَّعُ أَغَاةَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى بَابِ طَلْحَانَ ، وَرِحَارُ الْعَصَّانِ يَدُورُ بِالرَّحَا فِي عَقْبِهِ خُلْجُلٌ ، فَقَالَ لَطَلْحَانِ : لِمَ حَمَلْتَ فِي عَصِيٍّ هَذَا الْحَارَ خُلْجُلًا ؟ فَقَالَ : رَبِّمَا أَدْرَكْتَنِي أَمْسَةً أَوْ سَامَةً ، فَإِذَا لَمْ أَتَمَّعْ صَوْتَ الْخُلْجُلِ عَلَتْ أُمُّهُ قَدْ نَامَ ، فَصِيحْتُ بِهِ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَهُ إِنْ قَامَ وَحَرَكَ رَأْسَهُ ، مَا عَلِمْتُكَ بِهِ أَنَّهُ قَائِمٌ ؟ فَقَالَ : وَمَنْ لِعِمَارِي مِثْلَ عَقْلِ الْأَمِيرِ !

وقال معاوية لخميه وقد دحر بأخته تلك الأميلة فاحصمها : لقد ملأنا ابتك البارحة  
حماً ؟ فقال : إنها من نسوة يمحان ذلك لأرواحهن .

ومن حنفي فريش سليمان بن يزيد بن عبد الله ، قال يوما : لعن الله الوليد أحمى !  
فلقد كان فاحرا ، أرادني على العاحنة ، فذل به فذل من أهله ، اسكت ويحك ، فوافقه  
بن كل هم لقد قتل !

وحط سعيد بن الماص عائشة عمار ، فذلت . هو أحمى ، لا أروحه أبدا ، له  
رؤوفان لو هما واحد عبد الماص ، ويحول مؤنة اثنين .

ومن كل يحنى من فريش غنم بن أبي سفيان بن حرب وعبد الله بن معاوية  
ابن أبي سفيان وعبد الله بن قيس بن نخزومة بن المطلب وسهل بن عمرو أخو سهيل  
ابن عمرو بن الماص . وكان عبد الملك بن مروان يقول : أحمى بنتي فريش آل قيس  
ابن نخزومة .

ومن القائل المشهور بالحنى الأزد ، كتب رسالة بن عبد الله إلى يزيد  
ابن المهدي لما حرج عليهم : إنك ست تصاحب هذا الأمر ، إن صاحبه مشهور موتور ،  
وأنت مشهور غير موتور . فقام إليه رجل من الأزد ، فقال : قد امسك تحمدا حتى تقتل  
فقصير موتورا .

وقام رجل من الأزد إلى عبد الله بن زهد فقال : أصح الله الأمر ! إن امرأتني  
هلكت ، وقد أردت أن أتزوج أمها ، وهذا غريب فاعسى في امتداف . فقال : في كم  
أنت من العطاء ؟ فقال : في سبعة ؟ قال : خلوا من عطاءه أربعمائة ، يكفيك ثلاثمائة .  
ومدح رجل منهم المهدي فقال :

نم أسير الرقصة الهدي أبيض وصاح كتبت الحلف

فقال الهذلي: حَسْبُكَ يَرْحَمَكَ اللهُ !

وكان عبدُ الملك بنُ هلالٍ عبده رُشيداً<sup>(١)</sup> مملوءاً حملاً للتَّسْبِيحِ ، فكان يَسْبُحُ بواحدة واحدة ، فإذا مَلَ طَرَحَ أُمْتَيْنِ أُمْتَيْنِ ، ثم ثلاثة ثلاثاً ، فإذا أُرْدَادَ مَلَأَهُ فَكَضَ قُبْصَةً وَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ عَدَدُكَ ! فإذا ضَجِرَ أَحَدُ ثَمَرَا الرُّشِيدِ وَقَتَّلَهُ ، وقال : سبحان الله بعدد هذا .

ودخل قومٌ منزلَ الحُرَيْثِيِّ ليمسوا الأُمرءَ ، فأتوا وقتُ صلاةِ الظهر ، فسألوه عن القِئْلَةِ ، فقال : إِنَّمَا تَرَكْتُهَا مِنْذُ شَهْرٍ .

وحكى بعضهم ، قال : رأيت أعرابياً يَسْكِي ، فدأله عن سب مكائنه ، فقال : بلقي أنْ حَاتَتْ قَتْلَ مَعْلُومَا .

وَصَفَ بِمُضْمِهِمْ أَحَقُّ ، فقال : يَسْمَعُ عَمَّ مَا يَقُولُ ، وَتَحْفَظُ عَمَّ مَا يَسْمَعُ ، وَيَكْتُمُ غَيْرَ مَا يَحْفَظُ ، وَيُحَدِّثُ بِغَيْرِ مَا يَكْتُمُ .

قال الثَّامِنُ لثَمَامَةَ : مَا جَهِدَ السَّلَاةَ يَا أَبَا مَعْنٍ ؟ قال : عَالِمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ حَاهِلٍ . قال : مِنْ أَيْنَ قُلْتَ هَذَا ؟ قال : حَسَنِي لِرُشِيدٍ عَدِ مَسْرُورٍ الْكَبِيرِ ، فَصَبَّقْتُ عَلَى أَعْيُنِي ، فَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَقْرَأُ : ﴿ وَابِلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَدِّينِ ﴾<sup>(٢)</sup> بِمَتَحِ الدَّالِّ ؛ فقلت له : لَا تَقُلْ أَيْهَا الْأَمِيرُ هَكَذَا ، قُلْ : ﴿ لِلْمُكَدِّينِ ﴾ ، وَكَرِهْتُ لَهُ الدَّالَّ ، لِأَنَّ الْمُكَدِّينَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، هَذَا قَدْ كَانَ يُقَالُ لِي عَنْكَ : إِنَّكَ قَدَرِي ، فَلَا يَحُوتُ هُنَّ يَحُوتُ اللَّيْلَةُ مَتَى ! فَمَا يَتُّ مِنْهُ تَعَكُّ اللَّيْلَةِ الْمَوْتَ مِنْ شِدَّةِ مَا عَذَّبَنِي .

قال أعرابيٌّ لَأَسَةِ : يَا بَنِي كُنْ سَمًا حَنْصًا ، أَوْ دَنًا حَانَسًا<sup>(٣)</sup> ، أَوْ كَلْبًا حَارِسًا ، وَلَا تَكُنْ أَحَقَّ نَاقِصًا .

(١) الرُّشِيدُ ، بِالْكَسْرِ وَفَدٍ بِمَتَحِ : الْقَهْرُ أَوْ الْجَبَابُ أَوْ الرِّجَالُ .

(٢) سورة المزلت ١٩ . (٣) يَدٌ ؛ يَحُوسُ الْقَدَبُ الْهَمَّ ؛ أَيْ تَضَلُّهَا وَيَعْرِفُهَا .

وكل يقال : لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نورُ انصواب .

وقال أبو سعيد السمرائي : رأيتُ متكلِّماً بمدادِ بلع به نفسه في العريضة أنه قال في مجلس مشهور : إنَّ أصدق « مضطرب » متعاطف ، والله « مضطرب » تكسرهما ؛ ودعم أنَّ من قال : « الله مضطربٌ عبدٌ إلى كذا » ، « متعاطفٌ كافر » ، « نظر أين بلغ به جهله » ، وإلى أيَّ رذيلة أداه نفسه !

وصف بعضهم بساماً أحقَّ ، قال . والله للحكمة أولٌ عن قلبه من المداد عن الأديم الذهبي .

مرَّ عمرُ بنُ الخطاب على رُمادةٍ غرس ، فسمعَ منهم يقول : أخطيتُ وأستُ ، فقال له : مه ، فإنَّ سوءَ اللحنِ شرٌّ من سوءِ الرَّمَايةِ .

نصَحَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز من كلام رجل من بني ، فقال له صاحبُ شرطته : هم قد أوديتَ أميرَ المؤمنين ! فقال عمر : والله إنَّك لأشدُّ أدنى في كلامك هذا منه .

ومن حَقَّقِي العربَ وحُملانهم كلابُ بنِ صمصمة ، حرجَ حوثه يشترُونَ خَيْلاً ، حرجَ منهم ، فجاءَ يَحْمِلُ بقوده ، فقيلَ له : ما هذا ؟ فقال : فرسٌ أَشْتَرَيْتُهُ ؛ فُلُّوا ؛ بِإِتِّاقٍ<sup>(١)</sup> ؛ هذه غرة ، أما ترى فرسَها ! فرجعَ إلى ممرِّه ففَقَّعَ قَرْنَيْهَا ، ثمَّ فادها ، فقال لهم : قد أعدتُها فرساً كما تريدون ، فأولادُه يُدْعَوْنَ سِي هارس السَّوَرِ .

وكانَ شَدَّةُ بنُ زُرَّارٍ في تدوُّر من خُفْقٍ ، جاءَ يومَ الجمعةِ إلى المسجدِ الجامعِ فأحدَّ بِعَصَا<sup>(٢)</sup> الباب ، ثمَّ رجعَ صوتهُ : سلامٌ عليكم ، أَيْلَحُ شَدَّةُ ؟ فقيلَ له : هذا يومٌ لا يُسْتَأَدَّنُ فيه ، فقال : أو يَلِجُ رِثْلِي على قومٍ ومِ بَرْكٍ له مكانه .

(١) اللاتق الأعمى .

(٢) عصاه الباب : حشيتاه من حاييه .

واستعمل معاويةُ عسلاً من كُتَب ، وحَطَبَ يوماً ، فدَكَرَ المحوسَّ ، فقال : لَسَمَهُمُ اللهُ ! يَسْكُحُونَ أُمَّهَاتِهِمْ ، واللهِ لو أُعْصِيَتْ عَشْرَةُ أَلَمَدِ دِرْهَمٍ مَا سَكَحْتُ أُمَّي ، صلح ذلك معاوية ، فقال : فَجَّهَ اللهُ ! أَرَوْنَهُ لَوْ رَدَّوهُ قَمَل ! وعَرَّه .

وشرَّدَ نَعِيرُ أَهْمَقَةٍ - واسمُه بَزِيدُ بْنُ شَرْوَانَ - فجعل بُيَادِي : لمن أتى به بِمَيْرَانَ ، فقيل له : كيف سَدَلُ وَبُطْكُ نَعِيرَيْنِ فِي نَعِيرٍ ! هل تَخْلَاوَةُ الْوُجْدَانِ

وَمُسْرِقٌ مِنْ أَعْرَابِيٍّ حِمَارٌ ، فقيل له : أَسْرِقِي حِمَارَكَ ؟ قال : نَعَمْ ، وأحمدُ اللهُ ، فقيل له : على ماذا تَحْمَدُهُ ؟ قال : كيف ! لم أَكُنْ عليه .

وحَطَبَ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُوْدٍ<sup>(١)</sup> عُمُرَاسَ ، هال : إِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فقيل له : إِنَّمَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ ، فقال : وَفَعَلَ لَقَدْ قَلْبُهَا وَأَمَّا اسْتَيْقَظَهَا وَأُخْرِبَتْ حِيلٌ فَطَمَعُهَا مَرَسَ سَابِيٍّ ، جعل رجلٌ من السَّطَّارَةِ يَسْكُرُ وَيَنْبُ من الدَّرَّاحِ ، هال له رجلٌ إِلَى حَانِهِ : يَا بَنِي ، أَلَيْسَ الْفَرَسُ السَّاقِ لَكَ ؟ قال : لَا وَلَكِنْ الْإِتْعَامُ لِي .

وقيل لِأَبِي السَّمَّاحِ الْأَعْرَابِيِّ عَمْدَ مَوْتِهِ : دُخِرَ ، هال : إِنَّا الْكَرَامُ يَوْمَ حِلْيَةِ<sup>(٢)</sup> ، قالوا : هَلْ حَبْرٌ مَا أَبَا السَّمَّاحِ ، قال : إِنْ أَحْبَبْتَ أَمْرَانِي فَأَعْطُوهُمَا بَدِيرًا ، قالوا : هَلْ حَبْرٌ ، قال : إِذَا مَاتَ عَلَايَ فَهُوَ حَبْرٌ .

وقيل لرجل عَمْدَ مَوْتِهِ : مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَعَرَّصَ ، فَعَارَوْا عَلَيْهِ مَرَارًا ، فقال لهم : أَحْبَرُونِي عَنْ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَسَّهَا عَمْدَ مَوْتِهِ ؟ قالوا : وَمَا أَتَى أَبُو طَالِبٍ ! فقال : أَرْغَبَ بِمَعْنَى عَنْ ذَلِكَ الشَّرِيفِ .

(١) ب : « أسود » تصحيف صوابه د .

(٢) صححه : موسمٌ مِنْ طَرِيقِ الْعَصْرِ إِلَى مَكَّةَ ؟ ويومٌ صحَّحه من أيامهم ، لَمَّا يَبْرُوعُ عَلَى الْمَنْزَرِ مِنْ مَاءِ السَّيِّدِ

وقيل لأحرَّ بعد موته : ألا تُوصي ؟ فقال : أنا منقورٌ لي ، قالوا : قل : إن شاء الله ،  
 قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : يا هذا لا ندفع الوصية ، فقال : لابنَي أخيه ، يا بني حريث ،  
 ارفعا وسادي ، واحتفظا بالخلة الحياء<sup>(١)</sup> ، فإنما حولكما الأعدى .  
 وقيل : لعلم ابن معلّم : مالك أحق ؟ فقال : لو لم أكن أحق ؛ لكنت ولدَ رثا .



(٤١)

الأفضل :

وقال عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلها :

حَمَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ شَكْوَاكَ حَقًّا لِيَسْتَنَّاكَ . فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أُخْرَفِيهِ ،  
وَلَكِنَّهُ يَحْمِلُ السَّيِّئَاتِ وَيَحْتَمِلُ حَتَّى الْأَوْرَاقِ ، وَإِنَّمَا الْأُخْرُ فِي الْقَوْلِ بِالنَّاسِ ،  
وَالْعَمَلِ بِالْأَبْدَى وَالْأَعْدَامِ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَسِرِّ رَوْضَةِ الصَّائِحَةِ  
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ .

\*\*\*

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وأقول : صدق عليه السلام ، إِنَّ الْمَرَضَ لَا أُخْرَفِيهِ ، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ مَا يُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ  
الْمَرَضُ ، لِأَنَّ الْمَرَضَ يُسْتَحَقُّ عَلَى مَا كَلَّ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّيِّئَاتِ مِنَ الْأَلَامِ  
وَالْأَمْرَاضِ وَمَا يَحْرَى يَحْرَى ذَلِكَ ، وَالْأُخْرُ وَالتَّوْبَةُ يُسْحَقَانِ عَلَى مَا كَلَّ فِي مُقَابَلِ  
فِعْلِ الْعَبْدِ ، فَتَبَيَّنَ قَوْلُ قَدِّسَتْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يَتَّبَعُهُ عَلَيْهِ النَّاقِبُ وَرَأْيُهُ الصَّائِبُ .

\*\*\*

البُشْرُحُ :

يسمى أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْفِعْلِ عَلَى تَأْوِيلِهِ يُطَابِقُ  
مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَالْأُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَرَضَ إِذَا اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ

العوض لم يَجْزُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْمَوْضَ يَحْطُ السَّيِّئَاتِ بِنَفْسِهِ ، لَا عَلَى قَوْل أَهْبَابِهِ ، وَلَا عَلَى قَوْل الْإِمَامِيَّةِ ، أَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَبِهِمْ مَرَّةٌ ، لَا يَدْخُلُونَ إِلَى التَّحَابُطِ ، وَأَمَّا أَهْبَابُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا تَحَابُطَ عِنْدَهُمْ إِلَّا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ؛ فَأَمَّا الْعِقَابُ وَالْمَوْضَ فَلَا تَحَابُطَ بَيْنَهُمَا ، لِأَنَّ التَّحَابُطَ بَيْنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، بِمَا كَانَ بِعَيْنِ الشَّأْنِ بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ كَانَ أَحَدُهُمَا يَتَصَوَّنُ الْإِحْلَالَ وَالْإِعْطَامَ ، وَآخَرُ يَتَصَوَّنُ الْاسْتِعْصَامَ وَالْإِهَانَةَ ، وَمَعَالُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ الْوَاحِدَ مُشَاهِدًا مَعْنًى فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَلَمَّا كَانَ الْمَوْضَ لَا يَتَصَوَّنُ إِحْلَالَهُ وَإِعْطَامَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَمُّ حَالُ فَقَطْ ، لَمْ يَكُنْ مَدِينًا لِلْعِقَابِ ، وَحَرَّ أَنْ يَجْتَمِعَ لِلْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ كَوْنُهُ مُسْتَحَقًّا لِلْعِقَابِ وَنَوْصَ ، إِمَّا بَأَن يَوْفَرُ الْمَوْضَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا بَأَن يَوْسَلَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ قُلُوبُ عِقَابِهِ ، إِنْ لَمْ يَجْعَلِ الْإِحْصَاءُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْكَافِرِ ، وَإِمَّا أَنْ يُجْعَلَ عَلَيْهِ نَعْمٌ عِقَابُهُ ، وَيَحْمِلُ ذَلِكَ بَدَلًا مِنَ الْمَوْصِ الَّذِي كَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يَوْسَلَ إِلَيْهِ ، وَإِذَا نَسِيَ ذَلِكَ وَخَبَّ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَازِلٍ صَحِيحٍ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَعْرَفَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْمَعَانِي ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْمُتَكَلِّمُونَ عِلْمَ الْكَلَامِ ، وَهُوَ أَنَّ الْمَرْصُ وَالْأَلَمَ يَخْصِفُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُتَلَيِّ بِهِ مَا يَسْتَحَقُّهُ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى مَصَابِيهِ السَّالِفَةِ تَمَصُّلًا مِنْهُ سَخَانَهُ ، فَلَمَّا كَانَ إِسْقَاطُ الْعِقَابِ مُتَعَمِّدًا لِلْمَرْصِ ، وَوَقْفَانِمْهُ لَا فَسْلَ ، حَرَّ أَنْ يُطْلَى اللَّعْطُ مَاءً الْمَرْصَ يَحْطُ السَّيِّئَاتِ وَيَحْتَمِلُ حَتَّى الْوَرَقَ ، كَمَا جَارَ أَنْ يُطْلَى اللَّعْطُ بَأَن الْجَمَاعَ يُحْمِلُ الْمَرْأَةَ ، وَأَنْ سَقَى الشَّجَرُ الْمَاءَ بِفِيهِ ، إِنْ كَانَ الْوَلَدُ وَالزَّرْعُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَقَدْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِيَارِ ، لَا عَلَى الْإِجْبَابِ ؛ وَلَكِنْ أُخْرِي الْمَادَّةُ ؛ وَأَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ عَمِيْبُ الْجَمْعِ وَعَمِيْبُ مَقَى الشَّجَرِ الْمَاءِ .

فَبِنْ قَاتِ : أَيْحُوزُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْصُ الْإِنْسَانَ السَّيِّئَاتِ لِلْعِقَابِ ، وَيَكُونُ إِنَّمَا أَمْرُهُ لِيُسْقَطَ عَنْهُ الْعِقَابُ لَا غَيْرُ ؟

قلت : لا ، لأنه قادر على أن يُسْفِط عنه العذاب ابتداءً ، ولا يجوز إزال الألم إلا حيث لا يمكن اقتصاص العيوض الحزى به إليه إلا بطريق الألم ، والا كمن ملأ الألم عتاةً ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يستحق ريداً على عمر وأب دهم فيصر به ويقول : إنما أضربه لأحصل ما يناله من ألم الصرب مُسْطِطاً لما أَسْتَحَقُّهُ من المرام عليه ؟ وتدنه الغلاء ويسمونه ، ويقولون له فهلاً وهتلاً له ، وأسفطها عنه من عبر حجة إلى أن نصر به وتؤله ! والنحس المستقصى في هذه المسائل المذكور في كُتُبِ الكلامية ، مبرح إلىها . وأيضاً فإن الآلام قد تنزل بالأنبياء وليسوا دَوَى دُوب ومصاص ليدل : إنها تحمّلها عنهم .

فَمَا مَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَام : « وَإِنَّا الْآخِرُ فِي الْقَوْلِ . . . » إلى آخر الفصل ، فإنه عليه السلام قسم أسباب الثواب أقساماً ؟ فقال : « كُلُّ الرِّضَ لا يَتَقَضَى الثَّوَابَ لَهُ لَيْسَ فَعَلَ الْمَكْلَفَ . » وإِنَّا يستحق المكلف الثواب على ما كلف من فعله . وَحَبَّ أَنْ يَبْقَى مَا لَدَى يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَكْلَفَ الثَّوَابَ ، والذي يستحق المكلف به ذلك أن يعمل مثلاً بما من أصل الحوارح ؟ وإنما من أصل الفلوط ، ففعل الحوارح إما قول باللسان أو عمل ببعض الحوارح وعمر عن سائر الحوارح . عدا اللسان - بالأيدى والأقدام ، لأن أكثر ما يُفعل بها ، وإن كل قد يُفعل بغيرها نحو محاممة الرجل روحته إذا قُصِدَ به تحصيلها وتحسينه عن الزنا ، ونحو أن يُسْحَى حجراً ثقيلاً رأسه عن صدره ، سبي قد يفتنه ، وغير ذلك ، وأما أصل الفلوط فهي العزوم والإرادات والنظر والعلوم والعلوم والندم ، فمتر عليه السلام عن جميع ذلك قوله : « بِصَدَقِ الْبَيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ ، وَكَتَفِي بِذَلِكَ عَنِ تَمْدِيدِ هَذِهِ الْأَحْسَاسِ . »

فإن قلت : فإن الإنسان قد يستحق الثواب على ألا يعمل السيئ ، وهذا يحرم المحصر الذي حصره أمير المؤمنين ؟

قلت : يجوز أن يكون يذهب مذهب أبي علي في أن القادر مقدرة لا يخلو عن الأخذ والترك .

(٤٢)

الأضل :

وقال عليه السلام في ذكر خياب :

رَحِمَ اللَّهُ حَبَابَ بَنِ الْأَرْتِ ! فَقَدْ أَسْلَمَ رَافِعًا ، وَهَاجَرَ طَائِفًا ، وَعَاشَ  
مُعَاهِدًا . طَوَّقَ لَيْلَيْنِ ذَكَرَ الْمَمَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحَبَابِ ، وَقَبِعَ بِالْكَفَّابِ ، وَرَمَى  
عَنْ أَفْرِ !

\*\*\*

البُزْج :

[ حَبَابُ بَنِ الْأَرْتِ ]

هو حَبَابُ بَنِ الْأَرْتِ بن حنبل بن سعد بن حريجة بن كعب بن سعد بن زيد مناة  
ابن نعيم ، يكنى أبا عبد الله - وقيل : أبا محمد وقيل : أبا يحيى - أصابه سَيِّ قُبَيْحٌ بِمَكَّةَ (١) .  
وكانت أمه حَتَانَةَ ، وَحَبَابُ من ضراء نسلين وخيارهم ، وكان له مرض ، وكان  
في الجاهلية فيما حدادا يعمل السيوف ، وهو قديم الإسلام ؛ قيل إنه كان سادس ستة ،  
وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، وهو معبود في المذنبين في الله ؛ سألته عمرُ بن الخطاب

(١) التسمية : « كان فيما يعمل السيوف والجاهلية ، فأصابه ساء فجع بمكة ، فمضته أم أعمار  
بنت سباع الغرابعة » .

أيام خلافته : ما لقيت من أهل مكة ؟ فقال : نظر إلى طهري ؟ فطر فقال : ما رأيت  
كالיום ظهر رجل ! فقال حباب : أوقدوا لي نارا وسجحت<sup>(١)</sup> عليها ، فاطمأناها إلا  
وذلك ظهرى .

وحاء حباب إلى عمر ، فجلس يقول : أدع ، أدع ، ثم قال له : ما أخذ أحق بهذا  
المجلس منك ؟ إلا أن يكون عمار بن ياسر . رل حباب إلى الكوفة ، ومات بها في سنة  
سبع وثلاثين ، وقيل : سنة سبع وثلاثين ، بعد أن شهد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام  
صفين وهزوان ، وصلى عليه علي عليه السلام ، وكانت سنة مات ثلاثا وسبعين سنة ،  
ودفن بظاهر الكوفة<sup>(٢)</sup> .

وهو أول من دفن بظاهر الكوفة ، وعبد الله بن حباب هو الذى قتله الخوارج ،  
«حج على عليه السلام به وطلبهم بدميه ، وقد تقدم ذكر ذلك .

(١) ب : « وسجحت » ، وأثبت ما فى أ ، د ، والاستيعاب .

(٢) انظر ترجمة حباب فى الاستيعاب ١ : ٤٣٨ .

(٤٣)

الْأَمْسَلُ :

وقال عليه السلام :

لَوْ صَرَنْتُ حَبِشُومَ الْمُؤْمِنِينَ لَسِتُّ بِهَدَى عَلَى أَنْ يُبْعِثَنِي مَا أُنْعَمِي ، وَلَوْ صَرَنْتُ  
اللَّهُ تَبَايَعَهَا عَلَى الْمَصْرِفِ عَلَى أَنْ يُجِيبَنِي مَا أَحْسَبِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَاسْتَقْضَى عَلَى  
رِسَالِ النَّبِيِّ الْأَمْسَلُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا يُبْعِثُكُمْ مُؤْمِنِينَ ،  
وَلَا يُجِثُّكُمْ مُشَافِقِينَ » .

\*\*\*

الْبُشْبُوحُ :

بُشْبُوحُهَا بِالْفَتْحِ : سَمْعُ حَقَّةٍ ، وَهِيَ الْمَكَالُ يَجْتَمِعُ فِيهِ إِيَّاهُ وَهَذِهِ اسْتِمَارَةٌ ، وَالْحَبِشُومُ :  
أَفْصَى الْأَنْفِ .

ومراده عليه السلام من هذا المعنى ، ذكر أناس ما قاله فيه رسول الله صلى الله عليه  
وآله ، وهو : « لَا يُبْعِثُكُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَلَا بِحُكْمٍ مُنَافِقِينَ » ؛ وَهِيَ كَلِمَةُ حَقٍّ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ  
الْإِيمَانَ وَبُفَصَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَحْتَمِلُ ، لِأَنَّهُ بَعْدَ كِبَرِهِ ، وَمُصَاحِبِ الْكِبَرَةِ عِنْدَنَا  
لَا يَسْتَعِي مُؤْمِنًا ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَهُوَ لَيْسَ يُظْهَرُ الْإِسْلَامَ وَيُخْفِي الْكُفْرَ ، وَالْكَافِرُ بِمَقِيدَتِهِ  
لَا يَحِبُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّهُ الْمُرَادُ مِنَ الْحَبْرِ الْحَقَّةِ الدَّيْمِيَّةِ ، وَمَنْ لَا يَعْتَقِدُ الْإِسْلَامَ  
لَا يَحِبُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، لِإِسْلَامِهِ وَجِهَادِهِ فِي الدِّينِ ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ الْكَلِمَةَ حَقٌّ ؛  
وَهَذَا الْحَدِيثُ مَرْوِيُّ فِي الصَّحَاحِ بِهَرَبٍ هَذَا بِمَط : « لَا يُجِثُّكُمْ إِلَّا مُؤْمِنِينَ ، وَلَا يُبْعِثُكُمْ  
إِلَّا مُنَافِقِينَ » ، وَقَدْ فُسرناه فِيهَا سَق .

(٤٤)

الأصل :

سَيِّئَةُ سُوءِ الْوَالِدِ حَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةِ تَوَحُّدِكَ .

• • •

البيان :

هذا حق ، لأن الإنسان إذا وقع منه الصنيع ثم ساء ذلك وندم عليه وتاب حقيقة التوبة كثرت بوسه معصيته ، فسقط ما كان يستحقه من العقاب ، وحصل له ثواب التوبة ، وأما من فعل واحدا واستعصى به ثوبا ثم حصره الإثم بفساده والإدلال على الله سأل نفسه ، واليه على الناس سداؤه واحده ، فإنه يكون قد أحبط ثواب عبادته بما شتمها من الصنيع الذي أناء ، وهو المعصية واشتبه والإدلال على الله تعالى ، فيعود لا مثابا ولا مقابا ، لأنه بشكافا الاستحقاقان .

ولا ريب أن من حصل له ثواب التوبة ، وسقط عنه عقاب المعصية ؟ حبر من حرج من الأمرين كفافا<sup>(١)</sup> لا عليه ولا له .

---

(١) الكفاف من الشيء ، مثله .

(٤٥)

الأصل :

قَدَرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مَرْؤَسَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَمْنَتِهِ ،  
وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ هَيَبَتِهِ .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم الكلام في كل هذه الشئيم والخصال ، ثم يقول ها هنا : إن كبر الهمة حلق  
محتص بالإنسان فقط ، وأما سائر الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك ، وإنما يتحرر كل  
نوع منها الفعل بقدر ما في طبعه ، وعبر الهمة حال متوسطة محمودة بين حالتين طرفي رديتين ،  
وهما الدح ، وتسميه الحكاء التضح - وصغر الهمة - وتسميه الناس اللذاعة ، فالفتح تأهل  
الإنسان لا يستحقه ، وصغر الهمة تركه - يستحقه لصغير في نفسه ، فهذا مذمومان ،  
والعدالة وهي الوسط بينهما محمودة ، وهي عبر الهمة ، ويسمى أن يعلم أن التفتح جاهل  
أحمى ، وصغر الهمة ليس بجاهل ولا أحمى ، ولكنه دنى صميم فاصر ، وإذا أردت  
التحقيق ، فكبير الهمة من لا يرمى بالهم الحيوانية ، ولا يقع لنفسه أن يكون عند  
رعاية نطفه وفرجه ؛ بل يجتهد في معرفة صانع العالم ومصوغاته ، وفي اكتساب الكلام  
الشرعية ليكون من خلفاء الله وأوليائه في الدنيا ، وعادويه في الآخرة . ولذلك  
قيل : مَنْ عَظُمَتْ هِمَّتُهُ لَمْ يَرْضَ قُتِيَّةً مُسْتَرْدَّةً ، وَحَيَاةً مُسْتَمَارَةً ، فَإِنْ أَسْكَنْكَ



أن تقتنى قية مؤبدة ، وحياة مخلدة ، فأقبل غير مكترث بقية من يصحبك ويميلك  
على ذلك فإنه كما قيل :

• إذا عظم المطلوب قل الساعد •

وكما قيل :

• طرقُ الملاة قليلة الإيناس •

وأما الكلام في الصدق والروعة والشجاعة والأنفة والمنة والنيرة ، فقد تقدم  
كثير منه ، وسيأتي ما هو أكثر فيها بعد إن شاء الله تعالى .

(٤٦)

الأصل :

اسْقُرُ بِالْحَرَمِ وَالْحَرَمُ بِأَخَانِي أَوْ أُمِّي ، وَأَرْأَى يُتَعَمَّصُ الْأَسْرَارُ .

\*\*\*

البشرح :

قد تقدم القول في كتاب السر وإداعته .

وقال الحكماء : أسر صريحا : أحدهما ما يُنْقَى إلى الإنسان من حديث يُسْتَكْتَم ، وذلك إما فعلا كقول العائل : اكتم ما أمرك لك ، وإما حالا وهو أن يختم<sup>(١)</sup> بالقول حال أُمْرَاد صاحبه ، أو يختص صوته حيث يُخاطبه ، أو يُخبره عن غاليه ؛ ولهذا قيل : إذا حدثك إنسان والتفت إليه فهو أمانة .

والضرب الثاني نوعان : أحدهما أن يكون حديث في نفسك تستقيم إشاعته ، والثاني أن يكون أمرا تُريد أن تفعله .

وإلى الأول أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله : « مَنْ أَمَّنَ مَسْكَ نَيْتًا مِنْ هَذِهِ الْعَادُورَاتِ فَلْيَسْتَرِ بِسُتْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » ، وإلى الثاني أشار من قال : « مِنْ الْوَهْنِ وَالصُّمْرِ إِعْلَانُ الْأَمْرِ قَبْلَ إِحْكَامِهِ » ، وكتبان الصرب الأول من الوه ، وهو مخصوص بدوام الناس ، وكتبان الصرب الثاني من الزوادة والحرم ، والنوع الثاني من نوعيه أحسن ما للعوك وأجمل السياسات .

قالوا : وإداعة أسر من قلة الصبر ، وسبق الصدر ، ويوصف به صفة الرجال

(١) ما : « يحدث » .

والنساء والعتيان . والسب في أنه يصعب كنه السر أن للإنسان هوتين : إحداها  
 آخذة ، والأخرى مُعْطِيَةٌ ، وكل واحدة منهما تنشوق إلى فعلها الخاص بها ، ولولا أن  
 الله تعالى وَكَّلَ المعطية بإطهار مَعْدِنِهَا لَأَنكَرَ الْأَحْبَارُ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ ، ففعل الإنسان  
 أن يُحْسِكَ هذه القوة ولا يُطْلِقَهَا إِلَّا حَيْثُ يَحِبُّ إِصْلَاحَهَا ، فإنها إن لم تُرَمَّ وَتُحْطَمْ  
 تَفَحَّصَتْ بِصَاحِبِهَا فِي كُلِّ مَهْلَكَةٍ .



(٤٧)

الأصل

اخْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَ لَشِيمَ إِذَا شَبِعَ .

\*\*\*

الشرح :

ليس معنى بالجوع والشبع ما يتعارفه الناس ، وما المراد : اخذروا صَوْلَةَ الكريم  
إِذَا ضِيمَ ، ولَمْتَمِينَ ، واخذروا صَوْلَةَ الشِّم إِذَا كَرِمَ . ومثل المعنى الأول قول الشاعر :

لَا يَصِيرُ الْخُرَّ بَحْتَ صَيْمٍ وَتَمَّ نَصِيرُ الْحَمَارِ

ومثل المعنى الثاني قول أبي الطيب :

إِذَا امْتَ اكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ      وَإِنْ امْتَ اكْرَمْتَ النَّشِيمَ عَمَزَتْ<sup>(١)</sup>



( ١٩ )

الأضل :

عَيْتَكَ مَسْتَوْرِدًا مَا أَسْعَدَكَ حَدِّكَ .

• • •

البُزْج :

فد قال الناسُ في الجِدِّ فَأَكْثَرُوا ، وإلى الآن لم يتحقَّق معناه ؛ ومن كلام بعضهم :  
إذا أبسل البَحْثَ بَاسَتْ الدَّحَاخَةُ على الوَتْدِ ، وإذا أدبر البَحْثَ أسيرَ المساوُ  
في الشمس .

ومن كلام الحُكَّاء : إنَّ السَّعَادَةَ لَتَنَحِطَ لِخَطَرِ فَيْدَعَى رَمًا .

وقال أبو حَيَّان : بَوَادِرُ ابْنِ الحَصَّاصِ الدِّعَى عَلَى تَعَمُّلِهِ وَبَلَّغِهِ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، قَدْ صُعِقَ  
فِيهَا الكُتُبُ . مِنْ مَحَلِّهَا أَنَّهُ سَمِعَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ سَيْبٍ فِيهِ ذِكْرُ هِنْدَ ، فَأَسْكَرَ ذَلِكَ ،  
وَقَالَ : لَا تَذْكُرُوا حَمَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا بِحَجَرٍ ، وَأَشْيَاءَ عَجِيبَةٍ اطَّرَفَ مِنْ هَذَا .  
وَكُنَّ سَعَادَتُهُ تُضْرَبُ بِهَا الْأَمْثَالُ ، وَكَثْرَةُ أَمْوَالِهِ أَنْتَى لَمْ يَحْتَمِصْ لِقَارُونَ مِثْلَهَا . قَالَ  
أَبُو حَيَّانَ : فَكَانَ النَّاسُ يَجْهَسُونَ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى أَنَّ حَمَاعَةً مِنْ شَيْوَحِ تَمْدَادٍ كَانُوا  
يَقُولُونَ : إِنَّ ابْنَ الحَصَّاصِ أَعْقَلَ النَّاسِ ، وَأَحْرَمَ أَسَاسَ ، وَأَنَّهُ هُوَ أَنْتَى أَلْهَمَ الْحَالِ  
بَيْنَ الْمُتَمَصِّدِ وَبَيْنَ تَخَارُؤِهِ بِرَأْسِ أَحَدِ بْنِ مُلُوبُوسَ ، وَسَعَرَ بَيْنَهُمَا سِمَارَةً عَجِيبَةً ، وَبَلَغَ مِنْ  
الرَّجُلَيْنِ أَحْسَنَ مَبْلَغَ ؛ وَخَطَبَ قَطْرُ اسْدَى بَتِ تَخَارُؤِهِ لِلْمَتَمَصِّدِ ، وَجَهَرَهَا مِنْ مَعَرٍ

على اجترار وجه وأعلى ترتيب ، وسكته كان يفيد أن يتناول ويتجاهل ويظهر البهله  
والنقص ، يستبق بذلك ماله ، ويحرق ماله ، ويدفع عنه عين السكال ،  
وحسد الأعداء .

قال أبو حيان : قلت لأبي عثمان السعدي : أظن ماله هؤلاء صحيحا ، فإن المتعبد  
مع خرمه وعقبيه وكاله وصافيه رايه ما احتاره لسماره والصلح بالارحوميه فيما يأتيه  
ويستقبله من أيامه طير ما قد شوهه فيه فيما مضى من زمانه ؟ وهل كان يجوز أن يصلح  
أمره قد تعاقم فاداه وتماطم واشتد رسوخ الحق ، وسيرة أحرق ! فقال أبو عثمان :  
إن الحد يسبح حال الأحرى ، ويسر عيب الأحمق ، ويدب عن عرس التلذذ ، ويقرّب  
الصواب عن طعمه ، والصحة رايه ، وسحاح نسويه ! والحد يستخدم المقلاء لصاحبه ،  
ويستعمل آراءهم وأفكارهم في مطالعته ، وابن أخته من على ما قبل وروى وحدت وحكي ،  
ولكن هذه كماء مائة الخلق ، ونحوه غروب الخرق ، ولو عرف حط الماثل وبسفه  
وسوء تائه وأخطائه إذا فرقه الحد ، ليمت أن الماثل قد يصير بحسنه مالا يصيب  
العالم بعلمه مع حرمانه .

قال أبو حيان : قلت له : شأنا هذا ؟ وما هذا الذي عنت عليه هذه الأحكام ؟  
كتبها ؟ فقال : ليس لي عنه عبارة معينة ، ولكن لي به علم شاف ، استمدته بالاعتبار  
والنقد والتجربة والسمع العريض من الصغار والكبار ، ولهذا<sup>(١)</sup> أصبح من أمراء من الأغراب  
تربص أسأفا فصول له : رزقك الله حداً ، يحمدك فيه ذوو القول ، ولا رزقك عقلا  
تخدم به ذوي الجدود .

(٥٠)

الأضل :

أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَفَدَّرَهُمْ عَلَى الْعُقُوتِ .

\*\*\*

البُئح :

قد تقدم ل قول مُتبع في العفو والحقم .

وقال الأحب : ما شئ أشد اتصالاً بشئ من الحقم ماير .

وقالت الحكماء : يسمى للإنسان إذا طُلب من يستحق العفو ، ألا يكون سعيًا في أثمائه ، وألا يصاب حتى يرول سلطان نفسه ، فلا يقدم على ما لا يجوز ، وفلك خربت سعة السباع محض النحر حتى يطر في حرمة ، ويُبد النظر فيه .

وأثر الإسكندر مُدبِر فصَح عنه ؛ فذله بعض حسنه : لو كنت إياها الملك لقتلته ؛ قال : وإذا لم تكن إياي ولا كنت إياها لم يُقتل .

وانتفى إليه أن بعض أصحابه يمييه ، ف قيل له : أيها السك ، لو سَهكتك عقوبة ! فقال :

يكون حينئذ أبسط لساناً وعُدرا في احتجابي .

وقالت الحكماء أيضا : فذة العفو أطيح من لذة الشئ والانتقام ، لأن فذة العفو يشعها حيد العافية ، ولذة الانتقام يحققها ألم الندم . وقالوا : العقوبة ألأم حالات ذي القدرة وأذناها ، وهي طرفة من الحرع ، ومن ربي ألا يكون بته وبين العالم إلا سينر دقيق فليستصف .



(٥١)

الأصل :

السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً ، فَإِذَا كَانَ عَنْ مَنَاقِبٍ فَحَيَاءٌ وَتَدَهُمٌ .

• • •

البشرح :

يُجِيبُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ حَيُّوسَ :

إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْكِرَامِ فَلَمْ يُجِبْ      فَلَا تُسْكِرَنَّ نَدَى أَحَابَ وَمَا دُرِي

وَمِنَ الْمَجَائِبِ وَالْمَجَائِبُ إِجْمَعٌ      نَسْكَرُ نَدَى؟ مِنْ نَدَى الْمُسْرَمِ

وَقَالَ آخَرُ :

مَا اعْتَصَمَ بِإِدْلٍ وَجْهِهُ بِسْوَائِهِ      عَوَسًا وَلَوْ نَالَ الْيَمَى بِسْوَائِهِ

وَإِذَا التَّوَالَّى إِلَى السُّؤَالِ فَرَمَتْهُ      رَجَحَ السُّؤَالُ وَحَفَّ كُلُّ نَوَالٍ

( ٥٢ )

الأفضل :

لَا يَغْنَى كَالْعَقْلِ ، وَلَا قَرَّ كَالْخَيْرِ ، وَلَا مِيرَاثٌ كَالْأَدَبِ ، وَلَا ظَهِيرٌ كَالشَّادِرَةِ .

\*\*\*

البُخ :

رَوَى أَبُو النَّاسِ وَ " الْكَامِل " عَنْ أَبِي عَسَدٍ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : حَسْبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرٌ مَسْتَمْتَعٌ . الْعَقْلُ ، وَالذِّينُ ، وَالْأَدَبُ ، وَالْحَيَاءُ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ .

وَقَالَ أَيْضًا : لَمْ يُقَسِّمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَمْرٌ مِنْ حَسْبٍ : الْيَقِينُ ، وَالنَّصَاحَةُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالشُّكْرُ ، وَالْحَامِصَةُ أَنْتَى يَكْمُلُ بِهَا هَذَا كُلُّهُ الْعَقْلُ .

وَعنه عليه السلام : أَوَّلُ مَا حَقَّقَ اللَّهُ الْعَقْلَ ، قَالَ لَهُ : أَعْمَلُ ، فَأَعْمَلُ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَذَرُ ، فَأَذَرُ ، فَقَالَ : مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، لَكَ الثَّوَابُ ، وَعَلَيْكَ الْمَقَابِ .

وَعنه عليه السلام قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ اللَّهُ لَيُنِزِلُ الصَّعِيفَ الَّذِي لَا رَيْبَ لَهُ ، قَالَ : الزَّيْبُ : الْعَقْلُ .

وَعنه عليه السلام عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْبَإَدِ أَفْضَلَ مِنْ الْعَقْلِ ، هُوَ الْعَاقِلُ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِ الْجَاهِلِ ، وَفَطَرُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ مَوْتِ الْجَاهِلِ ، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شَخْصِ الْجَاهِلِ ، وَمَا نَعِمَ اللَّهُ رَسُولًا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ ،

وحق بكرب عقله أفضل من عقول جميع أمته ، وببصره في نفسه أفضل من اجتهاد جميع المتبحرين ، وما أدى الجهد فرائض الله تعالى حتى عقله عنه ، ولا يبلغ جميع المبدئين في عدالتهم ما يبلغه اسافل ، وسفلاء هم أولو الأساب ، الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

قال أبو العباس : وقال رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام له وقد سمعته يقول ، لم يروى <sup>(١)</sup> مرفوعاً : « إذا لم يكم عن رجله حسن الحال فاطمروا في حُسن عقله . فإنما يحاذي عقله . وابن رسول الله ، إن لي حراً كثيراً الصدقة ، كثيراً الصلاة ، كثيراً الحج ، لا شيء من أفعال . كف عقله » فقال ليس له عقل ! فقال : لا يرفع من ذلك شيء .

وعنه عليه السلام . ما نعت الله نبياً إلا عاقلاً ، وبعض السبيل أرحم من بعض ، وما استحلقت داود سبيلين عليه السلام حتى احتجب عقله ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فكش في ملكه ثلاثين سنة .

وعنه مرفوعاً : صديق كل امرئ عقله ، وعدوه جهله

وعنه مرفوعاً : إنا معاشر الأنبياء مكلفنا على قدر عقولهم

قال أبو العباس : وسئل أبو عبد الله عليه السلام : ما العمل ؟ فقال : ما يُعبد به الرحمن ، واكتسبت به الجنة .

قال : وقال أبو عبد الله : سُئل الحسن عليه السلام عن العقل ، فقال : التحرُّع للمعصية ، ومداومة الأعداء .

قلت : هذا كلام الحسن عليه السلام ، وأما أقطع ذلك .

قال أبو العباس : وقال أبو عبد الله : الدقل لا يُحدث من يخافُ تكديبه ، ولا يسأل من يخافُ منعه ، ولا يثق بمن يخافُ عبده ، ولا يرحو من لا يوثق برجائه .

قال أبو العباس : وروى عن أبي حمزة عليه السلام ، قال : كان موسى عليه السلام يُدنى رجلا من بني إسرائيل لطول سجوده ، وطول صمته ، فلا يكاد يذهب إلى موضع إلا وهو معه ، فبينا هو يوما من الأيام إذ مرَّ على أرض مُعشبة تَهْرُ ، فتأوَّه الرجلُ ، فقال له موسى : على ماذا تأوَّفتَ ؟ قال : تبيت أن يكوب لري حمارٌ وأرعاة<sup>(١)</sup> ها هنا ، فأكَّت موسى طويلاً بصَّره إلى الأرض لئلا يما بينا صمَّع معه ، فمخَّط عليه الوحى ، فقال : ما الذى أسكرت من مقالة عسى ! إنما آخذ مبادى على قدر ما أتيتهم .

قال أبو العباس : وروى عن علي عليه السلام : سقط حراثيل عليه السلام على آدم عليه السلام ثلاث ليحترق منها واحدة ويدع اثنتين ، وهى : العقل ، والحياء ، والدين ؛ فاحترق العقل ، فقال حراثيل للحياء والدين : انصروا ؛ فقالا : إنا أُمِرُّ أن نكون مع العمل حيث كان ، فقال : فتشاككا ! صار ثلاث .

\*\*\*

فأما قوله عليه السلام : « ولا مِرثَ كالأدب » فإن لمرث فى حِكْمِ المرث عن بر رُحْمَر . ماوردت الأماءُ أساءه شتَ فصل من الأدب ، لأنها إدورَّتْها الأدب كعست بالأدب الدل ، فإذا وردتْها المان بلا أدب أنستة بالحجل ، وقعدت صبرا من ائمال والأدب .

قال بعض الحكماء : من أدب ولده صبرا ، سرَّه كبيرا .

وكلن يقال : من أدب ولده أرحم حاسده .

وكلن يقال : ثلاثة لا عرمة معهم ، بحمة الرئيب ، وحسن الأدب ، وكفى الأذى .

وكن يقال : عليكم بالأدب ، فإنه صاحب السر ، ومؤنس في الوحدة ، وجمال في العمل ، وسبب إلى طلب الحاجة .

وقال بُرْزُخِيمُ : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَلَّ قَبْلُ وَضِيْعَا ، وَبَسَدَ صِيَّتُهُ وَإِنْ كَانَ حَامِلًا ، وَسَادَ وَإِنْ كَانَ عَرِيًّا ، وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ مُقِلًّا .

وقال بعض الملوك لبعض ودرائيه : ما حيرُ ما يُرزقه العبد ؟ قال : عقلٌ يُمِيشُ به ؟ قال : فإنَّ عَدِمَهُ ؟ قال : أدبٌ يَحْتَلِي به ، قال : فإنَّ عَدِمَهُ ؟ قال : مالٌ يَسْتَرِي به ، قال : فإنَّ عَدِمَهُ ؟ قال : ساعة تُحَرِّفُهُ فُتُرِيحُ مِنْهُ الْعِزَادُ وَأَهْلَادُ .

وقيل لبعض الحكماء : متى يكون السلم ثمرًا من عَدَمِهِ ؟ قال : إذا كَثُرَ الْأَدَبُ وَتَقَعَتِ الْفَرِيحَةُ - يَمَى بِالْفَرِيحَةِ الْمَقِيلُ .

فأما القول في الشُّوْرَةِ فقد تقدّم ، ودُهْمًا ذَكَرْنَا مِنْهُ قُدًّا فِيهَا بَعْدُ .

(٥٣)

الأصل :

الصَّبْرُ صَبْرَانٌ : صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ .

\*\*\*

البشرح :

النوع الأول أشق من النوع الثاني ، لأن الأول صبر على مكره مازلة ، والثاني صبر على محبوب متوقع لم يحصل ، وقد تقدم ما قول حولي في الصبر .

سئل بُرْزُخَمَرُ فِي مَلِيَّتِهِ<sup>(١)</sup> عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : هُوَ عَلَى مَا أَمَّا بِهِ فِكْرِي فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا أَنِّي قُلْتُ : الْقَصَاءُ وَالْقَدَرُ لَا يَدُ مِنْ حِرَابِهِمَا ، وَالثَّانِي أَنِّي قُلْتُ : إِنْ لَمْ أَصْبِرْ ثَمَّ أَسْمَعُ ! وَالثَّالِثُ أَنِّي قُلْتُ : فَكُلَّ يَمُورٍ أَنْ تَكُونَ الْخُفَّةُ أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ ! وَالرَّابِعُ أَنِّي قُلْتُ : لَعَلَّ الْفَرَجَ قَرِيبٌ !

وَقَالَ أَبُو شَرَّوَانَ : جَمِيعُ أَمْرِ الدُّنْيَا مَسْمُومٌ إِلَى حَرَبَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا : أَمَّا مَا فِي دَفْعِهِ حِيلَةٌ فَلَا صَطْرَابَ دَوَائُوهُ ، وَأَمَّا مَا لَا حِيلَةَ فِيهِ : لَمْ يَصْرْ شَعْرُوهُ .

(٥٤)

الأصل :

أَلَيْسَ فِي الثَّرْبَةِ وَطَنٌ ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ عُرْمَةٌ .

\*\*\*

البُنيخ :

قد تقدم لنا قولٌ مُقتنع في الفقر والمعنى ومدحهما ودتهما على عاداتنا في ذِكر الشيء ومقايضه ، ونحن نذكر هاهنا زيادةً على ذلك :

قال رجلٌ لفرط (١) : ما أشدَّ فزركَ أيها الحكيم ؟ قال : لو عرفت راحةَ الفقر لسمكتُ الشوَّحَ لمسك عن الشوَّح لي ؛ الفقر مَبْكٌ ليس عليه مُحاسنة .  
وكان يقال : أضعتُ الناسَ من لا يحتملُ المعنى .

وقيل للسكندر : فلانٌ عبيٌّ ؟ فقال : أما أعلم أن له مالا ، ولكني لا أعلم : أعبيٌّ هو أم لا لأنني لا أدري كيف يعمل في ماله !

قيل لابن عمر : توفي زيد بن ثابت وترك مائة ألف درهم ، قال : هو تركها لكنها لم تتركه .

وقالوا : حسبك من شرِّ الصفر أنك لا ترى أحداً يعصى الله ليفتقر ؛ أحده الشاعرُ فقال :

يا غائبَ الفقيرِ ألا تزدحرجُ عبيُّ المعنى أكرمُ لو تفتقرُ

إنك تعصى الله تنبئ المعنى وليس يعصى الله ك تفتقرُ

وكان يقال : الحلال يفتقرُ ، والحرام يسيل .

وقال بعض الحكماء : ألا نرَوْن دَائِعَتِي مَا أَتَوَمَّ نَصَبُهُ ، وَأَقْلَرَّ رَاحَتَهُ ، وَأَخْسَرَ  
 مِنْ مَالِهِ حِفْظَهُ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْأَيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَعْرَى الدَّهْرَ بِنَفْسِهِ وَتَلْعَهُ ! ثُمَّ هُوَ يَبِيعُ سُلْطَانِ  
 بِرَعَاهُ ، وَحَقُوقِ تَسْرِعِيهِ ، وَأَكْمَاءَ يُفْسِدُونَهُ ، وَوَلَدٍ يُوَدُّونَ مَوْتَهُ ، قَدْ نَمَتْ الْغَنَى عَلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَمَاءُ ، وَمِنْ أَكْمَائِهِ الْخَسَدُ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْغَمُ ، وَمِنْ دَوَى الْحَقُوقِ الْقَتْلُ ،  
 وَمِنْ الْوَلَدِ الْمَلَالَةُ وَتَمَتَّى الْمَقْدُ ، لَا كَدِي ابْتِغَاءَ قَمْعٍ هَدَامَ لَهُ السُّرُورُ ، وَرَفَصَ الدُّنْيَا  
 فَسِيمَ مِنَ الْخَسَدِ ، وَرَفِي بِالْكَفَافِ فَكُفِيَ الْحَقُوقُ .



(٥٥)

الأضل :

القناعة مَالٌ لَا يَمُودُ .

قال الرضى رحمه الله تعالى : وقد روى هذا الكلام عن النى صلى الله عليه وآله :

\*\*\*

البزخ :

قد ذكرنا سكتنا جلية الموضع في القناعة وبها تقدم وقد ذكرها هنا زيادة على ذلك .  
فمن كلام الحكماء : قاوم المقر بالقناعة ، وقاهر انيس بالتمتع ، وطاول غناء الحاسد  
بمؤمن المشنع ، وغالب الموت بالذكر الجميل .  
وكل يقال : الناس رجلان واحد لا يكتفى ، وطالب لا يجد ، أحده الشاعر  
فقال :

وما الناس إلا واحد غير قاهر بأرائيه أو طالب غير واجد  
قال رجل لبقرط (١) ورآه يأكل المشب (٢) : لو حسنت إليك لم تحتج إلى أن  
تأكل الحشيش ، فقال له : وأنت إن أكلت الحشيش لم تحتج أن تخدم الملك !

(٥٦)

الْأَصْلُ :

الْعَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ .

• • •

الْبَشْرُ :

قد تقدم لكلامى فى المال مدحا ودم .

وقال أعرابى لبيبة : اجتموا الدرام فإنها تليس التلثم ، ونطعم الخردق<sup>(١)</sup> .

وقال أعرابى وقد نظر إلى ديار : قاتلك الله ! ما أسمر فستك ، وأكبر همتك .

ومن كلام الحكماء : ما اخترت أن مسخيتك<sup>(٢)</sup> فتد<sup>(٣)</sup> دويك<sup>(٤)</sup> .

سئل أفلطون عن المال ، فقال : ما أقول فى شىء يبطيه الخط ويحطه القوم ،

ويئسه الكرم<sup>(٥)</sup> !

وكأن يقال : ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم : ناهر السحر ، والمأزى بالآخره ، والمرتبى

فى الحكم ، وهو شرهم ؛ لأن الأولين ربما سبما ، ولا سلامة لثالث من الإثم .

ثم قلوا : وقد سمى الله تعالى المال حراما فى قوله : ﴿ إِن تَرَكْتَهُ حَرَامًا ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله :

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(٧)</sup> .

كان عبد الرحمن بن عوف يقول : حبت المال ، أصون به عرضى ، وأقرضه رقى

(١) التلثم : الماء الملوغ ؛ وهو بالفارسية : \* يسه \* والجرد : الرعب ؛ فارسية أيضا .

(٢) سورة النقرة ١٨٠ . (٣) سورة المائدة ٨ .

فيماعفَه لي . وقالوا في دم المال : ادلِّ مثلُ الماءِ عذِرَ ورائح ، طمعه كطَمَعِ الصبي لا يُوقَف  
على سببِ رساء ولا سُحطه . الدلُّ لا يبعثك ما لم تُعارِفَه .

وفيه قال الشاعر :

وصاحبِ حبيدي ليس يَسْمَعُ قرينه      ولا وُدّه حتّى تُفَارِقَهَ عمدا  
وأخذ هذا المعنى الحريريّ فقال :

وليس بُنِيَ عنك في الصّائِقِ      إلا إذا مرَّ بِمِرْكَزِ الآيِقِ

وقال الشاعر :

ألم ترَ أنَ المالَ يُهْلِكُ رَبّه      إذا خَمَّ آتِيه وسدَّ طَرِيقَه  
ومَن حوَرَ النّحرَ العَرَّوْرَ بِحَقِيقَه      وسدَّ طريقَ المَاءِ فهو عَرِيقَه

(٥٧)

الْأَضْلُ :

مَنْ حَذَرَكَ ، كَمَنْ تَشْرَكَ .

\*\*\*

الْبَشْرُخ :

هذا يمثل قولهم : أتبع أمرَ مكياتك ، لا أمرَ مضحكانك<sup>(١)</sup> . ومثله : صديقك من نهاك ، لا من أعراك . ومثله : ربح الله أمراً أهدى إلى عيوب .

والتحذير هو النصيح ، والنصح واحد ، وهو سرعان الإنسان ما فيه صلاحه ، ودفع الضرر عنه ، وقد جاء في الخبر الصحيح **« مَنْ أَمَرَ بِالنَّصِيحَةِ »** ، ف قيل : يارسول الله ، لمن؟ قال : « لامة المؤمنين » . وأول ما يحب على الإنسان أن يحذر نفسه وينصحه ، من عشر نفسه ففما يحذر عثره وينصحه ، وحق من أُنصَح أن يَسُدَّ غاية النصيح ولو كان في أمرٍ بصراً ، وإلى ذلك وقعت الإشارة في لكتاب سر يرفوه سبحانه : **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ بَيْنَ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ »**<sup>(٢)</sup> ، وقال سبحانه : **« وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ دَاخِرًا »**<sup>(٣)</sup> .

ومعنى قوله عليه السلام « كمن تشارك » أي يدعي لك أن تسرّ تتصديقه لك ، كما تسرّ لو يشارك بأمرٍ تحبه ، وأن تشكره على ذلك كما تشكره لو يشارك بأمرٍ تحبه ، لأنه لو لم يكن يُريدك لك الخير لما حذرك من الوقوع في الشر .

(١) البائي ١ : ٣٠ ، وأبعده هناك : « أمر مكياتك لا أمر مضحكانك » .

(٢) سورة النساء ١٣٥ . (٣) سورة الأعدم ١٥٢ .

( ٥٨ )

الأُصْلُ :

اللِّسَانُ سَمِعَ ، إِذْ خُلِّيَ قَهْرُهُ عَمَرَ .

\*\*\*

البُشْرُحُ

قد تقدم لنا كلام طويل في هذا المعنى :

« كَلِمٌ يَمَالُ : إِنْ كَانَ فِي الْكَلَامِ دَرَجَةٌ فِي الْعَمْتِ عَامِيَةٌ .

وذلك الحكاء : التعلُّقُ أَشْرَفُ مَا حَصَرَ بِهِ الْإِنْسَانُ ، لِأَنَّهُ صَوْرَتُهُ الْمَعْمُولَةُ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ سَجَاهُ : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وَلِيَقِيلَ : « وَعَلَّمَهُ » ، قَالُوا لِأَنَّهُ سَجَاهُ حَدَلَ قَوْلَهُ : ﴿ عَلَّمَهُ أَسْيَانَ ﴾ تفسيراً لقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ ؛ لَا عَطْفًا عَلَيْهِ ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ خَلْقَهُ لَهُ وَتَحْصِيصَهُ «الْبَيَانَ» الَّذِي لَوْ تَوَقَّعُ مِنْ رَتَبَةٍ لَا رَتَبَتُ إِنْ سَابَقَتْهُ ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ . مَا الْإِنْسَانُ لَوْلَا أَلْسَانُهُ إِلَّا بَهِيمَةٌ مُهْمَلَةٌ ، أَوْ صَوْرَةٌ مُمَثَّلَةٌ .

وقال الشاعر :

لِسَانُ الْعَتَى نَصْفٌ وَنَصْفٌ فَوَاضٍ قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا صَوْرَةُ الْقَحْرِ وَالْأَلَمِ<sup>(٢)</sup>  
قَالُوا : وَالْعَمْتُ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَحْفٌ مَدْمُومٌ ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْحَادَاتِ ، فَصَلَا

(١) سورة الرحمن ٤، ٣ .

(٢) ينسب لرميح ، من مطلقته بصرح الروزني ٩٤ .

من الحيوانات ، وكلامُ أمير المؤمنين عليه سلام وغيره من العلماء في مدح الصمت  
محمول على مَنْ يسيء الكلامَ فيقعُ منه رِجَايَاتٌ عظيمةٌ في أمور الدين والدنيا ،  
كما رَوَى في الخبر : **إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ أَعْصَاؤُهُ لِلْسَّائِرِ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا ،**  
**فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ نَجَوْنَا ، وَإِنْ دَعَيْتَ هَمَكُنَا »** ، فأما إذا اعتُرِ التُّطْقُ والصمتُ  
بدانئيهما فقط ، فمُحَالٌّ أَنْ يُقَالَ فِي الصمتِ فعلٌ ، فضلا عن أَنْ يُخَايَرُ وَيُقَايَسَ بِهِ  
وَيُنَاسَبَ الكلامُ .

(٥٩)

الْأَصْلُ :

امْرَأَةٌ عَرَبٌ حُلُوَّةٌ اللَّسَنُ .

\*\*\*

الْبَيْخُ :

اللَّسَنُ : اللِّسَنَةُ ، لَسَنَتُهُ الْمَقْرَبُ ، انفتح ، سَعَتَهُ ، وَلَيْتَ اَمْسَلَ الْكُسْرُ ، أَيْ انْفَتَحَ .

وقل ليقرأ : أَيْ السَّمَاعُ أَحْسَرُ ؟ قَالَ : الْإِرَاءُ .

ونظر حكيم إلى امرأة معالوه على شجرة ، فقال : لَيْتَ كُلَّ شَجَرَةٍ تَحْمِلُ بِمِثْلِ هَذِهِ الثَّمَرَةِ .

صارت تقرأ امرأة وهي تدشوى<sup>(١)</sup> ، قالت : يا شيخ ، مَا أَفْعَحَكَ ؟ فقال : لَوْلَا أَنَا مِنْ الرِّاءِ الصَّدَّةِ أَعْمَى مَاذَا مِنْ فُتْحِ صَوْتِي فَيْكِ .

ورأى بعضهم مؤذناً يعلم حُرَّةَ السَّكَةِ ، فقال : لَا تَرِدِ الثَّرَى شَرًّا ، إِنْما نَدَى سَهْمًا سَهْمًا لَتَرَى بِهِ يَوْمًا مَا .

ورأى بعضهم امرأةً تحمل دُرًا ، فقال : نَارٌ عَى نَارَ ، وَالْحَمْلُ شَرٌّ مِنَ الْحَمُولِ .

وتزوج بعضهم امرأةً بحيمة ، فبيل له في ذلك ؟ فقال : احترتُ مِنَ الشَّرِّ أَقْنَعَهُ

كتب فيسوف على ناه : مَا دَخَلَ هَذَا الْبَرْقُ شَرًّا قَطُّ ، فقال له بعضهم : اكْتُبْ : « إِلَّا الْإِرَاءُ » .

(١) د : « تدشوى » .

ورأى بعضهم امرأة عريضة في الله ، فقال : رادت الكدرة كدراً ، والشر بالشر  
 عليك .

وفي الحديث المرفوع : استعبدوا لله من شر الانساء ، وكونوا من خيرهن  
 على قدر .

وفي كلام الحكماء : اعص هوائك والنساء ، وعل ما شئت .  
 دعا بعضهم لصاحبه ، فقال : أمان الله عدوك ؟ فقال : لو قلت : زوج الله عدوك ،  
 لكان أبلغ في الانتقام !

ومن الكتابات المشهورة عنهن : « سلاح بنيس »  
 وفي الحديث المرفوع : « إنهن ناصات ققل ودين » .  
 وقد تقدم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب ما هو شرح ويمصاح  
 لهذا المعنى .

وحاء في الحديث أيضاً : « شاوروهن ونارعهن » .  
 وفي الحديث أيضاً : « أسماء حباثل الشيطان »  
 وفي الحديث أيضاً : « ما تركت بعدى سنة أصر من النساء على الرجال » .  
 وفي الحديث أيضاً : « المرأة صبيح عوجه إن داريتها استمعت بها ، وإن رمت  
 تقويم كثرتها » وقال الشاعر في هذا المعنى :

هي الصلح الموحاه لست تقيمها      ألا إن تقويم الصلوح اكبرها  
 أيحسب ضعفاً واقتداراً على الحق      أبس صعباً صعباً واقتدارها ؟  
 ومن كلام بعض الحكماء : ليس ينبغي للمأفل أن يمدح امرأة ، إلا بعد موتها .  
 وفي الأمثال : لا تصمد أمة عام شرائب ، ولا خرة عام بنائها .



ومن كلام عبد الله المؤمن : إني شرُّكمهن ، وشر ما فيهن ألا عصى عنهن .  
وقال بعض السلف : إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان ، لأن الله تعالى ذكر  
الشيطان ، فقال : ﴿ إن كيد الشيطان كل ضعيف ﴾ (١) .  
وذكر النساء فقال : ﴿ إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ (٢) .  
وكان يقال : من الفواقر امرأة سوء إن حصرتها لتفتك ، وإن عت عنها لم تأمنها .  
وقال حكيم : أصر الأشياء مال والنفس والدين والعقل والمرض شدة الإغرام بالنساء ؛  
ومن أعظم ما يتقى به المرم بهن أنه لا يقتصر على ما عنده منهن ولو كن النساء ، ويطلع  
إلى ما ليس له منهن .

وقال بعض الحكماء : من يحمي مساوي النساء احتتم فيهن نحاسة الخيض  
والاستحاسة ، ودم الدعاس ، ونقص العقل وليس ، وترك الصوم والصلاة في كثير من أيام  
العمر ، ليست عيبين حادة ولا جمعة ، ولا يسلم عليهن ، ولا يكون منهن إمام ولا قاض  
ولا أمير ولا يسافرن إلا بولي .

وكان يقال : ما بهت امرأة عن امرئ إلا أنه .

وفي هذا المعنى يقول طعيل الموصي :

إن النساء كأشجار تنق معاً      هن الرار وبعض الر ما كؤل  
إن النساء متى شهنق عن حق      فنه واجب لا بد مفعول

(٦٠)

الأصل :

إِذَا حُيِّتَ بِتَحِيَّةٍ مَعَىٰ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافَتْهَا بِمَا يُرِي عَلَيْهَا ، وَالْمَعْلُومُ مَعَ ذَلِكَ لِلنَّارِ .

\*\*\*

البشر :

اللمعة الأولى من القرآن<sup>(١)</sup> المرر ، والثانية تضمن معنى مشهورا .

وقوله : « وَالْمَعْلُومُ مَعَ ذَلِكَ لِلنَّارِ » ، يقال في الكرم والحث على فعل الخير .

وروى الدائني ، قال : قدم على أسد بن عبد الله القشيري محراسان رجل ، فدخل مع الناس ، فقال أصح الله الأمير ! بل لي عندك بدأ ؟ قال : وما يدرك ؟ قال : أخذت بركابك يسوم كذا قال : صدقت ! حجتك ؟ قال : توليت أبيورث ؟ قال : لم ؟ قال : لا كتب مائة ألف درهم ؟ قال : فإيا قد أمرت بها الساعة ، ففكون قد بعتك ما تحب ، وأقررتنا صاحبنا على كتمه ، قال : أصح الله الأمير ! إنك لم تقض ريمى ؟ قال : ولم ؟ وقد أعطيتك ما أمنت ؟ قال : فإن الإمارة ؟ وابن حبة الأمير والنعي ! قال : قد وليتك أبيورث ، وسوخت لك ما أمرت لك به ، وأعطيتك من المحاسبة إلى صرفتك عنها ؟ قال : ولم تصرمى عنها ولا يكون اصترف إلا من عجز أو حيانة ،

(١) وهو قوله تعالى في سورة النساء ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَبُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ﴾

وَأَبْرَى مِنْهُمَا ؟ قَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهَا مَا دُمْتُ لَنَا حُرَّاسًا ؟ ثُمَّ بَرَّكَ أَمِيرًا عَلَى  
أَبِيوَرْدَةَ حَتَّى عَزَلَ أَسَدَ .

قَالَ لِلدَّائِي : وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَعْرَبِ بْنِ سَيَّارٍ يَذْكُرُ قِرَابَةً (١) ، قَالَ : وَمَا قِرَابَتُكَ ؟  
قَالَ : وَلَدْتُني وَإِيَّاكَ قُلَابَةً ! قَالَ فَصَرَ : قِرَابَةُ عَوْرَةٍ ، قَالَ : إِنَّ الْعَوْرَةَ كَالشَّنِّ الْبَسَالِي ،  
يَرْقَمُهُ أَهْلُهُ فَيَنْتَقِمُونَ بِهِ ، قَالَ : حَسَنَتْكَ ، قَالَ : مِائَةُ مِائَةٍ لَا رَجْعَ ، وَمِائَةُ نَمْحَةٍ رُئِيَ - أَيْ  
مَعَهَا أَوْلَادُهَا - قَالَ : أَمَّا النَّمْحُ فَحَدُّهَا ، وَأَمَّا السُّوقُ فَمِائَةُ لَكَ بِأَنْعَامِهَا .

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ (٢) ، قَالَ : حَصَرْتُ عَمْسَ رِبَادٍ وَحَصَرَهُ رَجُلٌ فَضَالَ : آتَاهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ  
لِي حُرْمَةً أَفَادَكَ كَرَاهَا ؟ قَالَ : هَانِيهَا ، قَالَ : رَأَيْتُكَ بِالطَّلَبِ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ دَوْدَانِيَّةٌ ، وَهَدَّ  
أَحَاطَتْ بِكَ حَامِئَةٌ مِنَ الْعِلْمَانِ ، وَأَنْتَ تَمْرُ كُنْصَ هَذَا مَرَّةً بِرَحِيكَ ، وَتَنْطَلِعُ هَذَا مَرَّةً  
بِرَاسِكَ ، وَتَسْكُدُ مَرَّةً بِأَيَّانِكَ ، فَكُلُّهَا مَرَّةٌ يَتَلَوْنَ عَلَيْكَ ، وَهَذِهِ سَلَامٌ ، وَمَرَّةٌ يَدُونَ  
عَيْكَ وَأَنْتَ تَنْقُصُهُمْ ، حَتَّى كَانُوا : وَأَسْتَقْوُوا ؟ عَلَيْكَ ، فَحَشَبُ حَتَّى أَحْرَقْتُكَ مِنْ يَدِهِمْ  
وَأَنْتَ سَيِّمٌ وَكُلُّهُمْ حَرَجٌ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قُلْتُ ذَلِكَ الرَّجُلُ : قَالَ : أَمَا دَاكُ ؟ قَالَ : حَسَنَتْكَ ،  
قَالَ : إِنِّي نَفَيْتُ عَنْ الطَّلَبِ ؟ قُلْتُ : بِالْعِلَامِ ، أَعِيْلَهُ كُلَّ صَفْرَاءَ وَتَيْفٍ ، عِنْدَكَ ، فَطَرَفُوا قِيْعَةً  
كُلَّ مَا يَمْلِكُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ أَرْمَةً وَحُسُونًا لَفِ دِرْهَمٍ . فَأَحْدَثَهَا وَأَنْصَرَفَ ،  
فَطِيلٌ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : أَنْتَ رَأَيْتَ رِبَادًا وَهُوَ عِلَامٌ بِذَلِكَ الْحَالِ ؟ قَالَ : بَلَى وَالْقُدْرُ . لَقَدْ رَأَيْتُهُ  
وَقَدْ أَكْتَفَقَهُ صَنِيعَانِ صَعِيرَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ سِخْلٍ الْقَمِيرِ ، فَلَوْلَا أَنِّي أَدْرَكْتُهُ لَطَعْتُ أَهْمَهَا  
يَأْتِيَانِ عَلَى عَنَسِهِ .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَهُوَ عَمْسُ الْمُنَظَةِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِي حُرْمَةً (٣) ،  
قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : دَبُوتٌ مِنْ دَكَايِكَ يَوْمَ صَيْبِئٍ ، وَقَدْ قَرَّتْ فَرَسُكَ لِنَفَرٍ ، وَأَهْلُ

(١) د : د : قِرَابَتُهُ .

(٢) د : د : حُرْمَةٌ وَصَمَاءُ .

العراق قد رأوا الفتح والظفر ، فقلتُ لك : والله لو كانت هندُ بنتُ عُتبة مكانك ما فرقت  
ولا اختارت إلا أن تموت كرملة أو تمسحَ حميدة ، أين تفرّ وقد قلّدتك العربُ  
أرملة أمورها ، وأعطتك ربيعةً أعتب ! فقلتُ لي : أحبض صوتك لا أم لك !  
ثم تماسكت ومثنت ونابتُ إليك حانثك ، وتمثنت حيثُ يرشع أحفظ منه :  
وقولي كلما حثأت وحلثت مكانك تُحمدي أو تستريحي<sup>(١)</sup>  
فقال معاوية : صدقت ، ودِدْتُ أنك الآن أيا حَمَصت من صوتك ؛ يا غلام أعطه  
حسين ألف درهم ، فلو كنت أحسنت في الأدب لأحسنًا لك في الزيادة .

(١) لابي الإمامة الكامل ٤ : ٦٨ ، وقوله

أَبَتْ لِي مِثْقَى وَابْنِي تَلَايَ      وَاحِدِي الْحَدَّ بِالْمَنْزَنِ الرَّبِيعِ  
وَإِحْشَائِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي      وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الشَّيْخِ

(٦١)

الأصل :

الشَّفِيعُ حَسَّاحُ الطَّالِبِ .

\*\*\*

الْبَنُخ :

حاشى الحديث مرفوعاً : « اشعّوا إلى نواحرنا ، ونفّضى الله على لسان سيّده ما شاء » .

وقال : المأمور لأرواحهم من المهدى لها عصمته : إن أعظمّ يدأ عبدك من عفو عك أن لم أحرّك مرّة لسانى اشاعى .

ومن كلام قابوس بن وشمكير : رند شفيع نورى بارى التجاح ، ومن كفّ المغيرى يُنظر فوراً القداح .

قال الميرد : أنا فى رجل يستشيع فى حاجة ، فأنشدنى لعمه :

إنى قصدتك لا أدلى بممرى ولا بفور ، ولكن قد فتت ريمك  
فتى حيران مكرّوباً يؤرقنى دلى القرب ويمشئى الكرى كرمك  
ولو همتت زفير الرّوف ما عفتت به يداك ولا أفادت له شيمك  
ما زلت أنكب حتى زلزلت قدسى فاحتلّ لتثيتها لا زلزلت قدسك  
قال : فسمعت له وقت بأمره حتى بلغت له ما أحب .

يزرّجهم : من لم يستغن بنفسه عن شفيعه ووسائله وهت قوى أسبائه ؛ وكل إلى

الحرمان أقرب منه إلى بلوغ المراد، ومثله : من لم يرب أوداؤه في احتسابه لم يحفظ بحدّ شعاعه . ومثله : إذا زوت اللؤلؤ فإنّ حسيّ شعيا عندهم أن يغرغوني .

كأنّ الأصف مصعب بن ابرير في قوم حبسهم ، فقال : أصحّ الله الأمير ! إن كل هؤلاء خسوا في باطل فالحقّ يُخرجهم ، وإن كانوا خسوا في حقّ فالعمر يسّمهم ، فأمر بإخراجهم .

آخر :

إذا أت لم تطفئك إلا شعاعة فلا خير في ودّ يكون شافع

حرج العطاء في أيام المصور ، وأقام شقراي - من ولد شقراي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله - بابا أبابا لا يصل إليه عطاؤه ؛ فحرج حمر بن محمد من صد المصور ، فعاد الشقراي إليه ، فدكر له حديثه ، فرحب به ، ثم دخل ثابيا إلى المصور ، وحرج وعطاء الشقراي في كفه قصته وكفه ثم قال : يا شقراي ، إن الحسن من كل أحد حتمّ ، وإنه منك أحسنّ لكالك منا ، وإن التبيح من كل أحد قبيح ، وهو منك أضحّ لكالك منا . فاستحسن الناس ما قاله ، وذلك لأنّ الشقراي كان صاحب شراب . فاعطى كيف أحسنّ السعي في استنجار طليته ، وكيف رحب به وأكرمه مع معرفته بحاله ، وكيف وقطعه ونهاه عن السكر على وجه التوبيخ ! قال الزمخشري : وما هو إلا من أخلاق الأسياء .

كتب سعيد بن حميد شعاعة لرحل : كتابي هذا كتب مؤنّن عن كتيب له ، واثق من كتيب إليه ، ولن يضيع حليله بين الثقة والنهاية إن شاء الله .  
أبو الطيب :

إذا عرّضت حاجّ إليه فنفسه إلى نيه فيها شعيع مشع<sup>(١)</sup>

## [ محمد بن جعفر والنصور ]

كان النصور مَحْصًا بِمَعَادِنَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عُثَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَتَّاسِ ، وَكَانَ النَّاسُ  
لِعَظَمِ قُدْرِهِ عِنْدَ النَّصُورِ يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّمَاعَاتِ وَقِصَصِ الْحَاجَاتِ ، فَتَمَثَّلَ ذَلِكَ عَلَى  
النَّصُورِ فَتَحَبَّبَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ تَذَمَّتْهُ نَفْسُهُ ، حَدَّثَ الرَّبِيعَ بِهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ لَا صَرَلَ  
عِندَهُ لَكُنَى قَدْ دَكَّرَتْ شَمَاعَاتِهِ ، قَالَ الرَّبِيعُ : أَمَا أَشْرَطَ أَلَّا يَعُودَ ، فَكَلَّمَتْهُ الرَّبِيعُ ،  
فَقَالَ : نَسَمَ ، فَكَيْتَ أَمَّا لَا تَسْمَعُ ، ثُمَّ وَقَفَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَبْرِيٍّ بِرَفَاعٍ وَهُوَ  
يُرِيدُ دَارَ النَّصُورِ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْسِهِمْ ، فَصَنَعَ عَلَيْهِمُ الْقَصَّةَ ، فَصَرَعُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ ،  
فَقَالَ أَمَّا إِذَا بَيَّتُمْ بِهَذَا الشُّدْرِ فَإِنِّي لَا أَقْبِضُهَا مَعَكُمْ ، وَلَكِنْ هَبُّوا لَهَا حِمْلَهَا فِي كُنَى ،  
فَدَفَعَهَا فِي كَنَفِهِ ، وَدَخَلَ إِلَى النَّصُورِ وَهُوَ فِي الْخَضِرَاءِ يُشِيرُ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ  
وَمَا حَوْلَهَا بَيْنَ النَّسَابِينَ وَالصَّيَّاعِ ، فَدَرَّ لَهُ . أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا ؟ قَالَ : عَلَى يَا أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ يَا آتَاكَ ، وَهَذَاكَ بِأَعْيُنِهِ عَلَيْهِمْ مَا أَعْصَاكَ إِذَا بَيَّتَ الرَّبُّ فِي دُونِ  
الْإِسْلَامِ ، وَلَا الْعَقَمُ فِي سَائِلِ الْأَيَّامِ ؛ أَحْصَى وَلَا أَحْصَى مِنْ مَدِينَتِكَ ، وَلَكِنْ سَمَّجَتْهَا  
فِي عَيْنِي حَصْنَةً ، قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : بَيْسَ لِي فِيهَا صَيِّمَةٌ ، فَصَحَّيْتُكَ وَقَالَ : نَحْصَنُهَا  
عَيْنُكَ ، ثَلَاثُ صَيَّاعٍ قَدْ أَطْلَقَتْكَ ، قَالَ : أَسْتَ وَتَقَرُّ يَا أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرِيفُ الْوَارِدِ ،  
كَرْبَهُمُ الْمَسَايِدُ ، حَمَلَ اللَّهُ نَاقِيَّ عَمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَاسِيهِ ، وَحَمَلَتْ الرِّقَاعُ تَدْرُ مِنْ كُنْفِهِ فِي  
أَثْنَاءِ كَلَامِهِ وَحِطَابِهِ لِلنَّصُورِ ، وَهُوَ بَاتَتِ بِبِهَا وَيَقُولُ : لِرَحْمَنِ حَسَنَاتٍ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى  
حَدِيثِهِ ، فَقَالَ النَّصُورُ : مَا هَذِهِ تَحْتَقِي عَلَيْكَ ؟ أَلَا أَعْلَمْتُ حَبْرَهَا ! فَأَعْلَمَهُ ، فَصَحَّيْتُكَ فَقَالَ :  
أَبَيَّتَ يَا بَنِيَّ مَعْلَمَ الْخَطِيرِ إِلَّا كَرَّمَا ! ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَنَّا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى الْأَحْصَابِ تَشَكِّلُ<sup>(١)</sup>  
 مَنِّي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا مَنِّي وَفَعَلَ بِشَلِّ مَا فَعَلُوا  
 ثُمَّ أَخَذَهَا وَتَصَفَّحَهَا وَوَقَعَ فِيهَا كَلَمًا بِمَا صَلَبَ أَصْحَابُهَا .  
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حُمْقَرٍ : غُرِحتُ مِنْ عَمْدِهِ وَقَدْ رَحتُ وَأَرْسَحتُ .

\*\*\*

قال المرتد لعبد الله بن يحيى بن خاقان : أيا أشجع إليك أصلحك الله في أمر فلان، فقال  
 له : قد سمعت وأطعت ، ووافقت في أمره كداء في كل من نصر فلي ، وما كل من رباة  
 فله ؛ قال المرتد : أنت . . . أطال الله فناءك . . . كما قال زهير :

وَحَارِ سَارَ مَعْتَصِدًا إِلَيْنَا أَحَابَتُهُ الْخَافَةُ وَالزَّحَاةُ<sup>(٢)</sup>  
 صَمًا مَالَهُ فَمَدَّ سَلْبًا عَيْنَ نَفْعِهِ وَلَهُ النَّصَاءُ

وقال ذوقيل :

وَإِنْ أَمْرًا أُنْذَى إِلَيَّ نَافِعَ إِلَيْهِ وَبَرَّخُو الشُّكْرَ مَنِّي لِأَحْوَى<sup>(٣)</sup>  
 شَعِيمُكَ يَا شُكْرَ الْخَوَانِجِ إِهْ يَصُولُكَ عَنِ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَحْنَقُ  
 آخِر :

مَضَى رَمَى وَالنَّاسُ يَسْتَشْفَعُونَ بِي مَهْلُ لِي إِلَى بَيْتِ الْقَدَاةِ شَعِيمُ !  
 آخِر :

وَسَتُّ لَيْلِي أُرْسَلْتُ بِشَاعِقَةٍ إِلَى ، مَهْلًا تَقْسُ لَيْلِي شَعِيمُهَا<sup>(٤)</sup>  
 أَلَا كَرَمٌ مِنْ لَيْلِي عَنِّي فَتَنَنِي بِهِ الْخَاءُ ، أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا !

(١) ق ٥ : « كرم » (٢) ديوانه ٧٧ .

(٣) ديوانه ١١٢ . (٤) النجوى ، ديوانه ١٩٥ .



آخر :

وَمَنْ يَكُنِ الصَّلُّ بِمُحْيِي بْنِ خَالِدٍ شَيْئاً لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَنْتَحِ

آخر :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَشَدَّى إِلَيْكَ صِلَةً مِنْ حَامِدٍ ، فَكَاتِبُهَا مِنْ مَالِهِ  
وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ :

وَعَطَاهُ عَسِيرَتَ ابْنِ بَدَدَ مَتَّ عَسَايَةً فِيهِ عَطَاؤُكَ

ابن الرومي :

يَنَامُ الَّذِي اسْتَعْلَاكَ فِي الْأَمْرِ إِيَّاهُ إِذَا انْقَطَعَ النَّهْرُ مِثْلَكَ بَاباً  
كَمْيَ الْعَوْدُ مِنْكَ الْبَدَأُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَخَرُودَتِ لِلْخُلَى فَكُنْتَ حُسَامَا  
فَالِقَ تَقْشُرَ فِي يَدَيَّ عَنْ صَرْبَتِي وَمِ أُرْتِ مِنْ هَرَبٍ وَكَبْ كِهَامَا !

(٦٢)

الأنزل :

أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يَسَارُهُمْ وَهُمْ يَسِيرُونَ .

• • •

الشرح :

هذا التشبيه واقع وهو صورة الحال لا محالة :

وقد أيت بهذا المعنى في رسالة لي كتبتم إلى بعض الأصدقاء تربية ، قلت :  
« ولو تأمل الناس أحوالهم <sup>(١)</sup> ، وتبينوا ما بهم ، لعلموا أن الله بهم بركة ،  
والساكن إلى سكره ، أحسن يرى به وهو لا يرى ، وراكب بحر يحرق به  
وهو لا يدرك » .

---

(١) : « في أحوالهم » .

(٦٣)

الأصل :

لَقَدْ أَجَحَّ عُرْمَةً .

• • •

الشرح :

مثلُ هذا قولُ الشاعر :

فَلَا تَحْسَى أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي بَدَى      وَلَكِنْ مَنْ تَأَيَّنَ عَنْهُ غَرِيبٌ<sup>(١)</sup>  
وَمِثْلُهُ هُوَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْغَرِيبُ مَنْ بَدَى لَهُ حَبِيبٌ » .

وقال الشاعر :

أُسْرَةُ النِّسَاءِ وَالِدَاءِ وَفِيهَا      بَيْنَ حِصْنَيْهِمَا الْحَيَاءُ يَطِيبُ<sup>(٢)</sup>  
وإِذَا وَلَّيْنَا عَنْ الْمَرْءِ يَوْمًا      مَهْرًا وَ النَّاسِ أَحْمَى لَا غَرِيبُ  
وقال آخر :

إِذَا مَا مَضَى الْقُرُونُ الَّذِي كَتَبْتُمْ      وَحُلَّتْ فِي قُرُونٍ فَانَتْ غَرِيبٌ<sup>(٣)</sup>

(١) دأى : بدى . (٢) الحصن : ما دون الإبط إلى الكشح .

(٣) القرون : الجيل من الناس .

(٦٤)

الأصل :

قَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَى مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا .

\*\*\*

البشرح :

قد سَقَى هذا المعنى ، ودَكَرْنَا كثيراً مما قيل فيه

وكل يقال : لا تَطْلُبُوا الخَوَانِجَ إِلَى ثَلَاثَةِ ٠ إِلَى عَشْرٍ بقول : الأمرُ إِلَى عِزِّي ،

وإِلَى دُحْلِ حَدِيثِ إِيْسَى ، وَإِلَى تَاجِرِهِ هِمَّتُهُ أَنْ يَسْتَرْيَحَ فِي كُلِّ عَشْرٍ دَيْسِلًا

حُتَّةً وَاحِدَةً<sup>(١)</sup> .

(٦٥)

الأصل :

لَا تَسْتَحِرُّ مِنْ إِبْطَاءِ الْقَلِيلِ ، فَبَرُّ نَجْرٍ مَنْ أَمَلُ مِنْهُ .

• • •

التشريح :

هذا نوعٌ من الخلق على الإفصال والبعود لطيف ، وقد استعمل كثيراً في الهدية والاعتذار لبقائها ؛ وقد ندم ما قول الشاعر في مدح السقاء والحدود .

وكأن يقال : أميل على من شئت تكن أميره ، واحسب إلى من شئت تكن أسيره ، ولست بمنزلة من شئت تكن يطريره .

وسئل أرسطو : هل من جود يستعدع أن يُبادل به كلُّ أحد ؟ قال : نعم ، أن تنوي الخير لكلِّ أحد .

(٦٦)

الأنضل :

الْفَكَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

\*\*\*

البُزْجُ :

من الآيات الشهيرة :

فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مَتَّخِعًا وَتَحَمِّلَ  
وَمَنْ أَمْلَأَهُمُ الشَّهْوَةُ : « تَحَرَّعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بَنَدُيبُهَا »<sup>(١)</sup> .

وأشد الأنصمى ليعصم :

أَقِيمْ بِاللَّهِ لَمَسُ اسْوَى      وَشَرِبْ مَا الْقُلُوبِ الْمَالِحَةِ  
أَحْسَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِنْ دَلِيلٍ      وَمِنْ حُزْنِ الْأَوْحَادِ السَّالِحَةِ  
طَسْتَعْنِ بِاللَّهِ تَكُنْ دَارِعِي      مُتَّقِيًا مَالِصَةً الرَّاحَةِ<sup>(٢)</sup>  
طَوْبَى لِمَنْ تُصْبِحَ مِيزَانُهُ      يَوْمَ يُبْلَى رَبُّهُ رَاحَةً

وقال بعضهم : وقتتُ على كَرِيمٍ وَفِي أَسْمِهِ كِتَابٌ ؛ وَهُوَ يُبَشِّرُ :

وَأَكْرَمُ نَفْسِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      إِلَّا بِإِكْرَامِ السَّمْعِ مِنَ الْفَقْرِ

(١) للمداني ١ - ٨١ ؛ قال : أَيْ لَا تَكُوبَ طُغْرًا وَبِزْ أَدْلَاهَا الْخَوْصَ . وَيُرْوَى « وَلَا تَأْكُلْ بَنَدُيبَهَا »

لَنْ : « وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ سَيْلٍ الْأَسَدِيُّ » فِي حَرْفٍ مَعْرُوفٍ ذَكَرَهُ هَذَا .

(٢) ب : « مَبْجُوعًا » تَحْرِيفٌ .

وَأَجْزَلُ بِالْفَضْلِ الْمُبِينِ عَلَى الْإِلَهِ      رَأَيْتَهُمْ لَا يُكْرِمُونَ ذَوِي الْفَضْلِ  
وَمَا شَأْنِي كَدُّهُ الْكَثِيفُ وَأَنَا      بَشِيرٌ الْعَتَى أَنْ يَحْتَدِيَ مَائِلَ النَّذْلِ<sup>(١)</sup>  
وَأَصْحُ مِمَّا بِي وَتَوَفِّي مُؤَمَّلًا      نَوَالٍ فَتَى مِثْلِي ، وَأَيَّ فَتَى مِثْلِي !  
وَأَمَّا كَوْنُ الشُّكْرِ زِينَةً أَلْمَى ، فَقَدْ تَعَدَّمْ مِنْ الْقَوْلِ مَا هُوَ كَالِي .  
وَكُلُّهُ يُقَالُ : الْعِلْمُ بَعِيرٌ عَمَلُهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ ، وَاسْمُهُ بَعِيرٌ شُكْرٌ حَيْدٌ عَاطِلٌ .

(١) المثل : المحقق من الناس في جميع أحواله .

(٦٧)

الأسد :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ ، فَلَا تُسَلِّ كَيْفَ كُنْتَ !

\*\*\*

البنخ :

قد أُنعم تفسيرُ هذه الكلمة على جمعة من الناس ، وقالوا : اشتهر في كلام الحكماء :  
إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِذْ مَا يَكُونُ ، وَلَا مَسَّ لِقَوْلِهِ : « فَلَا تُسَلِّ كَيْفَ كُنْتَ » ! وَحَمَلُوا  
مُرَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ .

وَمُرَادُهُ : إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ هَلَّا تُسَلِّ بِذَلِكَ ، أَيْ لَا تَكْتُمُ مَوْتَ مُرَادِكَ  
وَلَا تَبْتِئَ بِالْخُرْمَانِ ، وَلَوْ وَقَفَ عَلَى هَذَا لَمْ يَكَلِّمْ وَكَمَّلَ الْمُنَى ، وَصَارَ هَذَا مِثْلَ  
قَوْلِهِ : « فَلَا تُكْثِرْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا أَسَدًا » ، وَمِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى  
مَا فَاتَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ لَكِنَّهُ تَمَّ وَاسْتَفْظَلَ : « كَيْفَ كُنْتَ » ، أَيْ لَا تُسَلِّ مَوْتَ مَا كُنْتَ  
أَمَلْتَهُ ، وَلَا تَحْمِلْ لَدَاكَ هَذَا كَيْفَ كُنْتَ ، وَعَى أَيْ حَالُ كُنْتَ ، مِنْ حَسَنٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ  
فَقْرٍ أَوْ فَقْدٍ حَبِيبٍ ، وَعَى الْجَلَّةُ ، لَا تَبَالِي الدَّهْرُ ، وَلَا تَكْتَرِثُ بِمَا يَعْكِسُ عَلَيْكَ مِنْ  
مَرَضِكَ ، وَبِحَرَمِكَ مِنْ أَمَلِكَ ؛ وَلَيْسَ هَذَا الْإِقْوَالُ ، وَالْأَحْتَارُ لَهُ مِمَّا نَعْتَمِدُهُ دَائِمًا  
عَلَى أَيْ حَالِ أَفْضَى بَكَ الدَّهْرُ إِلَيْهَا . وَهَذَا وَاضِحٌ .



# (٦٨)

الأفضل :

لَا يُرَى الْخَاطِلُ إِلَّا مُعْرِطًا أَوْ مُعْرِطًا .

\*\*\*

الشرح :

إسْدَالَةٌ هِيَ الْخُلُقُ التَّوَسُّطُ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَدْمُومٍ ، «الشَّجَاعَةُ مَحْمُودَةٌ بِالنُّهْوَ  
وَالْحَقُّ ، وَالنَّكَاحُ ، وَالْمَعَادَةُ ، وَالْحُرْبَةُ»<sup>(١)</sup> ، وَالجُودُ ، وَالتَّبَذِيرُ ، وَالْحِلْمُ بِالْمُحَادَّةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ ،  
وَعَلَى هَذَا كُلِّ حَدِيثٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ بَيْنَهُمَا خُلُقٌ مُوَسَّطٌ ، وَهُوَ السَّمِيُّ بِالْمَدَالَةِ ، ذَلِكَ  
لَا يُرَى الْخَاطِلُ ، لَا مُعْرِطًا أَوْ مُعْرِطًا ، كصاحب النعرة ، فهو إما أن يعرط فيها ، فيخرج  
عن الدون الصحيح فيعار لا مِنْ مَوْحٍ ، بل بِالْوَقْمِ وَبِالْحَيْسَالِ وَالنُّسْوَاسِ ، وَإِنَّمَا أَنْ  
يُعْرِطَ فَلَا يَبْحَثُ عَنْ حَالِهِ دَائِمًا وَلَا يُبَالِي مَا صَدَقَ ، وَكَلَّا الْأَمْرَيْنِ مَذْمُومٌ ،  
وَالْمَحْمُودُ الْإِعْتِدَالُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لِمَعْزِ الْحَكَمَاءِ<sup>(٢)</sup> . إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ التَّحَمُّ<sup>(٣)</sup> بِالْأَدَبِ كَالْتِهَامِ<sup>(٤)</sup> الطَّعَامِ  
بِالْحَسَنِ الصَّحِيحِ ، وَإِذَا مَرَّ مِنَ الْقَلْبِ شَيْءٌ مَا يَسْتَمِعُ مِنَ الْأَدَبِ كَمَا يَقْبَلُ الْقَعُودُ مَا أَكَلَ  
مِنَ الطَّعَامِ ، فَوَ أَرَى الْخَاطِلُ أَنْ يَسْلَمَ شَيْئًا مِنَ الْأَدَبِ تَنْحَوُّ ذَلِكَ الْأَدَبُ جَهْلًا ، كَمَا  
يَتَحَوَّلُ مَا حَاطَ جَوْفَ اللَّيْصِ مِنْ طَبِيعِ الطَّعَامِ ذَلِكَ .

(١) الحُرْبَةُ : الْحُبُّ وَاللُّكْرُ . (٢) : « وَمِنْ كَلَامِ الْحَكَمَاءِ » .

(٣) : « التَّحَمُّ » . (٤) : « كَالْتِهَامِ » .

(٦٩)

الأصل :

إِذَا تَمَّ الْعَمَلُ قَصَّ الْكَلَامُ .

\*\*\*

الشرح :

قد سبق القولُ في هذا المعنى .

وكل يقال : إذا رَأَيْتَ الرَّحْلَ <sup>(١)</sup> يَطِيلُ الْمَسِيرَ وَيَهْرُبُ مِنَ النَّاسِ ، فَاقْرُبُوا مِنْهُ  
فَإِنَّهُ يُلْقِي الرُّكْمَةَ .

مركز تحقيق وتوثيق التراث الحضاري والحضاري

# (٧٠)

## الأمنل .

الدَّهْرُ يُبْحِنُ الْأَمَانَ ، وَيُحَدِّدُ الْأَمَانَ ، وَيُرَبِّبُ اللَّيَّةَ ، وَيُعِيدُ الْأُمِّيَّةَ . مَنْ  
طَفِرَ بِرَ نَصَبَ ، وَمَنْ فَانَهُ نَصَبَ .

\*\*\*

## الشيخ :

قد سبق لنا قول طويل عريض في ذكر الدهر والديا ، ونذكر الآن شيئاً آخر ، قال  
بعض الحكماء : الدَّيَّاسَةُ رَتْخَةٌ ، وَتُعِيدُ التَّكِيدَ ، كَمِ دَقِيرٍ فِي طَلَبٍ قَدْ أَبْطَلَهُ ، وَوَاتَّقِهَا  
فَدَحْلَتُهُ ، هَذَا الْخَلْقُ عُرِفَتْ ، وَعَلَى هَذَا التَّرْطُطُ صُوجِتْ .

وكتب الاسكندر إلى أرسطوطاليس : عِصْنِي ، عِصْنِي : إِذَا صَفَتْ لَكَ  
السَّلَامَةُ مَجْدَدُ دِكْرِ الْمَلِكِ ، وَإِذَا اطْمَأَنَّ بِكَ الْأَمْنُ فَاسْتَمِرَّ الْخُلُوفَ ، وَإِذَا بَلَّغْتَ  
نَهَايَةَ الْأَمْسَلِ فَادْكُرِ الْمَوْتَ ، وَإِذَا أَحْبَبْتَ صَدِّقَكَ فَلَا تَحْمِلْ لَهَا نَصِيحاً فِي الْإِسَاءَةِ ، وَقَالَ  
شاعر فأحسن :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ فَأَحَارَ مَنْ مَضَى	وَلَمْ تَرَ بِالْبَاقِينَ مَا مَضَى
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَخُذْ دِيَارَهُمْ	قَدْ هِيَ أَحْمَالُ الرِّيحِ بِمَدَارِكَ وَأَقْفَارُهُ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَكَ حَيًّا تَعْرِلُ	عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا بِأَسْرَارٍ لَهُ قَبْرُهُ
فَلَا تَحْسِنِ الْوَقْرَ مَسَالًا جَعَلَتْهُ	وَلَكِنْ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَقَرُّهُ

مَصَى جَامِدُ الْأَمْوَالِ لَمْ يَرَوْدُوا      سَوَى الْفَقْرِ يَا بُرْسَى لَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ ۱  
 حَتَّامٌ لَا تَصْحُوْ وَفَدَ قَرَبَ الَّذِي      وَحَتَّامٌ لَا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ الشُّكْرُ ۱  
 عَلَى سَوْفٍ تَصْحُو حِينَ يَكْتَسِبُ الْبَطْلُ      وَتَذَكُرُ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْصَعُ الذِّكْرُ  
 وَمَا بَيْنَ مِيلَادِ النَّفْسِ وَوَفَاتِهِ      إِذَا انْتَصَحَ الْأَقْلَامُ أَعْسَهُمْ عُمرٌ (١)  
 لِأَنَّ الَّذِي يَأْتِيهِ شَيْءٌ الَّذِي مَضَى      وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الْغَيْثُ الْتَرَرُ  
 فَصِرًا عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَجُورَهَا      فَمَتَى قَلِيلٌ بِسَدِّهَا يُحَمَّدُ الصَّبْرُ

(٧١)

الأصل :

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَكَتَبَ أَنْ يَدَّ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَتْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ؛  
وَلَيْكُنْ تَأْذِيَهُ بِغَيْرِهِ قَتْلَ تَأْذِيهِ بِلِسَانِهِ ، وَمَعْلَمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ  
مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّهِمْ .

\*\*\*

الشرح :

البروع نامة للأصول ، فإذا كان الأصل موجبا استحصال أن يكون المرع مستقيا ،  
كما قال صاحب المثل : « وهل يستقيم العزل والغود أهوج » ، فمن نصب نفسه للناس إماما ،  
ولم يكن قد علم نفسه ما انتصب ليعلمه الناس ، كان مثل من نصب نفسه ليُعلم الناس  
الضيافة ، والتجارة ، وهو لا يُحسِن أن يصوغ حنفا ، ولا ينفخ لocha ، وهذا نوع من السفه ،  
بل هو السفه كله ، ثم قال عليه السلام : ويصبي أن يكون تأذيه لم عمله وسيرته  
قبل تأذيه لم بلسانه ، وذلك لأن العمل أدنى على حال الإنسان من القول .

ثم قال : ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم . وهذا حق ،  
لأن من علم نفسه عاين الأخلاق أعطى قدرا عمن تعامل تعليم الناس ذلك وهو غير حاصل  
بشيء منه ، فأما من علم نفسه وعلم الناس فهو أفضل<sup>(١)</sup> وأجل ممن اقتصر على تعليم نفسه  
فقط لا شهمة في ذلك .

(١) ١ : « وأعلم » .

(٧٢)

الأصل :

نَفْسُ الْمَرْءِ حُطَّاءُ إِلَى أَحَبِّهِ .

• • •

البشرح :

وحدث هذه الكلمة مسبوقةً إلى محمد الله بن النمر في فصله أوله : « اساس  
وقد البلاد ، وسكان النرى ، وأعس الحى حُطَّاء إلى أحله ، وأمه خلدع له عن قمله ،  
وللدنيا كذب وبعديه ، والسن أقرب أعديه ، والوث ماطر إليه ، ومستطرفيه أمراً  
يُنصيه » فلا أدري هل هي لابن النمر ، أم أخذها من أمير المؤمنين عليه السلام !  
والظاهر<sup>(١)</sup> أنها لأمير المؤمنين عليه السلام ، فإنها بكلامه أشبه ، ولأن الرضى  
قد رواها عنه ، وحرر القتل معمول به .

(١) : ١ : « وظهر » .

(٧٢)

الأصل :

كُلُّ مَعْدُودٍ مُقْتَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ .

\*\*\*

البُيُخ :

الكلمة الأولى تؤكد مذهب جمهور المتكلمين في أن العالم كله لابد أن ينفى ونفى ، ولكن المتكلمين الداهيين إلى هذا القول لا يقولون : يجب أن يكون هيا ومسعى لأنه معدود ، بل ذلك لا يبرم ، ومن الجار أن يكون معدودا ولا يجب صاؤه ، ولهذا قال أصحابنا : « علمنا أن العالم يمتد عن طريق السمع لا من طريق العقل ، فوجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن ما يصدق ذلك ، وهو أنه ليس يعني أن العدد علة في وجوب الانقضاء ، كما يشعر به ظاهره ليطه ، وهو الذي يسميه أصحاب أصول الفقه إجماع ، وإنما مراده <sup>(١)</sup> كل معدود « عطفوا أنه من ومسمى ، فقد حكم على كل معدود بالانقضاء حكما محررا عن العلة ، كما لو قيل : زيد قائم ، ليس يعني أنه قائم ، لأنه يسمى زيدا .

فأما قوله : « وكل متوقع آت » فيأمله قول العامة في أمثالها : « لو انتظرت القيامة لقامت » ؛ والقول في نفسه حق ، لأن المتقلاء لا ينتظرون ما يستحيل وقوعه ، وإنما ينتظرون ما يمكن وقوعه ، وما لابد من وقوعه ، فقد صح أن كل متطر سيأتي .





(٧٥)

## الأصل :

ومن خبر ضرار بن ضمرة السَّابِيَّ عَدَّ دَحُولَهُ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَمَسَّأَلَتْهُ عَنْ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ لِفَدِّ رَأْيَتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِعِهِ وَقَدْ أَرْحَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ  
وَهُوَ قَائِمٌ فِي حِمَارِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَنَّمُ تَمَنُّعَ السَّلِيمِ ، وَيَسْكَى سَكَاةَ الْحَزِينِ ،  
وَهُوَ يَقُولُ :

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا بِبَيْتِكَ عَسَى ، أَوْ تَمَرَّضْتُ ، أَمْ لِي تَشَوُّقٌ ! لَا حِلَّ حَيْثُكَ ،  
هَيْهَاتَ ، عُرَى قَبْرِى ، لَا حَاحَةَ لِي فِيهِ ، قَدْ طَلَّقْتُكَ نَلَاتًا ، لَا رَجْمَةَ فِيهَا ،  
مَيْتُكَ مَيِّبٌ ، وَحَطَرُكَ بَيِّبٌ ، وَأَنْتَ خَيْرُ آوِيَةٍ مِنْ قَلْعَةِ الرَّادِ ، وَطُولِ الطَّرِيقِ ،  
وَبُعْدِ السَّعْرِ ، وَعَظِيمِ الْأَمُورِ !

\*\*\*

## الشرح :

السُّدُولُ : جَمْعُ سَدِيلٍ ، وَهُوَ مَا أُسْدِلَ عَلَى الْخَوْدِجِ ، وَيَحْمِزُ فِي جَنْبِهِ أَيْصًا أُسْدَالٌ  
وَسِدَائِلُ ، وَهُوَ هَاهُنَا اسْتِمَارَةٌ . وَالتَّمَنُّعُ وَالتَّمَنُّعُ أَيْصًا : عَدَمُ الْاسْتِقْرَارِ مِنَ الْمَرْضَى ، كَمَا  
عَلَى مَكَّةَ ، وَهِيَ الرَّمَادُ الْحَارَّةُ .

وَالسَّلِيمُ : الْمُسَوِّعُ .

وَيُرْوَى « تَشَوَّقْتُ » بِالْعَافِ .

وَقَوْلُهُ : « لَا حِلَّ حَيْثُكَ » ، دَعَاءٌ عَلَيْهِ ، أَيْ لَا حَصْرَ وَقْفَتِكَ ، كَمَا يَقُولُ : لَا كُنْتُ .

فأما خِرَارُ بْنُ خُزَّامَةَ ، فَبْنُ الرَّيْثِيِّ رَوَى حَرَّةً ، وَتَفَلَّتُهُ أُمًّا مِنْ كَتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَلَبِيِّ فِي "التَّحْقِيقِ عَلَى تَوْحِيدِ السَّلَاحَةِ" ، قَالَ : دَخَلَ خِرَارٌ عَلَى مَعَاوِيَةَ - وَكَانَ خِرَارٌ مِنْ صَحَابَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا خِرَارُ ، صِفْ لِي غَلِيًّا ، قَالَ : أَوْ تَنْعِيي ! قَالَ : لَا أَفْعِيكَ ، قَالَ : مَا أَصَفَ مِنْهُ أَكْبَرُ (١) وَاللَّهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، يَمِيدُ أَعْدَى ، يَتَفَخَّرُ بِسِلْمٍ مِنْ أَنْحَاثِهِ ، وَالْحِكْمَةُ مِنْ أَرْحَامِهِ ، حَسَنَ الْمَعَاشِرَةِ ، سَهْلَ الْمَعَاشِرَةِ ، خَشِنَ الْمَأْكَلِ ، فَصِيرَ اللَّبَاسِ ، عَزَبَ الْعَبْرَةَ ، طَوِيلَ الْعِصْرَةَ ، يَتَقَبَّ كَعَمَّهُ ، وَيَحَاطِبُ نَعَمَهُ ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُحَيِّنُنَا إِذَا سَأَلْنَا ، وَيَسْتَدْرِئُنَا إِذَا سَكَنَّا ، وَنَحْنُ مَعَ تَقْرِيرِهِ لِنَسْأَلُ شَيْءَ مَا يَكُونُ مَسَاحِبُ لِمَا حَبِرَ هَيْبَةً ، لَا يَسْتَدْنِهُ السَّكَلَامُ لِمَعْنِيَّتِهِ ، يَحْتَمِلُ السَّائِكِينَ ، وَيَقْرُبُ أَهْلَ الدَّيْنِ ، وَأَشْهَدُ لَدُنَّ رَأْيَتِهِ فِي أَمْرِ مَوَاقِفِهِ . . . وَتَحَامُّ السَّكَلَامِ مَذْكُورٌ فِي الْكِتَابِ .

وَدَكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي كِتَابِ "الْأَسْتِغْنَاءِ" ، هَذَا الْحَرَّةَ ، هَذَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بِمُحَمَّدِ بْنِ عَائِدَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلَّةَ النُّمَيْدِيِّ بِمَعْرِفَةٍ . وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُسْكَلِيُّ ، عَنْ الْخُرَّمَارِيِّ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ تَحْمِذِلٍ ، قَالَ : قَالَ مَعَاوِيَةُ لَخِرَارِ الصَّبَاحِ (٢) : يَا خِرَارُ صِفْ لِي غَلِيًّا ، قَالَ : أَصْعَقِي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : تَتَعَبِيَّتُهُ ؟ قَالَ : أَمَّا إِذَا لَابَدْتَ مِنْ وَصِيهِ ، فَكَانَ وَاللَّهِ نَمِيدَ الدَّيْنِ ، شَدِيدَ الْقُوَى ، بِعَوْلِ فَضْلًا ، وَبِحُكْمٍ عَدْلًا ، يَتَفَخَّرُ بِالسِّلْمِ مِنْ خَوَارِيزِهِ ، وَتَنْطَلِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، تَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّيَا وَرَهْرِيَّتِهَا ، وَيَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، [وَكَانَ] (٣) غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْعِصْرَةِ ، يُنَجِّبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنْ السَّلَامِ مَا حَسُنَ . كَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُحَيِّنُنَا إِذَا سَأَلْنَا ، وَيُسْتَدْرِئُنَا إِذَا اسْتَقْبَلْنَا ، وَنَحْنُ وَاللَّهِ

(١) ب : « وَكَانَ » ، وَالصَّوَابُ : « أَتَيْتُهُ » (٢) فِي الْأَسْتِغْنَاءِ : « الصَّبَاحُ » .

(٣) مِنَ الْأَسْتِغْنَاءِ .

مع تفرقه إيانا ، وفريقه منا ، لا سكاك سكتهم هيبته له . يعظم أهل الدين ، ويقرّب  
 الساكبين . لا يقطع القوي في ماطه ، ولا ينس الصميف من عدله ؛ وأشهد لقد رأيتُه  
 في بعض مواقفه وقد أرحى الليلُ سُدولَه ، ونارتْ نحوُمُه ، قابصا على لحيته ، يتملّص  
 كتملّص السليم<sup>(١)</sup> ، ويسكي بكاء الحزى ، ويقول : يا دُنْيا عَرَى عَيْرِي ، أَيْ<sup>(٢)</sup> تَمَرَحْتَ !  
 أم إلى تشوّفتِ ! هيهاتَ هيهاتَ ! قد بايتُك ثلاثا لا رجعة لي فيها ، فمُركَ قَسيرٌ ،  
 وحطركَ حقير ! آه من قِنّة الزاد ، وتُد التمر ، ووَحشة الطريق ! فبكي معاوية وقال :  
 رَحِمَ اللهُ أبا حسن ، كان والله كدلك ؛ فكيف حُرُنْكَ عليه يا فِرار ! قال : حَرْنُ  
 مَنْ ذُبِحَ ولَدُها في جِصْرِها<sup>(٣)</sup> .

(١) السليم : اللدبع . (٢) الاستحياب : « أَيْ » .

(٣) الاستحياب ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، وهو أيضا في أمال الخال ٢ : ١٤٧ .

(٧٦)

الأصل :

ومن كلامه عليه السلام للسائل الشاى لما سأله : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره ؟ بمد كلام طويل هذا مختاره :

وَبِحَافِكَ ! لَنَلَّكَ طَمَعٌ قَمَاءٌ لَا رِمَا ، وَقَدَرًا حَاتِمًا ! لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، لَبَطَلَ  
التَّوَابُ وَالنِّقَابُ ، وَسَقَطَ التَّوَعُّدُ وَالتَّوَعُّدُ ! إِنَّ اللَّهَ سَخَّاهُ أَمْرَ مَبَادِهِ تَحْيِيرًا ، وَنَهَاهُمْ  
تَحْذِيرًا ، وَكَفَلَ بَسِيرًا ، وَلَمْ يُكَلِّفْ حَمِيرًا ، وَأَعْظَمَ عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا ، وَلَمْ يُنْصَرِ  
مَعْلُومًا ، وَلَمْ يُطْعَمْ مُكْرَهًا ، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَمَا ، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِمَعْيَادِ  
هَئِنَا ، وَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مَاطِلًا ؛ ( ذَلِكَ طَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَوْبِلُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ) .

• • •

الشرح :

قد ذكر شيخنا أبو الحسين رحمه الله هذا الخبر في كتاب " الترتد " ودواء عن  
الأصمعي بن نامة ، قال : قام شيخ إلى علي عليه السلام فقال : أحرنا عن مسيرنا إلى الشام ،  
أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال : والذي فتن الحبة ، وبرأ النعمة ، ما وطننا موطنًا ،  
ولا حبطننا وادبًا إلا بقضاء الله وقدره . فقال الشيخ ! فمد الله أحسب عناي ! ما أرى لي  
من الأجر شيئًا ! فقال : مه ! أيها الشيخ ، لقد عظم الله أجركم في سيركم وأنتم سائرون ،  
وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالناكم مكرهين ،

ولا إليها مضطربين . فقال الشيخ : وكيف انفصاه والصدْر سابقاً ؟ فقال : وَيُخْثَك ! لمُثْكَ  
ظننت قصاه لازماً ، وقدرًا حتمًا لو كل ذلك كذلك بطل التواب والمقاب ، ولو عُد  
والوعيد ، والأمرُ والنعى ، ولم ثابَ لائمةٍ من الله لمُذِيب ، ولا تحملة لمُحْسِن ،  
ولم يكن المُحْسِن أولى بالمدح من السيء ، ولا السيء أولى بالذم من المُحْسِن ؛ تلك مقالة  
عناد الأوثان ، وحود الشيطان ، وشهود الزور ، وأهل السمى عن الصواب ،  
وهم قدرية هذه الأئمة ومحوسها ؛ إن الله سبحانه مُرْتَحِيْرًا ، وسَهِيْ مُجْدِرًا ، وكَلَف  
بسيرًا ، ولم يُنْقِصْ معلوماً ، ولم يُطْعْ مُكْرَهاً ، ولم يُرْسِلِ الرسلَ إلى خلقه عتً ، ولم يَخْلُقِ  
السموات والأرض وما بينهما ماطلاً ( حِكْ عَلَى أَدْبِي كَعَمُوا هَوِيْلَ لَدْبِي كَعَمُوا  
من النار )<sup>(١)</sup> قال الشيخ : ها القَصاء والصدْر اللذان ما سِرنا إلّا بهما ؟ قال : هو الأمرُ  
من الله والحُكْمُ ، ثم تلا قوله سبحانه : ﴿ وَقَصَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا بِيَّاهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ،  
فهو الشيخُ مسروراً وهو بقَوْلٍ

أَتِ الْإِمَامُ الَّذِي تَرَوْهُ بَدَعْتُهُ يَوْمَ النُّشُورِ مِنَ الرَّحْمَنِ رِضْوَانًا

أَوْصَحَتْ مِنْ دِينِيَا مَا كَانَ مُعْتَبَرٍ حَرَاكَ رَبُّكَ عَمَّا فِيهِ إِحْسَانًا

ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو الْحُسَيْنِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْقَصَاءَ وَالْمَقْدَرُ قَدْ يَكُونُ عَنِ الْحُكْمِ وَالْأَمْرِ ،  
وَأَنَّهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ .

(٧٧)

الأصل :

خَذِرْ أُلْحُكْمَةَ أَلَى كَأَنَّ ، فَهَذَا أُلْحُكْمَةُ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَكْجَلُجُ وَ  
صَدْرِهِ ، حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى مَوَاحِيهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ .  
قَالَ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَقَدْ قَالَ عَمِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ : أُلْحُكْمَةُ  
سَأَلَةُ الْمُؤْمِنِ ، فَتَخْذِرُ أُلْحُكْمَةَ وَلَوْ مِنْ هَلْ سَدَقَ .

\*\*\*

الشرح :

حَطَبَ المحتاح فقال : إِنْ اللَّهَ أَمَرْنَا بِطَلَبِ الْآخِرَةِ ، وَكَمَا مَثْوَى الدُّنْيَا ، فَلْيَتَذَكَّرْ  
كُفَيْتَا مَثْوَى الْآخِرَةِ ، وَأَمْرًا بِطَلَبِ الدُّنْيَا  
فسميها الحسن قال : هذه سَأَلَةُ الْمُؤْمِنِ خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ الْمُنَافِقِ .  
وَكُلُّ سُلَيْمَانَ الثَّوْرِيِّ بِمِجْهَةِ كَلَامٍ أَوْ حِجْرَةٍ بِالْحَرْحَى وَنَقُولُ : سَأَلَةُ الْمُؤْمِنِ عَلَى لِسَانِ  
الْمُنَافِقِ . تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ سِرِيرَةٍ ، وَأَفْضَلُ دَجِيرَةٍ ، مِمَّا تَفَعَّلَ الْوَارِثُ ، وَعَلَيْهَا مَقَرَّةُ الْوَارِثِ .  
يَعْتَمِدُ كُلُّ امْرِئٍ فِي مَكَانٍ نَفْسِهِ وَهُوَ رَجِيءُ اللَّسَبِ ، طَوِيلُ السَّبِّ ، لَيَسُوفَ نَمَتْ  
يَدِهِ ، وَمَوْصِعُ قَدَمِهِ ، وَلِيَتَحَدَّرَ الرُّكْلُ ، وَاسْتَدْلَ الْمَاسِيَّةَ مِنَ الْعَمَلِ . رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا آثَرَ  
التَّقْوَى ، وَأَسْتَشْفَرَ شِعَارَهَا ، وَاحْتَضَى نَجْمَهَا ، بَاعَ دَلِيلَ الْغَايَةِ بِدَارِ الْآبَادِ ، الدُّنْيَا كَرُوضَةٌ  
يُونُقُ مَرْعَاهَا ، وَنَمِيجٌ مِنْ رَأْيَا . تَمَحَّجَّ عُرُوفُهَا انْتَرَى ، وَتَنْطَلِفُ فُرُوعُهَا بِالسَّدى ، حَتَّى  
إِذَا بَلَغَ الثُّغْبَ إِنَاءً ، وَأَتَمَّحَى الرِّيحُ مَسْتَهَاءً ، صَكَّفَ الْمَسُودَ ، وَدَوَّى السُّودَ ، وَنَوَّلَى  
مِنْ الزَّمَانِ مَا لَا سَوْدَ ؛ تَحْتَ الرِّيحِ الْوَرْدُ ، وَفَرَفَتْ مَا كَانَتْ تَسْقُ ، فَاسْتَحَتْ هَنِيئًا ،  
وَأَمْسَتْ رَمِيًا .

(٧٨)

الأفضل :

قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُخَيِّهُ .

قَالَ الرَّحْمَنُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى : وَقَعِدَ السَّكَمَةُ الَّتِي لَا تُصَابُ لَهَا قِيَمَةٌ ، وَلَا تُوزَنُ بِهَا حِكْمَةٌ ، وَلَا تُقَرَّنُ إِلَيْهَا كَلِمَةٌ .

• • •

البئخ :

قَدْ سَلَفَ لَنَا فِي فِصْلِ الْعِلْمِ أَقْوَانٌ شَدِيدَةٌ ، وَمَعْنَى بَدْرٍ هَاهُنَا سَكَنًا أُخْرَى .

يَعَالَى : إِنَّ مِنْ كَلَامِ أَرْدَشِيرِ بْنِ مَانُكٍ وَرِثَائِهِ إِلَى أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ : بِحَسَبِكُمْ دَلَالَةٌ عَلَى فَعْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ مَمْدُوحٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، يُتَرَبَّسُّ بِهِ عَمَلُهُ ، وَيَدْعَى بِهِ مَنْ لَا يَنْصِقُ بِهِ . قَالَ : وَخُسُوكُمْ دَلَالَةٌ عَلَى عَيْبِ الْجَهْلِ أَنْ كُلَّ أَحَدٍ يَتَّبِعِي مِنْهُ ، وَيَعْتَصِمُ أَنْ يَسْقَى بِهِ .

وَقِيلَ لِأَبُو شَرَّوَانَ : مَا بِالْكُفَّارِ لَا تَسْتَعِيدُونَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا إِلَّا رَادَكُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ حِرْصًا ؟ قَالَ : لِأَنَّا لَا نَسْتَعِيدُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا أَرَدَدَنَا بِهِ رِصَّةً وَغَرًّا . وَقِيلَ لَهُ : مَا بِالْكُفَّارِ لَا تَأْتَمُّونَ مِنَ التَّمَلُّعِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؟ قَالَ : لَعَلَّنَا بَأْسَ الْعِلْمِ نَافِعٌ مِنْ حَيْثُ أَحَدٌ .

وَقِيلَ لِأَبُو دَرَّجِمَهْرٍ : بِمِ أَدْرَكَتَ مَا أَدْرَكَتَ مِنَ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : يَكُونُ كَسُكُورِ التُّرَابِ ، وَحِرْصِ كَهْرَمِ الْخَلْفَرِ ، وَصَبْرِ كَعْبِرِ الْحَارِ .

وَقِيلَ لَهُ : الْعِلْمُ أَفْضَلُ أَمْ الْمَالُ ؟ فَقَالَ : الْعِلْمُ ، قِيلَ : فَهَذَا نَرَى أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَى

أَبْوَابِ الْمَالِ أَكْثَرُ مِمَّا نَرَى أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَنَاءِ ۖ قَالَ : ذَاكَ أَيْضًا مَائِدٌ  
إِلَى الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ ، وَإِنَّمَا كَانَ كَمَا رَأَيْتُمْ ، لَعَلَّ اسْمَهُ الْخَاحِظَةُ إِلَى الْمَالِ ، وَجَعَلَ أَصْحَابَ الْمَالِ  
بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ .

وقال الشاعر :

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمِرَّةُ يُخْتَلَقُ عَالِمًا      وَلَيْسَ أَحَدٌ عِلْمُهُ كَنٍّ هُوَ حَاطِلُهُ  
وَإِنْ كَبِيرَ الْعَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ      صَغِيرُهُ إِذَا التَّمَّتْ عَلَيْهِ النِّجَاحَةُ



(٧٩)

الأصل :

أوصيكمُ بِمَحْسَرٍ لَوْ خَرَّ بَيْنَكُمْ إِلَيْهَا أَبْطَأَ الْإِبِلُ لَكَاتَتْ لِفَالِكٍ أَهْلًا : لَا يَرْجُونَ  
أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَهَةً ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا دَنَةً ، وَلَا يَسْتَحْيِي أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا  
لَا يَعْنِيهِمْ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي أَحَدٌ إِذَا تَمَّ يَقَعُهُ الشَّيْءُ أَنْ يَقَعَهُ ، وَعَلَيْكُمْ  
«الصَّبْرُ» ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَأَنَّ رَأْسَ مِنَ الْحَصَى ، وَلَا حَرَّ فِي حَسْبِهِ لَأَرْأْسَ مَمَّةً ،  
وَلَا حَيْرَ فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَمَّةً .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم الكلام في جمع الحكم النطوي عليها هذا الفعل ؛ وقال أبو المتأهية :

والشر لا أَرْجُو سِوَاكَ وَلَا أَحْبُّ سِوَايَ ذُنُوبِي

فَاعْفُ ذُنُوبِي يَا رَحِيمُ مُمُ قَامَ سَقَارُ الْعُيُوبِ

وكان يقال : من استَحْيَا من قول : « لَا أَذْرِي » كل كمن يستحي من كُشْعُو رُكْنَتِهِ ،  
ثم يكشف سَوْتَهُ ، وذلك لأن من أَمْتَعَ من قول : « لَا أَذْرِي » وأَحْبَّ بِالْجَهْلِ وَالْخَطَا  
فقد واقع ما يجب في الحقيقة أن يستحيا منه ، وكَمَّ عَمَّ بَسْ وَاحِدٌ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ ،  
هكذا شبيها بما ذكرناه في الرُّكْنَةِ وَالْمَوْرَةِ .

وكان يقال : يحسنُ فالإنسان النعم ما دام يشح منه الجهل ، وكما يشح منه الجهل ما  
دام حيًا كذلك يحسنُ به التعلم ما دام حيًا .

وأما الصبر فقد سبق فيه كلامٌ مُنْعَمٌ ، وسيأتي فيها بعدُ جملة من ذلك .

(٨٠)

## الأنضل

وقال عليه السلام لرجله أفرط في تشاء عليه - وكل له متبهما : أن دور ما تقول ،  
وفوق ما في نيك .

\*\*\*

## البسج :

قد سق ما قول مفسح في كراهية مدح الإسلام في وجهه .  
وكان عمر حاساً وعمه الدرة ، إذ أجلس الخارود القندي ، فقال رجل : هذا الخارود  
سيد ربيعة ؟ فسميها عمر ومن حوله ، وسميها الخارود ، فلما دأب منه حقه بالدرة  
فقال : ما لي ولك يا أمير المؤمنين ! قل : ما لي ولك ! أما لقد سمعتها ، قل : وما سمعتها ؟  
قال : ليخالطن قلبك بها شيء ، وأما أنت أراططك منك .

وقالت الحكماء : إنه يحدث لمدح في وجهه أمران مهلكان : أحدهما الإهمال  
بفسه ، والثاني إذا أثبت عليه بالذين أو اسلم كره وقلل احتياده ، ورصى عن نفسه ،  
ونقص تشميده وحده في طلب العلم والدين ، فإنه إنما يتشمر من رأى نفسه منصرفاً  
فأما من أظنقت الألسن بالثناء عليه ، فبأنه بطن أنه قد وصل وأدرك ، فيقلل احتياده ،  
ويتكلم على ما قد حصل له عند الدس ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن مدح

إِسْمَانَا كَادَ يَسْمَعُهُ : « وَيُحِبُّكَ أَفْطَلَتْ مُنْقُصًا مِنْكَ ، لَوْ مِمِّمًا لَا أَفْطَلَحَ » .

فَإِنَّمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ : « وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ » ، فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْبِئَهُ عَلَى أَنَّهُ  
قَدْ عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ فِيهِ ، وَيَسْجُرُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعْرِيفَهُ ذَلِكَ لِيَأْذَنَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ،  
إِنَّمَا لَعَنَهُ أَنَّهُ يُقْلَعُ مِمَّا كَانَ يَدْمُهُ بِهِ ، أَوْ لِيُعْلِمَهُ بِتَعْرِيفِهِ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ ، أَوْ لِيُخَوِّفَهُ  
وَيُزْجِرَهُ ، أَوْ لِيُغَيِّرَ ذَلِكَ .

(٨١)

الأفضل :

بَغِيَّةُ السِّبْ أُمِّي عَدَا ، وَأَكْثَرُ وَلَدَا .

\*\*\*

البشرخ :

قال شيخنا أبو عثمان : ابنة لما ذكر الحكيم ذكر العيلة !

ثم قال : قد وجدنا مصداق قوله في أولاده وأولاد الزبير وبني الهلب وأمتانهم  
من أسرع القتل فيهم .

وأبى رباد بإمرأه من الحوارج فقال لها : أما والله لأخضدكن خضدا ، ولأفبيكن  
عدا ، فقالت : كلاً إن القتل ليرزما ، فما هم يقتلها تسرت شوها ، فقال : اهتكوا  
مقبرها لئلاها الله<sup>(١)</sup> ! فقلت : إن الله لا يهتك سنز أوليائه ، ولكن ألقى هتك<sup>(٢)</sup> سنزها  
على يد ابنها شحيمة ، فقال : عجّلوا فندبا أمدّها الله ! فقتلت .

(١) لعنه الله ، أي تحته ولعنه . (٢) : أ : « هتك » .

(۸۲)

الأصل :

مَنْ تَرَكَ قَوْلَ : « لَا أُدْرِى » أَصِيتَ مَدَنِيَهُ .

\*\*\*

الشرح :

حدث امرأه إلى رُزْخَمِهْرُ ، فسأته عن مسألة فقال : لا أدري ، فقال : أيعطيك  
الملك كل سنة كذا كذا وتقول : لا أدري ؟ فقال : إنا يعطى الملك على ما أدري ،  
ولو أعطاني على ما لا أدري لما كمان ييب ماله .

وكان يقول : قول « لَا أَعْلَمُ » نصف اليأس .

وقال بعض الفضلاء : إذا قال لنا إنسان : « لَا أُدْرِى » عَلَّمَاَهُ حَقَّ يَدْرِى ، وإن قال :  
أدري ، امتنحاه حتى لا يدري .

(٨٣)

الأفضل :

رَأَى الشَّيْخُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَلَدِ الْمَلَامِ .  
وَيُرَوِّى : « مِنْ مُشْهَدِ الْمَلَامِ » .

\*\*\*

الشيخ :

إِذَا قَالَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْخَ كَثِيرُ الشَّجَرَةِ ، فَيَسُوعُ مِنَ الْمَذُوقِ رَأَاهُ مَا لَا يَسُوعُ بِشِعَاعَتِهِ  
الْعَلَامُ أَخَذَتْ غَيْرَ الْغُرْبِ ، لِأَنَّهُ مَدَّ يَدَهُ نَفْسَهُ فَيَهَيْكُ وَيَهَيْكُ أَصْحَابَهُ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الرَأْيَ  
مَدَّ عَلَى الشَّجَاعَةِ ، وَلَهُكَ ظَلُّ أَبُو الْعَالِيَةِ :

الرَأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجَّانِ      هُوَ أَوَّلُ وَفَى الْخَلِّ الْثَانِي<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ      بَلَمْتُ مِنْ أَسْئَاءِ كُلِّ مَكَانٍ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ نَا طَمَنَ الْفَتَى أَمْرَانَهُ      بَارَأَى قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَابِ  
لَوْلَا الْعَمَلُ لَكَالَ أَذَى صَيْمِرٍ      أَذَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ  
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ الرِّجَالُ وَدَبَّرْتُ      أَبْدَى الْكُمَاةَ عَوَالِي الْفُرَافِ

وَمِنْ وَصَافِي أَبْرُوِي إِلَى أَمَةِ شَعْرِي : لَا نَسْتَعْمَلُ عَلَى جَبْشَتِ عَلَامَا عَمْرَا تَرَاهُ ،  
قَدْ كَثُرَ إِجْمَاعُهُ بِنَفْسِهِ ، وَقُلْتُ تَحْدِيهِ فِي عَيْرِهِ ، وَلَا هَرَمًا كَبِيرًا مَدِيرًا قَدْ  
أَخَذَ الدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ ، كَمَا أَخَذَتْ السَّنُ مِنْ جِسْمِهِ ؛ وَعَلَيْكَ بِالْكَهُولِ  
ذَرِي الرَأْيِ !

(١) ديوانه ١٧٤٤: ١٧٥٤ (٢) النفس نبرة: القوية المدحقة. من قوله تعالى « دو مرة فاستوى ».

وقال قتيب بن يَمْرُؤَ الإيادي في هذا المني :

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ قَدِيرٌ دَرَسُكُمْ      وَخَبَّ الدَّرَاعُ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُصْطَلِمًا<sup>(١)</sup>  
 لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخِلَهُ الْمَيْتَشُ سَاعِدُهُ      وَلَا إِذَا غَضَّ مَكْرُوهٌ هَ حَشَمًا<sup>(٢)</sup>  
 مَا رَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ      يَكُونُ مَتَمًّا طَوْرًا وَمُتَمًّا<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى احْتَمَرَّ عَلَى شَرِّهِ مَرِيرُهُ      مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ لَا فَحْمًا وَلَا ضَرِيرًا<sup>(٤)</sup>

(١) عتلات ابن الصحري ٦ : « . مصطلم » من الملاعة ؛ وهي القوة

(٢) حشم ، أي حصم للأمر

(٣) ابن الصحري : « ما احك يحلب » :

(٤) الشرر : قتل الخيل مما على اليسار واليمين . الشبح الكبير السن الهرم . الفرع . الرجل الضعيف .

(٨٤)

الأفضل :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَفْطُرُ وَمَعَهُ الْإِسْتِعْمَارُ .

• • •

الْبَشْرُ :

قالوا : الاستغفار حَوَارِىُ الدُّنُوبِ .

وقال بعضهم : المبدأ بين ذَنْبٍ وَبِعْثَةٍ لَا يُفْلِحُ بِهِمَا إِلَّا الشُّكْرُ وَالِاسْتِعْمَارُ .

وقال الربيع بن حاتم<sup>(١)</sup> : « لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » فَيَكُونُ ذَنْبًا

وَكُذْبًا إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لِيَفْعَلْ : اللَّهُمَّ أَعْرِضْ عَنِّي وَتُبْ عَلَيَّ .

وقال الفضيل : الاستغفار بلا إقلاع<sup>(٢)</sup> تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ .

وفيل : مَنْ قَدَّمَ الْإِسْتِعْمَارَ عَلَى الدَّمِ ، كَانَ مَسْهَرًا مَافَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ .

(٢) الإقلاع : ترك الذنوب .

(١) كذا في « أ » و « ب » : « حاتم » .



(٨٥)

الأصل :

وحكى عنه أبو جعفر محمد بن عبيد الله بن علي الباقع عاينها السلام أنه كان عليه السلام قال :  
 كان في الأرض إمامان من عذاب الله ، وقد رُوع أحدهما ، فدوسكم الآخر  
 فتمسكوا به ، أما الأمان الذي دفع فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الأمان  
 الباقع لا يستغفر ، قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليبدنهم وأنت فيهم وما كان الله  
 معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (١) .

قال الرضوي رحمه الله تعالى : وهذا من تحسّر الاستعراج ، ولطائف  
 الاستنباط

\*\*\*

النتيجة :

قال قوم من الصريين : ﴿ وهم يستغفرون ﴾ ، في موضع الحال . وإيراد من الاستغفار  
 عنهم ، أي لو كانوا ممن يستغفرون لا عنهم ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وما كان ربك  
 ليهلك القرى بظلم وأهلها ﴾ (٢) ، فكأنه قال : لكنهم لا يستغفرون فلا  
 انتقاء للعذاب عنهم .

وقال قوم : معناه ، وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرون السلفون بين أظهرهم ممن  
 تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستصمين (٣) .

(١) سورة الأنازل ٢٣ .

(٢) سورة هود ٧١١ . (٣) ٣ ٣ ) سائط من ١ .

ثم قال : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ (١) ، أى ولأى سبب لا يعذبهم الله مع وجود ما يقتضى العذاب ، وهو سدّهم السبل والرسول عن البيت في علم الحذائية ! وهذا يدل على أن ترتيب القرآن ليس على ترتيب الوتثع والحوادث ، لأن سورة الأنفال نزلت عقيب وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وسد الرسول صلى الله عليه وآله عن البيت كل في السنة السادسة ، فكيف يعمل آية نزلت في السنة السادسة في سورة نزلت في السنة الثانية !

وفي القرآن كثير من ذلك ، وإعما رثه قوم من الصحابة في أيام عثمان .

(٨٦)

الأصل :

مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .  
وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ .  
وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ ، كَانَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .

\*\*\*

البيان :

منزلة الكلمة الأولى قولهم : رِصًا لِلْمُتَطَوِّعِينَ عُمُوًّا رِصًا لِلخَالِقِ ؟ وحاء في الحدث  
الرفوع : « مَا مِنْ وَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا أَرْضَى عَنْهُ رَعِيَّتَهُ » .

ومثل الكلمة الثانية دُمَاهُ بِمَصْهُمْ في قوله :

أَنَا شَاكِرٌ أَمَا مَادِحٌ أَمَا حَامِدٌ      أَمَا خَائِفٌ أَمَا جَانِعٌ أَمَا طَارِعٌ  
هِيَ سِتَّةٌ وَأَنَا الصَّبِيحُ بِرَضْمِهَا      فَكُنْ الصَّبِيحَ بِبِصْنِهَا يَا بَارِي

ومثل الكلمة الثالثة قُوَاهُ مَعْلَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ  
مُحْسِنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

(٨٧)

الأصل :

أَلْقِيَهُ كُلُّ الْفَقِيرِ مَنْ لَمْ يُسَاطِرِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ،  
وَلَمْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنْ مَسْكَرِ اللَّهِ .

\*\*\*

البشرح :

فل موضع من اسكيات العرب يدكر فيه التوحيد ، ألا ونرحه بالود ، مثل أن يقول :  
« إِنَّ رَأْيَكَ سَرِيعٌ أَمِيبٌ » ثم يقول : « وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ وَجِيمٌ » ، والحكمة بقنص هذا يكون  
المكلف مرددا بين الرعدة والرعدة .

ويقولون في الأمثال المرمورة : لَقِيَ مُوسَى وَهُوَ صَاحِكٌ مُسْتَشْرِئٌ عَيْسَى وَهُوَ كَالْبَحْ  
قَاطِلِ ، فقال عيسى : مالك كأنك آيئ من عذاب الله ؟ فقال موسى عليه السلام : مالك  
كأنك آيئ من رَوْحِ اللَّهِ ! فأوحى الله إليهما : موسى أحبكما إلى شيارا ، فإنني عند حسن  
ظن عدي في .

واعلم أن أصحابنا وإن قالوا بالوعيد ؟ فإنهم لا يؤيسون أحدا ولا يفتنونه من  
رحمة الله ، وإنما يَحْتَنُونَهُ عَلَى التَّوْبَةِ ، ويحوقونه إلى مائت من غير توبة ، ويحقد  
ما قال شيخنا أبو الهذيل : لَوْلَا مَذْهَبُ الْإِزْمَعِ لَمَا عُصِيَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ،  
وهذا لا ريب فيه ، فإن أكثر الأمة إنما يؤولون على الرحمة ، وقد أشتهر

واستفاض بين الناس أن الله تعالى برّحمَ الذين ، فإنه وإن كلَّ هناك عِقَاب  
 فأولاً معدونة ، ثمَّ يجرّحون إلى الحسنة ، والنموس تُحبّ الشهوات العاجلة ،  
 فضهاقتُ السس على العاصي وباعور شهوات والآرب ، مموّلين على ذلك ،  
 هلولا قولُ الرجشة وظهوره بين السس لكان المميانُ إنا مندوما ، أو قليلاً  
 حدّاً .



(٨٨)

الأصل :

أَوْضَحْ أَيْلَهُمْ مَا وَفَّيَ عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَزَعَمَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْخَوَالِجِ وَالْأَرْكَانِ .

\*\*\*

الشرح :

هذا حق ، لأنَّ العالم إذا لم يظهر من علمه إلا لثبته لسانه من غير أن تظهر منه السادات ، كل عالمًا بامعاً ، فأما إذا كان يُبَيِّنُ لساناً ما لظاهر ومنطقه ، ثم يشاهدُ الناسُ على مدامٍ عظيمةٍ من السادة ، فإنَّ الفصح يكون به عالمًا تاماً ، وذلك لأنَّ الناس يقولون : لو لم يكن يستفيد حقيقة ما يقوله ، دأبَّ نَفْسُهُ هذا الدأب .

وأما الأول فيقولون فيه : كُلُّ ما يقوله باطل وباطل ، لأنه لو كان يستفيد حقيقة<sup>(١)</sup> ما يقول لأخذه ، ولظهر ذلك في حركاته ، فينتدبون بعمله لا بقوله ، فلا يستعمل<sup>(٢)</sup> أحدٌ منهم بالعبادة ولا يستقيم بها .

(١) : د : أحقية . (٢) : ١ : يستعملون .

(٨٩)

الأصل :

إِنَّ هَذِهِ أَلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَشْيَاءُ ، فَشَعَوْهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

\*\*\*

الشرح :

لو قال : إِنَّمَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَشْيَاءُ ، فَحَمِّمُوا <sup>(١)</sup> كما نقل عن غيره لُحِّلَ ذلك على أنه أراد نقلها إلى المُكَاهَاتِ والأخبار والأشعار ، ولكنه لم يقل ذلك ، ولكن قال : « فَاسْمُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ » ، وَحَسَّ أَنْ يُحْمِلَ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ مِنَ الْأَشْيَاءِ اسْمِيَّةً ، فِي بَرَاهِينِ السُّكَلَامِيَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْمَعْلُولِ ، فَاسْمُوا لَهَا عِدَّةً مَلَاحِظًا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ ، أَيْ : أَمَّا الْحِكْمَةُ الرَّاحَةُ إِلَى الْحِكْمَةِ الْحَقِيقَةِ ، كَمَا نَحْنُ دَاكِرُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَقُولِي هَذَا الدِّبِّ ، مِثْلُ مَدْحِ الصَّرِّ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالزَّهْدِ ، وَالْبِعَةِ ، وَدَمِّ الْمَصِّ ، وَالشُّهُورَةِ ، وَالْمُهْوَى ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى سِيَاسَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، وَوَلَدَهُ ، وَمَنْزِلَهُ ، وَصَدِيقَهُ ، وَسُلْطَانَهُ ، وَمَحْزُونَهُ ، فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ آخَرٌ وَفَنٌّ آخَرٌ ، لَا تَحْتَاجُ الْقُلُوبَ فِيهِ إِلَى مِثْكَرٍ وَأُسْتَنْبَاطٍ ، فَتَنْتَبِ وَتَكُنَّ تَرَادُفُ النُّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ عَلَيْهَا ، وَفِيهِ أَدَمَاءُ لَدُنْ عَظِيمَةِ النَّفْسِ .

وقد جاء في إجماع النفس كثير .

قال بعضهم : رَوَّحُوا الْقُلُوبَ بِرَوَائِعِ <sup>(٢)</sup> الْقَدَرِ .

(١) يقال : أَحَمَسَ الْقَوْمَ إِحْامًا ؛ إِذَا أَدَبُوهُمْ بِإِثْمِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ ، كَمَا يُقَالُ : فَكَّرْهُ وَمَتَنَّهُ .

(٢) د : « نَمَى » .

وعن سلمان الفارسي : أما أحسب يومتي كما أحسب قومتي .  
 وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : إن نفسي راجيتي ، إن كلمتها فوق طاعتها انقطعت في .  
 وقال بعضهم : روّحوا الأدهار ، كما تروّحوا الأبدان .  
 وقال أوردشير بن بابك : إن للأدب حمة ، وللقلب ملة ؛ ففرّقوا بين الحكّمتين<sup>(١)</sup>  
 بلهؤل يسكن ذلك استيعماماً .



(٩٠)

## الأصل :

لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَيْشَةِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَرِكٌ عَلَى خِصَّةٍ وَلَكِنْ مَنْ ارْتَمَى فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُصِيبَاتِ الْغَيْرِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ وَاعْتَمُوا أَنفُسَكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ خِصَّةً ﴾ . وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصِرُ عِبَادَهُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَخَيَّرَ السَّاحِطُ بِرُفْعِهِ ، وَالرَّامِي بِرَفْعِهِ ، وَفِي كُلِّ سُبْحَانَهُ أَفْطَمَ يَوْمَ مِنْ أَعْيُومِهِمْ ، وَسَكَنَ لِنَظَرِ الْأَهْوَائِ الَّتِي رِبَّهَا يَسْتَحِقُّ النَّوَابِ وَالْعَمَلُ ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الدُّكُورَ وَيَسْكُرُهُ الْإِبْهَاتُ ، وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَنْجِيرَ الْمَالِ ، وَيَسْكُرُهُ انْتِلَامُ الْحَالِ .

قَالَ الرَّحْمَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَذَا مِنْ عَرَبٍ مَا مُجِيعَ مِنْهُ غَايَةُ السَّلَامِ وَالْتَمَعِيرُ .

\*\*\*

## الْبَيْتُ :

الفتنة لفظٌ مشتركٌ ؛ فتارةً تُطْلَقُ عَلَى الْحَالِطَةِ وَالنِّعَةِ تَعَبُ الْإِنْسَانِ ، تَقُولُ : قَدْ أَفْتَنَ زَيْدٌ وَقَدْ هُوَ مَقْتُونٌ إِذَا أَسَاسُهُ مُصِيبَةٌ فَذَهَبَ مَالُهُ أَوْ عَقْلُهُ ، أَوْ نُحُوْ ذَلِكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْآلِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ عَذَّبُوهُمْ بِعَسْكَةٍ لِيَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَتَارَةً تُطْلَقُ عَلَى الْإِخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ ، بِثَلَالَةِ : فَتَنَ الْذَهَبَ إِذَا أُدْخِلَتْهُ النَّارُ لِنَظَرِ مَا جُودَتْهُ ، وَدِيَارُ مَقْتُونٌ ، وَتَارَةً تُطْلَقُ عَلَى الْإِحْرَاقِ ؛ قَالَ تَعَالَى :

(يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) <sup>(١)</sup> وَوَرِقَ مَفْتُون ، أى فِئْةٌ مُحَرَّقة ، ويقال للحرقة : فَتِينٌ كَأَنَّ حِجَارَتَهَا مُحَرَّقة ، وتارةً تُطْلَقُ عَلَى الضَّلَالِ ، يقال رجلٌ فَاتِنٌ وَمُفْتِنٌ ، أى مُفْتِنٌ عَنِ الْحَقِّ جَاءَ ثَلَاثِيًا وَرُبَاعِيًا ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا أَنتُمْ بِمُعْتَدِينَ ﴾ \* إِلَّا مَنْ هُوَ مَسَالٍ أَنْجَحِيهِ <sup>(٢)</sup> أى عَصَلِينَ ، وَفَرَأَ هَوْمٌ « مُفْتَنِينَ » ، فَن قَالَ : إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِتَةِ ، وَأَرَادَ الْجَانْحَةَ ، أَوِ الْإِحْرَاقَ أَوِ الضَّلَالِ ، فَلَا مَسَ بَدَكَ ، وَإِنْ أَرَادَ الْاِحْتِبَارَ وَالامْتِحَانَ فَعَبْرٌ جَائِزٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْمُ بِالصَّحَّةِ ، وَلَهُ أَنْ يَحْتَسِرَ عِبَادَهُ لَا لِيَعْلَمَ حَالَهُمْ ، بَلْ لِيَعْلَمَ بَعْضُ عِبَادِهِ حَالَ بَعْضٍ ، وَعَسَى أَنْ أَسْلَ اللَّفْظَةُ هُوَ الْاِحْتِبَارُ وَالامْتِحَانُ ، وَإِنَّ الْاِغْتِبَارَاتِ الْآخَرَى رَاحِمَةً إِلَيْهَا ، وَدَانَتْ عِلْمَتَ صِحَّةٍ مَا ذَكَرْنَاهُ .

(٩١)

الأصل :

وسئل عن الخير ما هو ؟

فقال : ليس الخير أن يسكثر مالك وودك ، ولكن الخير أن يسكثر علمك ، وأن يعظم حلمك ، وأن تدهى أناس يد ربك ، فإن أحسنت سمحت الله ، وإن أسأت استعمرت الله . ولا خير في الدنيا إلا لرحمى : رجل أدب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجل يسارع في الحرب ، ولا يقل عمل مع اتقوى ، وكثير يقل ما يتقلى .

\*\*\*

الشرح .

قد قال الشاعر لهذا المعنى :

ليس السعيد الذى دُنياه تُسبِّدُهُ بل السعيد الذى يتخو من انا

قوله عليه السلام : « ولا يقل عمل مع اتقوى » ، أى مع احتساب الكبار ، لأنه لو كان مؤلفاً لكثرة ما تُفَسِّل منه عمر أصلاً على قول اصحابنا ، فوح أن يكون المراد بالتقوى احتساب الكبار ، فمما مدته الرحمة إليهم يحملون التقوى ها هنا على الإسلام ، لأن السلم عندهم تنقيل أعماله ، وإن كان مؤلفاً للكثرة .

فإن قلت : فهل يجوز حمل لطف « اتقوى » على حقيقته ، وهى الخوف ؟

قلت : لا . أما على مذهبه فلا من يحوف الله ويواقع الكبار لا تتقبل أعماله ،

وأما مذهب الرحمة فلا من يحاف الله من محالني مئة الإسلام لا تتقبل أعماله ،  
قلت أنه لا يجوز حلّ التقوى ها هنا على الحرف .

فإن قلت : مَنْ هو محالّ لبيعة الإسلام لا يحدف الله لأنه لا يعرفه .

قلت : لا نسلم ، بل يجوز أن يعرف الله بدياته وصيغاته ، كما يعرف نحن ، ويحدد النبوة

لشبهة وقعت له فيها ، فلا يلزم من حشد سنوه عدم معرفة الله تعالى .



(٩٢)

الأفضل :

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَغْلَمُهُمْ رِيحًا صَوَارِبًا ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الْغَلِيظِ اتَّخَذَهُ وَهْدًا نَبِيًّا وَاسْرِيْنَا آمَنُوا . . . ﴾ الآية .  
ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أُلْذِعَ اللَّهُ وَإِنْ نَمَدَتْ لِحْجَتُهُ ، وَإِنْ عَدُوُّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرِيبُ قَرَأَتْهُ .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

هكذا الرواية « أعلمهم » ، والصحيح « أعلمهم » ، لأن استدلاله بالآية يقتضي ذلك ، وكذا قوله فيما بعد . « إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أُلْذِعَ اللَّهُ . . . » إلى آخر الفصل ، فلم يذكر العلم ، وإنما ذكر العمل ، واللحمة بالضم : السب والقربة ، وهذا مثل الحديث المرفوع : « اتقوا بأعمالكم ، ولا تنفوا بألسنتكم ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ » ؛ وفي الحديث الصحيح : « يَا فَاطِمَةُ بَيْتَ مُحَمَّدٍ ، إِنْ لَا أَمْسَى عِثَ مِنْ أَفْقِ شَيْءٍ » .

وقال رجل لحمر بن محمد عليه السلام : أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْبَبْتُ فَرَحَهَا غَرَمَ اللَّهُ حَرِيَّتَهَا عَلَى النَّارِ » ، أَلَيْسَ هَذَا أَمَانًا لِكُلِّ طَعْمٍ فِي الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ لَا حَقَّ ، إِنَّمَا أَرَادَ حَسَبًا وَحَسْبًا ، لِأَمَّامَا مِنْ لُحْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَأَمَّا مَنْ عَدَاهُمَا فَمِنْ قَعْدٍ قَعْدٍ بِهِ حُمْلُهُ لَمْ يَنْهَيْنْ بِهِ نَفْسَهُ .

(٩٣)

الأصل :

وَسَمِعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحْلًا مِنَ الْخُرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ ، فَقَالَ :  
يَوْمَ قَلَى يَفِينِ ، حَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ عَلَى شَيْءٍ .

\*\*\*

البُيُخ :

هذا معنى عن التمرص للبداهة مع الجهل بالسود ، كما يصح اليوم كثير من الناس ،  
ويهلون أنهم حير الناس ، والمقالة الأولى من الناس يصحكون منهم ، ويسهرون بهم ،  
والخُرُورِيَّة : الحوارج ، وقد سقى القول فيهم . وفي يستهم إلى خروراء<sup>(١)</sup> .

يقول عليه السلام : تَرَكَ التَّعَلُّ «سبادات مع سلامة السقيدة الأصلية ، حير من  
الاشتغال بالنوافل وأوراد الصلاة مع عدم العلم ؛ وهو المعنى بقوله : « في شك » ،  
فيذا كان عدم التعلل خيرا من التعلل مع شك فهو مع الجهل الخفض - وهو الاعتقاد الفاسد  
أولى بأن يكون .

(١) خروراء : قرية بظاهر الكوفة ، رل بها الحوارج الذين حالوا على من أي طالب ؟ وبها كان  
أول تمكيدهم واجتاههم حين حالوا عليه .

(٩٤)

الأفضل :

اعْمَلُوا الْحَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقِلَ رِعَايَتُو لَا عَقِلَ رِوَايَتُو ، فَإِنَّ رِوَاةَ أَحِلْمَ كَثِيرٌ ،  
وَرِعَاةُ قَلِيلٌ .



البُخ :

نهام عليه السلام عن أن يقتصروا بما سمعوا منه أو من غيره أطرافاً<sup>(١)</sup> من العلم  
والحكمة ، على أن يرووا ذلك رواية كما يسمعون المحدثون ، وكما يقرأ أكثر الناس  
القرآن دراسةً ولا يدرك من معانيه إلا اليسير .

وأمرهم أن يعقلوا ما يسمعون عَقْلَ رِعاية أي معرفة وفهم .

ثم قال لهم : « إِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ، وَرِعَاةُ قَلِيلٌ » ، أي من يُراعيه ويتدبره ،  
ومصدق عليه السلام ا

(٩٥)

الْأَصْلُ :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا صَبَحَ رَحَلًا يَقُولُ : ﴿ إِنَّا إِلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فَقَالَ :  
 إِن قَوْلَنَا « إِنَّا إِلَهُ » إِرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَيْكَةِ ، وَقَوْلَنَا : « وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »  
 إِرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَيْكَةِ .

\*\*\*

الْبَيِّنُ :

قوله إِنَّا إِلَهُ اعترافاً بأننا مملوكون لله وعبيد له ، لأن هذه اللام لامُ العليكَ ، كما يقول :  
 العبدُ رَبِّدُ ؛ فإِذَا قَوْلُهُ « ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ » <sup>(١)</sup> ؛ فهو إِرَارٌ وأَعْرَافٌ بالاشود  
 والقيامة ، لأن هذا هو معنى الرجوع إليه سبحانه ، واقتنع أمير المؤمنين عن التصريح  
 بذلك ، فَدَكَرَ الْهَيْكَةَ ، فقال : إِنَّهُ إِرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَيْكَةِ ، لأنَّ هَيْكَتَنَا مُعْضٌ إِلَى  
 رَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَيْهِ سَجَاءٌ ، فَمَتَرِ بِمَقْدَمَةِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ بِهِ ، كما يقال : الْفَقْرُ  
 الْمَوْتُ ، وَالْهَيْكَةُ الْمَوْتُ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَمَسَّرَ ذَلِكَ عَلَى قَوْلِ مَكْنِي النَّفْسِ الدَّافِقَةِ تَضَعِيرِ آخِرِ فَيْحَالٍ : « إِنَّ النَّفْسَ  
 مَا دَامَتْ فِي أَسْرِ تَدْوِيرِ الدَّنِّ هِيَ بِمَرَلٍ عَنْ مَادَتِهَا ، لِأَنَّهَا مُشْتَبِلَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ ،  
 فَإِذَا مَاتَ الدَّنُّ رَحِمَتْ النَّفْسُ إِلَى مَادَتِهَا » ، فقولُه : ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> إِرَارٌ بِمَا  
 لَا يَصِحُّ الرُّجُوعُ بِهَذَا التَّفسيرِ ؛ لِأَمَنَةِ ، وَهُوَ لَوْتُ الْمَرَّةِ هَالِكُكَ .



(٩٦)

الأضل :

وقال عليه السلام ومدحه قوم في وجهه :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَقْنَمُ بِنَفْسِي بِهِمْ . اللَّهُمَّ احْتَمِلْنِي حَيْرًا  
يَمَّا يَطُئُونَ ، وَاعْبِرْنِي مَا لَا يَمْلِكُونَ !

\*\*\*

البئح :

قد تقدم القول في كراهية مدح الإنسان في وجهه . وفي الحديث الرموع : « إذا  
مدحت أحدا في وجهه ، فكأنما امرأت على خلقه موسى ومريم » .

وقال أيضا لرجل مدح رجلا في وجهه : « عترت الرجل عترك الله ! » .

وقال أيضا : « لو مشى رجل إلى رجل بسيف مرهف كان حبرا له من أن يفتي عليه  
في وجهه » .

ومن كلام عمر : المدح هو الذبج ؛ قلوا : لأن المدح ينقطع عن الحركة والأعمال ،  
وكذلك المدح يفتقر من العمل .

ويقول : قد حصل في التلويح والنعوس ما استسمى به عن الحركة والحلة .

ومن أمثال الفلاحين : إذا طار لك صبيخ بين الحفدة ، فكسر صجلك .

وقال مطرف بن الشَّخِير : ما سمعتُ من ثناء أحدٍ عني ، أو مدحٍ أحدٍ لي ، إلَّا وتصارعتُ  
إلَيَّ نفسي . وقال زياد بن أبي مسلم : ليس أحدٌ سَمِعَ ثناءً أحدٍ عليه إلَّا وُزِيَئَ له  
شيطان ، ولكنَّ المؤمنَ يراجع .  
فما دُكرَ كلامُهما لابن الدارِك قال : صدَقا ؛ أمَّا قولُ زياد فثلك قلوبُ المولمَّ ،  
وأما قولُ مطرف فثلك قلوبُ الخوامِ .

(٩٧)

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَا يَسْتَقِيمُ قَصَاةُ الْخَوَارِجِ إِلَّا ثَلَاثٌ : بِاسْتِصْنَائِهَا لِقَتْلِهِمْ ، وَبِاسْتِكْنَائِهَا لِنَظَرِهَا ، وَبِاسْتَحْيَائِهَا لِنَهْوِهَا .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم لنا قولُ مسمعي في هذا الخبر ، وفي الخواص ومصابيها واستنجاها .  
وقد جاء في الحديث المرفوع : « استنبوا على حناكم بالكيل ، فإن كل ذي رمة محسود » .

وقال خالد بن سنان : لا تظفروا الخوارج في غير حبيها ، ولا تظفروا إلى غير أهلها ، ولا تظفروا ما ستم له أهل فتكروا للمنع حنفاً .

وكان يقال : لكل شيء رأس ، وأرض الحاجة معجول أرواح من التأخير .

وقال رجل لعمد بن الحنفية : جئتكم في حواجة ، قال : فاطلب لها رجلاً .

وقال شبيب بن شبة بن عقال : أمرت لا يحسب إلا وحب الشح ، وهما العاقل لا يسأل إلا ما يجوز ، والعاقل لا يرذله من يمكن .

وكان يقال : من استعلم حاجة أخيه إليه بد قصاصها امتاناً بها فقد استصغر نفسه .

وقال أبو تمام في المظل<sup>(١)</sup> :

وكان المظل في نده وعود  
نسيب البخل منذ كانا وإلا  
يكن نسب قبيلتهما حوار  
لذلك قيل : من النفع أدق  
إلى حود ، ومن الحود عار



(١) ديوانه ٢ : ١٥٩ . بشرح البربري  
(٢) قال شارح ديوانه : « أي يتأذى ، مثل كائن في الحال ؟ فكما أن الحمود من الأثر أن تحلى من  
الرجال ؟ كذلك الحمود من العطاء جالسه من الفضل » .

(٩٨)

### الأصل :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْعَاجِلُ ، وَلَا يُطْرَفُ فِيهِ إِلَّا الْبَاحِرُ ،  
وَلَا يُصَنَّفُ فِيهِ إِلَّا الضَّعِيفُ ؛ يَمْدُونُ الصَّدَقَةَ فِيهِ عُرْماً ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً ،  
وَالسَّادَةَ اسْتِطْلَافَةً عَلَى النَّاسِ ؛ فَمِمَّا دَلَّ بِكُفُّورِ السُّلْطَانِ عُشُورَةَ الْإِمَامِ ، وَإِمَارَةَ  
الصَّغِيرِ ، وَتَذْيِيرَ الْحَمِيصِ .

\*\*\*

### الشرح :

البحر : الكر والركب ؛ يقال عَمَّ به إذا سعى به إلى السطوة ، فهو عاجلٌ وعَمُولٌ ؛  
والمُطْرَفُ : المأكرة والمكايدة .

قوله : « وَلَا يُطْرَفُ فِيهِ إِلَّا الْبَاحِرُ » ، لا يُمَدُّ أساسُ الإنسان طرِيفاً إِلَّا إِذَا كَانَ  
خَلِيفَةً مُلْجِئاً مُتَظَاهِراً بِإِسْقِ .

وقوله : « وَلَا يُصَنَّفُ فِيهِ إِلَّا الضَّعِيفُ » ، أَي إِذَا رَأَوْا إِنْسَاءً عَنْهُمْ وَرَعَ وَإِنصَافاً  
فِي مِمَالَتِهِ النَّاسَ عَدُوَّهُ صَغِيراً ، وَنَسَبَهُ إِلَى الزُّكَاةِ وَالرَّحْوَةِ ، وَلَيْسَ الشُّبُهَانُ عِنْدَهُمْ  
إِلَّا انْقِلَابُ .

ثم قال : « يَمْدُونُ الصَّدَقَةَ عُرْماً » ، أَي خُسَارَةً<sup>(١)</sup> ، وَيَمْدُونُ إِذَا وَكَلُوا الرَّحِمَ

وإذا كانوا ذوي ميادة استطاعوا بها على الناس وتبجحوا بها ، وأعجبهم أنفسهم ،  
واحقروا غيرهم .

قال : فمعد ذلك يكون السلطان والحكم بين الزهاد بمشورة الإمام . . . إلى آخر  
الفصل ، وهو من باب الإخبار عن السيوب وهي إحدى آياته ، وللمعجزات المحتص بها  
دون الصحابة .

(٩٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

وَعَدَ رُبِّيَ عَلَيَّ إِذَا رُحِلْتُ مَرْفُوعٌ ، فَعِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَذَاكَ :  
يُخْشَعُ لَهُ الْمَلَأُ ، وَتَدِلُّ بِهِ الدُّمُ ، وَتَقْنَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم القول في هذا الباب ، وذكرنا أن الحكماء والعارفين فيه على قسمين :  
منهم من آثر لس الأذى على الأذى ، ومنهم من عكس الحال ، وكل عمر بن الخطاب  
من أصحاب الذهب الأول ، وكذلك أمير المؤمنين ، وهو شعار عيسى بن مريم  
عليه السلام ، كان يلبس الصوف وعنيد ثياب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يلبس النوعين جميعاً ، وأكثر نفسه كان يحيد من الثياب مثل أبرد النسيم ، وما شا كل  
ذلك ، وكانت مدحمتة مورسة<sup>(١)</sup> حتى إنها لردع<sup>(٢)</sup> على حبله كما جاء في الحديث .  
وربني محمد بن الحنفية عليه السلام واقفا تعرفت على بردون أصغر ، وعليه مطرف حر  
أصفر ، وجاء فرقد السخى<sup>(٣)</sup> إلى الحسن وعلى الحسن مطرف حر ، فحمل ينظر إليه  
وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن : ما لك تنظر إلى وعلى ثياب أهل الجنة ،

(١) مورسة ، أى مصبوغة بالورس ، وهو جت أصغر يكون باليمن ، تصع به الثياب .

(٢) في اللسان عن أبي عمار : « م ينه عن شيء من الأذى إلا عن المزمرة إلى مردع على الجهد »

قال : أى تمنع صفها عليه ، وثوب رديم : مصبوغ بالزعفران .

(٣) ب : « السخى » ، والصواب مأثبة ، منسوب إلى السعة ، موصع بالصبر ، ذكره ياقوت ؟  
وذكر بلسة فرقد إليه .

وعليك ثيابُ أهل النار ! إن أخذكم ليَجْمَلَ الزهد في ثيابه والكثرة في صدره ، فلهو أشدَّ محبةً بصوفه من صاحب المطرَف .

وقال ابن السكيت لأصحاب الصوف : إن كان لبسكم هذا موافقاً لمراتبكم فلقد أحببتم أن يقطع إنسانٌ عنها ، ولش كل محابها لها لقد همكنم .

وكان عمر بن عبد العزيز على قاعدة عمر بن الخطاب في ملبوسه ، وكان قبل الخلافة يلبس الثياب الثمينة حدّاً ، كان يقول : لقد خِفْتُ أن يتَجَرَّ ما هم الله في من الرزق عما أريد من الكسوة ، وما لبستُ ثوباً حديداً قط إلا وخِفْتُ أن يجنّ براه الناس أنه سليلٌ أو بالي ، فلما ولي الخلافة ترك ذلك كله .

وروى سعيد بن سويد : قال : صلّى بـ عمر بن عبد العزيز الحمة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الخشب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : إن الله أعطاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لم أست ! فكسّ مديناً ثم <sup>(١)</sup> رفع رأسه فقال : إن أفضل المعد ما كان عند الحدة ، وأفضل الثمن ما كان عند القدرة .

وروى نعيم بن معديعة : كتب أرى عمر بن عبد العزيز مل الخلافة فأحب من حُسن لونه ووحدة ثيابه وبرته ، ثم دحنت عليه بعد أن ولى ، وإذا هو قد احترق واسود ولصق جلده ، فطعمه ! حتى يبس من الحدة وأصم لحم ، وإذا عليه قدسوة بيضاء قد اجتمع قطمها وبلم أسها فاعسل ، وعينه سُخْنٌ <sup>(٢)</sup> ، أسحابة قد حرج سداها ، وهو على شاذ كونه <sup>(٣)</sup> ؟ قد لَصِقَتْ بالأرض تحت التذ كونة صاءة فتوازية <sup>(٤)</sup> من مشافة انصوف ، وعنده رجل يتكلم ، فرفع صوته ، فقال له عمر : ادعص فملا من صوتك ، فإنا يكرى الرجل من الكلام قدر ما يُسمع صاحبه .

وروى عبيد بن يعقوب أن عمر بن عبد العزيز كان يلبس العزّة المليظ من اثياب ، وكان يسراجه على ثلاث قصّات فوقهنّ طين .

(١) جمع سحق ؟ وهو الثوب النالى . (٢) الشاذ كونه : ثيابه علامه بعل بالين .

(٣) فتوازية : مسموعة إلى فتوان ، مومع بالكسوة



(١٠٠)

### الأفضل :

إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مَدُونَانِ مُتَدَوِّنَتَانِ ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا  
وَنَوَلَهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَدَاَهَا ، وَهِيَ مَعْرُوفَةُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ،  
كُلُّمَا قَرِيبٌ مِنْ وَاحِدٍ بِمَدَّةٍ مِنَ الْآخَرِ ، وَهِيَ بِمَدَّةٍ ضَرَّتَانِ .

\*\*\*

### الشرح :

هذا الفصل بَيِّنُ فِي عَيْهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ  
الدَّوْنِ مُضَادًّا لِمَعْنَى الْآخَرِ ، فَفَعَلَ هُنَا : الْإِكْتِسَابَ ، وَالْإِسْطِرْطَاقَ <sup>(١)</sup> فِي الرِّقِّ ،  
وَالْإِهْتِمَامَ بِأَمْرِ الْمَاشِ ، وَالْوَلَدَ وَالزَّوْجَةَ ، وَمَا نَسَبَ ذَلِكَ . وَعَمِلَ هُنَا : قَطْعَ الْمَلَائِقِ ،  
وَرَفْضَ الشَّهَوَاتِ ، وَالْإِكْتِسَابَ لِلْعَادَةِ ، وَصَرَفَ الْوُجْهَ عَنْ كُلِّ مَا يَمُودُّ عَنْ ذِكْرِ  
اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَيْنِ التَّمَلِّكَيْنِ مُتَضَادَّانِ ، فَلَا جَرَمَ كَأَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرَّتَيْنِ  
لَا يَجْتَمِعَانِ !

(١) : «والمغرب و سبيل الرق» .

(١٠١)

الأفضل:

وَعَنْ نَوْفٍ السَّكَّانِي - رَفِيعَ السَّكَّانِي بِإِسْلَامٍ - وَهُوَ الْأَصَحُّ - قَالَ :  
رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاثَ لَيْلَةٍ وَقَدْ حَرَّحَ مِنْ فَرَّاشِهِ قَطَرَ إِلَى  
التَّجُومِ ، فَقَالَ : يَا نَوْفُ ، أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِيْنُ ؟ قُلْتُ : بَلَى رَامِيْنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
فَقَالَ : يَا نَوْفُ ، طُوبَى لِلرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ ! أَوَّلَيْكَ قَوْمٌ  
اتَّحَدُوا الْأَرْضَ بِسَاطَا ، وَتَرَاهَا فَرَّاشًا ، وَمَاءُهَا طَبِيخًا ، وَالْقُرْآنُ شِعَارًا ، وَاللَّهُعَاءُ  
دِيَارًا ، ثُمَّ قَرَعُوا الدُّنْيَا قَرَصًا عَلَى مِنْهَاجِ نَمِيسٍ . يَا نَوْفُ ، إِنْ حَاوَدَ عَلَيْكَ السَّلَامُ  
فَلَمْ أَوْ مِثْلَ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ الْفَيْلِ ، فَقَالَ : لَهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَسَدٌ إِلَّا  
اسْتَجِيبَ لَهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَسَارًا ذُو عَرَبَتَا ، أَوْ شُرْطِيًّا ، أَوْ سَاجِبَ عَرَنْطِيَّةٍ  
- وَهِيَ الطَّنُورُ - أَوْ سَاجِبَ سُكُوبَةٍ ، وَهِيَ الطُّبْلُ .  
وَقَدْ رَفِيعٌ أَيْضًا : إِنْ الْعَرَنْطَةُ الطُّبْلُ ، وَالسُّكُوبَةُ الطَّنُورُ .

• • •

الشيخ :

قال صاحبُ الصحاح : نَوْفُ السَّكَّانِي كلُّ صاحبٍ على عليه السلام .  
وقال ثعلب : هو مسرورٌ إلى غيلةٍ تُدعى بَسْكَالَةَ ، ولم يذكر من أيِّ العرب هي ،  
والظاهر أنها من اليمن ، وأما بكيلٌ فهي من همدان ، وإليهم أشار السَّكَمِيَّتُ بقوله :  
• فقد شركتُ فيه بكيلٌ وأَرْحَبُ •<sup>(١)</sup>

(١) صدره : • يَقُولُونَ لَمْ يُوْرَثْ وَقَوْلَا زُرَانَهُ •

فَأَمَّا الْبَكَالِيُّ فِي نَمْبِ تَوَيْ فَلَا أَعْرِضُهُ .

قوله : أم راقق ، أى أم مستيقظ تَرْمُقُ السَّيَاءَ وَالْحَوْمَ بَعَثَرَك .

قوله : قَرَصُوا الدَّنِيَا ، أى تَرَكَوْهُ وَحَقَّقُوْهَا وَرَاءَ طَهْوَرِهِمْ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا

عَرَبَتْ نَقَرْتُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ <sup>(١)</sup> أى تَتَرَكَّهُمْ وَتُحْلِفُهُمْ شَمَالًا ، ويقول ارجل لصاحبه :

هل حَرَدَتْ بِمَكَانٍ كَذَا ، يقول : نَعَمْ فَرَسْتَهُ بِلَا ذَاتِ يَمِينٍ ، وَأَشَدَّ لَدَى الرِّمَّةِ .

إِلَى طُلُوعِ بَقَرَضُنْ أَحْوَارَ مَشْرِفٍ شَمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْعَوَارِسُ <sup>(٢)</sup>

قَالُوا : مَشْرِفُ وَالْعَوَارِسُ : مَوْصِلٌ ، يقول : نَظَرْتُ إِلَى طُلُوعِ يَمْرُوحَ بْنِ هَدِي

الْمَوْضِعِينَ .

(١٠٢)

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ قَلْبَكُمْ فَرَائِضَ مَلَا نُسِيئُوهَا ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا  
فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ ، فَلَا تَنْهَوْكُمْهَا ، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ  
وَلَمْ يَدَّهْمَهَا نِسْيَانًا فَلَا تَنْسَوْنَهَا .

\*\*\*

البَیِّنَات :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَسْيَاءَ يَنْتَهَى لَكُمْ تَسْوُكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وجاء في الآخر : أَسْمِعُوا مَا أُنْهَى اللَّهُ عَنْهُ

وقال بعضُ الصالحين لبعض الفقهاء : لم تعرض مسائل لم تقع وأمنت فيها فكرتك  
حَسْبُكَ بِالتَّوَادُلِ بَيْنَ النَّاسِ .

قالوا : هذا مثلُ قولهم في باب السَّخْرِ عَلَى الْخَمْسِ : فَإِنْ مَسَّحَ عَلَى حَتٍّ مِنْ رُحَاةٍ  
وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّوَادُلِ الْمَرِيَّةِ .

وقال شريك في أبي حنيفة : أَحْمَلُ سِرِّ مَنْ كَانَ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِمَا لَمْ يَكُنْ .

وقال عمر : لَا تَتَنَادَعُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ فَتَحْتَسِبُوا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا كَانَ أَمَلًا لِلَّهِ عَلَيْهِ ،  
وَأَشْهَكَ الْحَرَمَةَ : تَنَادُّهُمَا مِمَّا لَا يَحِلُّ ، بِمَا هَارَتْكَابَ مَا نَهَى عَنْهُ ، أَوْ بِالْإِخْلَالِ  
بِمَا أُمِرَ بِهِ .

(١٠٣)

الأصل :

لَا يَزُكُّ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِعْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ .

\*\*\*

الشرح :

مثال ذلك إنسان يصيِّح وقت صلاة الفريضة عليه ، وهو مشغول بحاسنة وكيله  
ومحافتة على ماله ، جواهراً أن يكون حاله في شئ دمه ، فهو يحرص على مبادئته عليه ،  
فتعونه الصلاة .

قال عليه السلام : مَنْ مَلَئَ مِثْلَ هَذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَمَالِهِ مَا هُوَ  
أَضَرُّ عَلَيْهِ مِمَّا رَامَ أَنْ يَسْتَدْرِكَهُ بِإِعْمَالِهِ الْفَرِيضَةِ .

(١٠٤)

الأفضل :

رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهَنُّ ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ .

\*\*\*

البشرح :

قد وقع مثل هذا كثيرا ، كما حرّى لشدائمه بن النعم ، وفصله مشهور ، وحِكْمَتُهُ أَشْهَرُ  
من أن تذكر ، ولو لم يكن له إلا كتاب " إيتيمه " لكفى .

[ حكمة المقفّع ]

واحتج ابن المقفّع بالحليل بن أحمد ، وصحح كلّ منهما كلام الآخر ، فسئل الحليل عنه  
فقال : وجدتُ علمه أكثر من علمه ؛ وهكذا كل ، فإنه كل مع حكيمته منهورا ، لا حرّم  
تهورده قتلته ! كتب كتاب أمل لشدائمه بن عليّ عمّ المنصور ويوجد فيه خطّه ، فكان  
من جلّته : ومتى عدّ أمير المؤمنين بمه عبد الله ، أو أبطن غير ما أظهر أو تأوّل في شيء  
من شروط هذا الأمل فساؤه طوائق ، ودوائه حُسن ، وعيده وإماؤه أحرار ، والمسلمون  
في جلّهم من بيّته . فاشتدّ ذلك على المنصور ، وقف عليه ، وسأل : من الذي كتب له  
الأمل ؟ فقيل له : عبد الله بن النعم كاتب عمّيك عيسى وسيدك ، انسى على بالبصرة ،  
فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سعيّين في معاوية بأمره يقتله .

وقيل : بل قال : أنا أحمد بكيمبي ابن النعم ! فكتب أبو الخصيب بها إلى

سليمان بن معاوية الهلبي أمير البصرة يومئذ - وكان سفيان واحداً على ابن المقفع لأنه كان يثبت به ويصحك منه دائماً ، فنصب سفيان يوم من كلامه ، واقتصر عليه ، فرد ابن المقفع عليه ردّاً قاحشا ، وقال له : **يا ابن العتبية !** وكل مجتمع ويعتصم بعيسى وسليمان ابني علي بن عبد الله بن الناصر ، غفدها سفيان عليه - فلما كوتب في أمره مما كوتب لعزيم قتله ، فاستأذن عليه جماعة من أهل البصرة ، منهم ابن المقفع ، فأدخل ابن المقفع قبلهم ، وعدل به إلى حجرة في دهيضة ، وحلّس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان ، فصادفه ابن المقفع في تلك الحجرة سفيان بن معاوية ، وعنده علفانه وثور نار يُسحر ، فقال له سفيان : **أندكر يوم قلت لي كذا !** أي مثنيمة **إن لم أقسك قتله لم يقتل بها أحد !** ثم قطع أعضائه عُصا عُصَا ، وألقاها في النار وهو سطر إليها حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطلق التتور عليه ، وخرج إلى الناس فكتمهم ، فلما خرجوا من عنده تحلّف علام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج ، فبقي وأخبر عيسى بن علي وأخاه سليمان بعاقبه ، فخاصا سفيان بن معاوية في أمره ، فحدد دُحو له إليه ، فأشخصاه إلى المنصور ، وقامت الليلة المأدلة أن ابن المقفع دخل دار سفيان حيا سليما ولم يجرح منها . فقال المنصور : **أنا أطرد في هذا الأمر إن شاء الله غدا !** فجاء سفيان ليلاً إلى المنصور فقال : **يا أمير المؤمنين ، أتق الله في سميتك ومتبع أمرك ، قال . لا ترع ، واحضركم في عهد ، وقامت الشهادة ، وحلّس سليمان وعيسى الفصاح ، فقال المنصور : رأيتم بن قنت سفيان باب المقفع ، ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب - وأوماً إلى باب حننه - من ينصب لي معه حتى أقتله بسفيان ؟ فسكنوا ، واندفع الأمر ، وأمر ب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها ، ودُهب دمه هدرا .**

**قيل للأصمعي :** أيما كان أعظم ذكاة وفينة الخليل أم ابن المقفع ؟ فقال : كان ابن المقفع أفصح وأحكم ، والخليل أدب وأعدل ، ثم قال : **شأن ما بين طينة أفصت بصاحبها إلى القتل ، وطينة أفصت بصاحبها إلى أسك وزهد في الدنيا !** وكان الخليل قد نكس قبل أن يموت .

(١٠٥)

## الأصل :

لَقَدْ عَلِقَ بِبَيْطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَسَنَةُ هِيَ مُعْجَبٌ مَا فِيهِ وَهُوَ الْقَلْبُ ، وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ  
مَوَادَّ مِنْ أَرْطَاكُمُ وَأَصْدَانًا مِنْ حِلَافِي ، فَمَنْ سَجَّ لَهُ الرِّيحَةُ ، دَلَّهُ الطَّمْعُ ، وَإِنْ  
هَاجَ بِهِ الطَّمْعُ هَمَّكَهُ الْخُرُوصُ ، وَإِنْ مَنَّكَهُ الْيَأْسُ قَتَّهَ الْأَسَمُ ، وَإِنْ عَرَّضَ  
لَهُ الْفَقْرُ أَشْتَدَّ بِهِ الْغَيْطُ ، وَإِنْ أَسَدَّهُ زَمًا نَبَى السَّخَطُ ، وَإِنْ عَالَهُ الْخُوفُ  
شَمَّهَ الْخَدَرُ ، وَإِنْ أَسْعَى لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْبُزَّةُ ، وَإِنْ أَبْهَتْهُ مُصِيبَةٌ فَصَحَّهَ  
الْخُرْعُ ، وَإِنْ أَوَدَّ مَا لَا أَطْعَمُهُ الْغَيْسُ ، وَإِنْ عَصَتْهُ الْخَفَةُ شَمَّهَ الْفَلَا ، وَإِنْ حَمَدَهُ الْخُوفُ  
عَمَدَتْ بِهِ الصُّمَّةُ ، وَإِنْ افْرَطَ بِهِ الشَّحُّ كَطَنَتْهُ الرِّبَاةُ ، فَكُلُّ هَمٍّ يَرِي مَصِيرًا ،  
وَكُلُّ فَرَاطٍ لَهُ مُقِيدٌ .

\*\*\*

## التبنيح :

رُوي : « لَمَّا دَبَّ السَّعْبُ » . واسيط : يرق عُقْبُ به القلب من التَّوَيْنِ ، فإذا قُطِعَ ماتَ  
صاحبُه ، وبذل له البيط أيضا . والنَّصْفَةُ فتحة . . . . . النِّعْمَةُ من اللحم ، والمراد بها ها هنا  
القلب ؛ وقال : يَتَوَرَّرُ الْغَلَبَ حَالَاتٌ عَمَدَتْ مُتَضَادَّاتٌ ، فمعضها من اِرطَاكُم ، وبعضها  
— وهو الصاد لها — ساق للحكمة ، وم يذكرها عليه السلام ، وليس الأمور التي عددها  
شرحا لب قدمه من هذا الكلام المحمل ، وإن طرأ فمؤم أنه أراد ذلك ، ألا ترى أن الأمور  
التي عددها ليس فيها شيء من باب اِرطَاكُم وحلافِي ؟



فإن قلت : فما مثال الحكمة وخلافها ، وإن لم يذكر عليه السلام مثاله ؟  
قلت : كالشجاعة في القلب ، وصيتها الحش ، كالخود وضده البخل ، والشفقة وضدها  
القمحور ، ونحو ذلك .

فإن الأمور التي عددها عليه السلام مكرام مستأنف ، إنما هو بيان أن كل شيء مما  
يشفق بالقلب يلزمه لازم آخر نحو الرضا ، فإن الإنسان إذا اشتد رجاؤه أدله الطمع ،  
والطمع يتبع الرضا ، وانفرد بين الطمع والرضا أن الرضا توقع منعة ممن سيناله أن  
تعد تلك المنعة عنه ، والطمع توقع منعة ممن يستعد وتوقع تلك المنعة منه ؛ ثم قال :  
وإن حاج به الطمع فتله الحرص ، وذلك لأن الحرص يفسد الطمع ، إذا لم ينل الطامع أنه  
طامع ، وإنما ينل أن راج .

ثم قال : وإن منسكه اليأس ، فقله الأسف ، أكثر الناس إذا يئسوا أسعوا  
ثم عدد الأخلاق وعبرها من الأمور الواردة في السؤل إلى آخره ، ثم حتمه بأن قال :  
« فكل تفصيله مغير ، وكل إفراط له مفسد » ؛ وقد سبق كلامي استدالة . وإنها الدرجة  
الوسطى بين طرفين هما رذيلتان ، والمد الذي مصيلة ، كالخود الذي يكتفيه التبدد والإسراف ،  
والذي كاه الذي يكتفيه السبوة . والخبرة<sup>(١)</sup> ، والشجاعة التي يكتفيها الطوح والخش ،  
وشرخنا ما قاله الحكماء في ذلك شرحا كافيا ، فلا معنى لإعادته .

(١٠٦)

الأصل :

نَحْنُ الشُّرُفَةُ الْوُسْطَى الَّتِي يَنْحَنُّ بِهَا السَّائِلُ ، وَلِأَنَّهَا يَرْجِعُ الْغَالِي .

\*\*\*

البشرح :

الشُّرُفَةُ والشُّرُفَةُ بالضم فيهما : وِسَادَةٌ صَمِيرَةٌ ، وبحور الشُّرُفَةُ بالكسر فيهما ؛ ويقال للطنفسة فوق الرَّحْلِ شُرُفَةٌ . والمعنى أن كلَّ فضيلةٍ هيَّأَها عَمَّةٌ طَرَفَيْنِ مَعْدُودَيْنِ مِنَ الرَّدَائِلِ كَأَوْصِحَاءِ آيَمَا ، والمراد أنَّ آلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ همُ الْأُمَرُؤُا النَّوْصُطِيُّينَ الطَّرَفَيْنِ النَّصُومِيِّينَ ، فَكُلُّ مَنْ حَاقَرَهُمْ فَالْوَجِبُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ، وَكُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنْهُمْ فَالْوَجِبُ أَنْ يَكْتَحِقَ بِهِمْ .

فإن قلت : فلمَ أَسْتَمَارَ لِقَطْعِ الشُّرُفَةِ لِهَذَا لَمَعِي ؟

قلت : لما كانوا يقولون : قَدْ رَكِبَ فُلَانٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ مُنْكَرًا وَقَدْ أَدْنَسَكَ الرَّأْيُ الْفُلَانِي ، وَكَانَتِ الطَّنْفِيَّةُ فَوْقَ الرَّحْلِ مِمَّا يُرَكَّبُ ، أَسْتَمَارَ لِقَطْعِ الشُّرُفَةِ لِمَا بَرَاهَ الْإِنْسَانُ مَنَافِعًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَكُونُ كَارِئًا كَلَهُ ، وَالْحَالِيسُ عَلَيْهِ ، وَالتَّوَرُّكُ فَوْقَهُ .

ويجوز أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَمْعَةُ « الْوُسْطَى » بِرَادِّهَا الْفَعْلُ ؛ يُقَالُ : هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوُسْطَى ، وَالتَّحْلِيقَةُ الْوُسْطَى ، أَيْ النَّصْبُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> أَيْ أَفْضَلُهُمْ ، وَمِنْهُ : ﴿ حَمَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النجم ٢٨ . (٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(١٠٧)

الأصل :

لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَارِعُ ، وَلَا يُصَارِعُ ، وَلَا يُتَسَعُّ الْمَطْلَعُ .

\*\*\*

الشرح :

قد سبق من كلام عمرَ شيء لا يُسبب هذا إن لم يكن هو سببه ، والمصانة : تدل  
الرثوة . وفي المثل : مَنْ سَارَعَ بِالْقَالِ ، لَمْ يَحْتَمِمْ مِنْ طَلَبِ الْحَاحَةِ .

وإن قلت : كلن يدنى أن يقول : « من لا يصارع » بالفتح .

قلت : المعاملة تدل على كون الفعل بين الاثنين كأصارية والفتاة .

وإصارع : يتمرض لطلب الحاجة ؛ ويحور أن يكون من الصراعة وهي الحصور

أى يجمع لربيد ليحصر ريد له ؛ ويحور أن يكون من المصارعة بمعنى التجهة ،

أى لا يتشبه بأئمة الحق أو ولأه الحق ، وليس منهم .

وأما اشاع الطامع معروف .

(١٠٨)

الأصل :

وقال عليه السلام ، وقد نُوِّقَ سَهْلُ بْنُ حُصَيْنٍ الْأَنْصَارِيُّ مَا كُفِّرَ بَعْدَ مَوَاجِعِهِ  
مِنْ صِعِينَ مَعَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ :  
لَوْ أَحْسَى جَبَلٌ لَتَهَوَّتْ .  
قال الرُّمِيُّ رحمه الله تعالى :

وَمَنْ دَلَّكَ أَنَّ الْمِحْنَةَ تَمُتُّ عَلَيْكَ ، فَتُسْرِعْ الْمَصَابِرَ إِلَيْهِ ، وَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ  
إِلَّا بِالْإِثْمَاءِ الْأَبْرَارِ ، الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ  
أَحْسَنَ أَهْلَ النَّبِيِّ فَلَنَسْتَعِدَّ لِعَمْرٍ حَسَنًا » وَقَدْ يُوَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى آخَرَ لَيْسَ هَذَا  
مَوْضِعَ ذِكْرِهِ .

\*\*\*

الشرح :

قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قال له : « لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ؛ وَلَا يَنْفُكَ  
إِلَّا مُؤْمِنٌ » .  
وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « إِنَّ الْغَوَى أَسْرَعَ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ  
الْمَادِ إِلَى الْخُدُورِ » .

وفي حديث آخر : « الْمُؤْمِنُ مُتَّقِيٌّ ، وَالْكَافِرُ مُؤَقَّيٌّ » .  
وفي حديث آخر : « حَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْطَمُكُمْ مَصَابِرَ فِي سَبِيلِهِ وَمَا لَهُ وَوَلَدِهِ » .  
وهاتان القديمتان يكثرهما نتيجة صادقة ، وهي أنه عليه السلام لو أحس جبلٌ لتهوأت .  
ولذلك هذا هو مراد الرضي بقوله : « وقد يووَّل ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره » .

(١٠٩)

الأصل :

لا مال أعود من العقل ، ولا وَحْدَةً أَوْحِشُ مِنَ الْمُخْبِرِ ، ولا قَلَّ كَالْتَذِيرِ ،  
ولا كَرَّمَ كَالْتَقْوَى ، ولا قَرِيبَ كَحُسْنِ الْخَانِ ، ولا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ، ولا قَائِدَ  
كَالتَوْفِيقِ ، ولا سَحَابَةً كَالْعَمَلِ الصَّامِعِ ، ولا دَرَجَ كَالثَّوَابِ ، ولا دَرَجَ كَالْوُفُوفِ  
عِنْدَ الشُّبُهَةِ ، ولا رُحَةً كَالرُّهْدِ فِي الْحَرَامِ ، ولا عِلْمَ كَالْتَمَكُّرِ ، ولا عِدَّةً  
كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ .

ولا إِيْمَانٌ كَالْإِيْمَانِ ، ولا حَسَبَ كَالْوَسْطِ ، ولا شَرَفَ كَالْعِلْمِ ، ولا مِرَّةً  
كَالْحِلْمِ ، ولا مُطَاهَرَةً أَوْثَقُ مِنَ الْمُسَاوَرَةِ .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم الكلام في جميع هذه الحكم .

أما الال فإن العقل أعود منه ، لأن الأحمق إذا مال طالما ذهب مأله بحمقه ، فإذا أحمق  
فغيره ، والمائل الذي لا مال له طالما اكتسب المال بعمقه ، وبقي عقده عنه .

وأما التخب فيوح اللقت ، ومن مُقِتْ أفرد عن المحاظة واستوحش منه ، ولا ريب أن  
التدبير هو أصل العقل ، لأن العيش كله في التدبير .

وأما التقوى فقد قال الله : ﴿ إِنِ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وأما الأدب فكانت الحكماء : ما وَرَّثَتِ الآلِهَةُ أبناءها كالأدب .

وأما التوفيق فمن لم يكن قَائِدَهُ ضَلَّ .

وأما العمل الصالح ، فإنه أشرفُ التجارات ، فقد قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ثم عَدَّ الأعمال الصالحة .

وأما الثواب فهو الرِيحُ الحقيقي ، وأما رِيحُ الدنيا فشيءٌ بحمِ النائم .

وأما الوقوف عند الشُّبُهَات فهو حقيقةٌ أَوْرَعَ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ يُوْهَدُ فِي الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِمَّنْ يَزْهَدُ فِي الْمُبَاحَاتِ ، كَالَّذِي كُلُّ الْمَدِينَةِ ، وَاللَّيْلِ لَامِعَةٍ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَرْبَابَ التَّنَكُّرِ فَقَالَ : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعِصَاةَ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ فَوْقَ الْعَادَةِ بِالتَّوَابِلِ . وَالْحَيَاةَ مَعَ الْإِيمَانِ ، وَكَذَلِكَ الصَّوْرُ وَالتَّوَامُحُ مَصِيدَةُ أَشْرَفٍ ، وَذَلِكَ هُوَ الْحَسْبُ ، وَأَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ الْعِلْمُ ، لِأَنَّهُ خَاسَةُ الْإِنْسَانِ ، وَبِهِ يَقَعُ الْحَصْلُ بِهِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَاتِ .

والمشورة من الحرمِ فإنَّ عقلَ غَيْرِكَ تَسْتَصِيغُهُ إِلَى عَقْلِكَ . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا اسْتَشَارَكَ عَدُوَّكَ فِي الْأَمْرِ فَاعْتَصِمْهُ اسْمِيحَةً فِي الرَّأْيِ ، فَإِنَّهُ إِنْ عَمِلَ بِرَأْيِكَ وَانْتَبَعَ نَدِمَ عَلَى إِفْرَاطِهِ فِي مُسَاوَأَتِكَ ، وَأَقْسَمَتْ عِدَاوَتُهُ إِلَى الْوُدَّةِ ، وَإِنْ خَالَفَكَ وَاسْتَفْزَرَ عَرَفَ قَدْرَ أَمَانَتِكَ بِفَضْلِهِ ، وَتَنَكَّتَ مُنَاكَ فِي مَكْرُوهِهِ .

(١١٠)

الأفضل :

إِذَا اسْتَوَى الصَّالِحُ عَلَى الزَّمانِ وَأَهْبَهُ ثُمَّ أَسَاءَ رَحُلُ الظَّنِّ بِرَحُلٍ لَمْ تَطْهَرْ مِنْهُ  
حَوْبَةً ، فَقَدْ ظَلَمَ ، وَإِذَا اسْتَوَى السَّادُّ عَلَى الزَّمانِ وَأَهْبَهُ ، فَأَحْسَنَ رَحُلُ الظَّنِّ بِرَحُلٍ  
فَقَدْ عَرَّضَ .

\*\*\*

البَيْتُ :

يريد أنه يتمنّى على العاقل سوطاً نصّ حيث الزمان حسد ، ولا يسمى له سوء الظنّ حيث الزمان  
صالح ، وقد جاء في الخبر الرفوع السبي عن أبي يظنّ المسلم « المسلم ظنّ السوء » ، وذلك محمول  
على المسلم الذي لم تطهر منه حوبة ، كما أشير إليه على عليه السلام ، والحوبة : المصيبة ،  
والخبر هو ما رواه جابر قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السكينة فقال : « مرهناً  
بك من يمتو ! ما أعطمك وأعظم حُرْمَتِكَ ! والله إن المؤمن أعظم حرمة منك عند الله  
عز وجل ! لأن الله حرّم منك واحدة ، ومن مؤمن ثلاثة : دمه وماله وإن يظنّ بالسوء » .  
ومن كلام عمر : صَحَّ أمرُ أخيك على أخيه حتى يحى ما يملك منه ، ولا تُطْفَأَ  
بكلمة خرجت من في أخيك المسلم سوءاً وآت تجد لها في الخبر محملاً ، ومن عرّض نفسه  
لقتلهم فلا يلومنّ من أساء به الظنّ .

شاعر :

أَسَاءْتُ إِذَا أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ وَالْحَرَمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

قيل لعالم : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : من لا يثق بأحدٍ لسوء ظنّه ، ولا يثق به أحدٌ لسوء فعله .

شاعر :

وقد كان حُسنُ الظنِّ بمنّ مدّاهي فادّنى هذا الزمانُ وأهلهُ

قيل لصوّى : ما صناعتك ؟ قل : حُسنُ الظنِّ بالله ، وسوءُ الظنِّ بالناس .  
وكن يقال : ما أحسنَ حُسنَ الظنِّ إلّا أن فيه المحرّ ، وما أقبحَ سوءُ الظنِّ إلّا أن فيه الخزي .

ابن المعتز :

تَمَقَّدْ مَسَافِطَ لَحْظِ الرَّبِّ      فَيَنْزِلِ السَّيُونَ وَجْهَهُ الْقُتُوبِ (١)  
وَعَالِجِ بَوَادِرِ فِي السَّكَلَامِ      فَيُكَلِّمُ أَصْحَابَ ثَمَارِ الْقُيُوبِ



(١١١)

الأضل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْكَ السَّلَامُ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ :  
كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْسُقُ يَبْذُرُهُ ، وَيَسْتَقِمُّ يَصِحُّهُ ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمِنِهِ .

\*\*\*

الشنخ :

هذا مثل قول قَبْدَةَ بْنِ الْعَلْبِ :

أَرَى بَعِيرِي مَدَّ رَأْسِي بِدَمِجَةٍ      وَحَسْبُكَ دَاهُ أَنْ تَصِيحَ وَتَسْلَمَا  
وَلَنْ يَكُنَّ التَّصْرَانِ يَوْمَ وَلِيَّةٍ      إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَ مَا تَيْمَمَا

وقال آخر :

كَانَتْ قَسَائِي لَا تَدِينُ لِأَمْرِي      مَا لَهَا إِلَّا الصَّبْحُ وَالْإِنْشَاءُ  
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا      لِيُصِحِّي إِذَا السَّلَامَةُ دَاهُ

(١١٢)

الأصل :

كَمْ مِنْ مُتَدَرِّجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَنُودٍ بِالسَّخَرِ عَلَيْكَ ، وَمُتَوْنٍ بِمُحْسِنِ  
الْقَوْلِ فَيُورِ ! وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا يَنْتَلِ الْإِمْلَاءَ لَهُ .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم القول في الاستدراج والإملاء :

فأما القول في حجة الإِسْإِس بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ فَقَدْ ذَكَرْنَا أَيْضًا طَرَفًا صَالِحًا ضَمِنَ فِيهَا .  
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِحَدِيثِ مَدَحِ رَجُلًا وَقَدْ مَرَّ بِمَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَ يَسْمَعُ ، وَلَكِنْ قَالَ : « وَبَعَثْتُ لَكَ نَصِيرًا عَمَّه ، لَوْ سَمِعَهَا  
لَا أَفْلَحَ » .

(١١٣)

الْأَصْل :

هَكَكَ فِي رَجُلَانِ : مُحِبُّ عَالِي ، وَمُتَّئِصٌ قَلِي .

\*\*\*

الْبُرْج :

قد تقدم القولُ في مثل هذا ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « لا والله لولا أني أشفيق أن أقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابنِ مريم ، لقلتُ فيك اليومَ ممالا لا تمرّ بأحدٍ من الناس إلا أخذوا تراباً من تحت قدميك للبركة » .

ومع كونه صلى الله عليه وآله لم يقل فيه ذلك القولَ تحدّثت فيه علاقة كثيرة المدد منشرة في الدنيا ، يعتقدون فيه ما يعتقد النصارى في ابنِ مريم ، وأشنع من ذلك الاعتقاد .

فأمّا المنقض الثاني فقد رأينا من ينصه ، ولكن ما رأينا من يكتمه ويصرّح بالبراءة منه ، ويقال : إن في هُمان وما والاها من صحر وما يحري حمرها قوماً يعتقدون فيه ما كانت الطوائج تعتقده فيه ، وأما أرا<sup>(١)</sup> إلى قه منهما .

(١) « ونحن نرا » .

(١١٤)

الأبطل :

إِسَاعَةُ الْفُرُصَةِ قُصَّةٌ .

\*\*\*

الخبز :

فِي الْمَثَلِ : انْتَهَرُوا الْفُرُصَ ، فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .

وقال الشاعر :

وإِنْ امْكُتْ فِرْسُهُ فِي الْعَدُوِّ / كَلَّا بَكَ هَهُكَ إِلَّا بِهَا

فَلَنْ تَكُ لَمْ تَنْبِ مِنْ بَارِهَا / إِنَّكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَارِهَا

وإِنَّكَ مِنْ بَدَمٍ مَعَهَا / وَتَمِيلُ أُخْرَى ، وَأَقْبَى هَا ..؟

(١١٥)

الأصل :

مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيْسَ مَسْهَاً ، وَالسَّمُّ السَّافِعُ فِي جَوْفِهَا ؛ يَهْوِي إِلَيْهَا  
الْفَرُّ الْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْمَارِلُ .

• • •

الشرح :

قد تقدم القول في الدنيا مرارا ، وقد أخذ أبو التتائيه هذا المعنى فقال :  
إِنَّمَا الدَّهْرُ أَرْقَمُ لَنْ أَلَسَ وَفِي بَابِ السَّفَامِ السُّمَامُ

(١١٦)

الأصل :

وقال عليه السلام : وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ :  
أَمَّا بَنُو عَمْرٍو فَرِيحَانَةُ قُرَيْشٍ ، نُجَبُ حَدِيثَ رَجَالِهِمْ ، وَالسَّكَّاحُ فِي نِسَائِهِمْ .  
وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَنْتَهُمْ رَأْيًا ، وَأَسْمُهُمْ لِيَا وَرَاءَ طُهُورِهَا ، وَأَمَّا نَعَزُّ فَأَبْدُلْ لِيَا  
فِي أُبْدِيٍّ وَأَصْحُ عِنْدَ أُمُوتٍ سُبُوسِيًّا ، وَهُمْ كَثَرُ وَأَمَكْرُ وَأَكْرُ ، وَمَحْنُ أَفْصَحُ  
وَأَنْصَحُ وَأَصَحُّ .

\*\*\*

الشرح :

[ فصل في نسب بني مخروم وطرف من أخبارهم ]

قد تقدم القول في مُبَاخَرَةِ هَانِمَ وَعَدْرِ شَمْسٍ ، فَأَمَّا بَنُو عَمْرٍو فَأَسْمُهُمْ نَدَاهُ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ  
أَعَزُّ قُرَيْشٍ وَأَعْظَمُهَا شَرَفًا .

قال شيخنا أبو عثمان : حطيتُ عَمْرٍو بِالْأَشْعَارِ ، فَأَسْمُهُمْ صِبْتُ عَطِيمٍ بِهَا ، وَاتَّفَقَ  
لَهُمْ فِيهَا مَا لَمْ يَتَّفَقْ لِأَحَدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُصَرَّبُ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي الْبِرِّ وَالنَّمَةِ وَالْجُودِ وَالشَّرَفِ  
وَأَوْضَعُوا فِي كُلِّ غَايَةٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سِيحَانَ الْحُسَرِيِّ حَلِيفِ بَنِي أُمَيَّةَ فِي كَلْمَتِهِ :  
\* وَحِينَ يَنْتَغِي الْقَرْكَبُ مَوْتَ هَنَامِ \*

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَا تَقُولُهُ عَمْرٍو فِي التَّسَارُخِ حَقٌّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : كَانَتْ قُرَيْشٌ  
وَكُنَانَةٌ وَمِنْ الْإِلَهِامِ مِنَ النَّاسِ يُؤْخِذُونَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : كَالْوَأَلِ يَقُولُونَ : كُنْ ذَلِكَ زَمَنٌ

مَبْسَى السَّكْبَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ عَمَى الْبَيْلِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ مَاتَ هِشَامُ بْنُ الْفَيْزَةِ . كَمَا كَانَتْ  
الْعَرَبُ تَزُورُ هَتَقُولَ : كَانَ ذَلِكَ رَأْسَ الْبَيْضِ ، وَكَانَ ذَلِكَ زَمَنَ الْحَيْسَانِ ، وَكَانَ ذَلِكَ  
زَمَنَ الْبُجَارَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ الْحَبَشَةِ ، وَالزُّوَاةُ تَحْمَلُ صَرْبَ النَّثْلِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَآخِرِ ،  
وَأُظْهِرَ الدَّلَائِلُ . وَالتَّشْمِيرُ - كَمَا عَلِمْتَ - كَمَا يَوْفَعُ يَصَعُ ، كَمَا رَفَعَ مِنْ بَنَى أَتَى اسَافَةَ قَوْلِ  
الْحَطِيبَةِ :

قَوْمٌ هُمُ الْأَمْفُ وَالْأَذْنَابُ عِبْرُهُمْ      وَمِنْ بَسْوَى ثَابِتٍ اسَافَةُ الْكَفَا ؟  
وَكَمَا وَضَعَ مِنْ بَنَى مُخَيَّرَ قَوْلُ جَرِيرَ :

مُسَرُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ مِنْ مُبَيَّرٍ      فَلَا كَمْنَا بَلَّتْ وَلَا كِلَامَا  
فَلَقِيتُ مُخَيَّرَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ مَا لَقِيتُ .

وَجَمَلُهُمُ الشَّاعِرُ مَثَلًا فِيمَنْ وَضَعَهُ الْحَبَشَةُ ، وَهُوَ يَهْجُو رُومًا مِنَ الْعَرَبِ :

وَسَوْفَ يَرِيدُكُمْ سَعَةً هَمَّائِي      كَمَا وَضَعَ الْمَحَاضِي بَنَى مُبَيَّرٍ  
وَمُسَيَّرَ قَبِيلَ شَرِيفٍ ، وَقَدْ كَمَّ فِي شَرَفِهِمْ هَذَا السَّيْرُ .

وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ السَّكْبِيُّ ؟ وَهُوَ يَمْدَحُ بَنَى شَنْدَلٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي مَوْصِعِ دَعْيَةٍ إِلَى مِ  
مَخْزُومٍ ، وَلَا فِي مَوْصِعِ رَهْبَةٍ :

كَأَنِّي إِذَا حَطَّطْتُ الرَّحْلَ فِيهِمْ      عَمَكَةً حِينَ حَلَّ بِهَا هِشَامُ  
فَضَرَبَ بِهَشَامِ النَّثْلِ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنَى حَرَمٍ أَحَدُ بَنَى سَعَى ، وَهُوَ يَمْدَحُ حَرْبَ بَنَى مَعَاوِيَةَ الْحَفَاحِي  
وَحَفَاحَةَ مِنْ بَنَى عَقِيلٍ :

إِلَى حَزَنِ الْحَزُونِ سَمْتُ رِكَابِي      بِوَابِلِ حَفَافِهَا عَمَلَانُ جَبِيثِي

فَلَمَّا أَنْ أَصَحْتُ إِلَى ذُرَاءِ      أَمِنْتُ قَوَائِصِي مِنْهُ بِرَيْشِ  
تَوْسَطَ يَتُّسُهُ فِي آلِ كَمْبَرِ      كَذِبَتِ بَنِي مَغْبَرَةٍ فِي مُرَيْشِ  
فَضَرَبَ الْمَثْلَ بَيْنَهُمْ فِي قَرِيشِ .

وقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحَكَمِ :

مَا رَسْتُ أَكْبَسَ مِنْ بَنِي قَحْطَانِ      صَبَّ الدَّرَا مَتَمْنَعِ الْأَذْكَانِ  
بَنِي طَمَعْتُ بِغَيْرِ مَنْ لَوْ رَامَهُ      آلُ الْفَسِيرَةِ أَوْ بَنُو ذَكْوَانِ  
لَمَلَأْتُهَا حَيْلًا تَصَبَّ لَنَا نَهَا      مِثْلُ الذَّبَا وَكُوَايِرِ الْبِقَانِ  
مِنْهُمْ هِشَمٌ وَالْوَلِيدُ وَعِيسُ      وَأَوْ أُمَيَّةٌ مَمْرَعُ الرُّكْبَانِ

فصرت للثل بآل الميرة .

وَأَمَّا سُوْدُ ذَكْوَانَ هُوَ نَذْرٌ مِنْ عَمْرِو بْنِ حَوَيْةَ بْنِ ذَكْوَانَ أَحَدِ بَنِي عَدَى بْنِ مَرَّادٍ  
مِنْهُمْ خُدَّصَةٌ وَحَمَلٌ وَرَهْطُهُمَا ، وَقَالَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ :

أَلَمْ يَكُنْ عَنَّا نَفَرٌ بِكَرٍ بَنِي وَائِلٍ      هَرَمَتُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَزَامِ  
فَهِنَّ يَوْمُ الشَّرِّ أَوْ يَوْمُ مَنَاحِ      وَمَا خَرَجُوا إِذْ قَسَمَ حَيٌّ عَصَامِ  
أَحَدِيثُ شَاعَتْ فِي مَدَنٍ وَغَيْرِهَا      وَحَبَّهَا الرُّكْبَانُ حَتَّى هِشَامِ  
فَجَعَلَ قَرِيشًا كُلُّهَا حَيًّا لِهَشَامِ :

وقال عبد الله بن ثور الحِمْيَرِيُّ :

وَأَصَحَّ بَطْنُ مَكَّةَ مَقْشِرًا      كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامٌ<sup>(١)</sup>

وهذا مثل وفوق المثل .

قَالُوا : وَقَالَ الْخُرُوفُ الْكَلْبِيُّ - وَهِيَ مَرَّةٌ نَسَّ مِنْ تَحَارِ قَرِيشٍ يَرِيدُونَ الشَّامَ بِأَدِينِ

(١) الكليل لغيره ٢ : ١٤٢ من غير سبب : قال في شرحه : « يقول : هو وإن كان مات فهو  
ميتون في الأرض ؟ فقد كان يجب من أجله ألا يبالغوا في حبه » .



قشقين - : مالك معاشر فريش هكذا أحدثتم أم مات هشام ، فحمل موت هشام يراة  
الخدب والغل ، وفي هذا المعنى قال مسامر بن أبي عمرو :

تقول لنا الزكبان في كل منزل : أمات هشام أم أصابكم جدب ؟  
فحمل موت هشام وقعد النيت سواء .

وقال عبد الله بن سلمة بن قشير :

دعيني أصطبغ بياضك إني رأيت الموت نقب عن هشام<sup>(١)</sup>

وقال أبو الطمحان النقي - أو أخوه :

وكانت فريش لا تخون حربها من الحوف حتى ما همت بهشام  
وقال أبو بكر بن شمو ب لقومه كفاكم :  
يا قومنا لا تهلكوا إطلافاً

بن هشام الفريش ما

وقال خدائش بن زهر :

وقد كنت كهاه لم تم كمكموا نوافذ قولي بالهمام هشام

وقال علي بن هرمة : عم إبراهيم بن هرمة :

ومن يترقى مدحى فإن مداحي نوافذ عسد الأكرمين سوامر

نوافذ عسد المشتري الحد بالمدحى ثاق بنات الحارث بن هشام

وقال الشاعر وهو يهجو رجلاً :

أحييت أن أباك يوم نسفتني في الهد كان الحارث بن هشام

أولى فريش بالكارم كلها في الجاهلية كل والإسلام

(١) الكامل ١٤٣: ٢ من غير نسخة ، وثب ، أي طوف حتى أمام معشاماً واسطر سبقرش ٣٠١

وقال الأسود بن يعفر التميمي :

إن الأكرام من مريش كلها      شهيدوا هرسوا الأشر كل مرأب  
حتى إذا كثرت التجاذل بينهم      حرم الأمور الحارث بن هشام  
وقال ثابت قطبة - أو كعب الأشجري - لحمد بن الأشعث بن قيس :

أنوعدي بالأشعثي ومالكين      وتعدر جهلاً ما لو سيطر أسلماعيل  
كانتك بالسطح ندم حارثاً      وحذ سيف الذين بين أسلام

وقال الحارثي في كلبه التي يذكر فيها أبا أحيحة :

له سرء سطحة واعدت والثرى      ولا كهشام الحبر والقلب مردف

وسأل معاوية سمعته من صوحان الهدي عن عائش قرش ، فقال : إن فلان عصمه  
وإن سكتنا عديم ، فقال : أقسمت عليك ، قال : فيمن يقول شاعر كـ :

وعشيرة كلهم سيّد      آباء سادات وأباؤها  
إن يسألوا يعطوا وإن يمدعوا      بيّص من مكة يعطواها

وهل عبد الرحمن بن سفيان «خسري» حبيب بني أمية وهو يهجو عبد الله بن مطيع

من بني عدى :

حرّام ككتي رمي نوء      وأذكر صاحبي أبداً بذا<sup>(١)</sup>  
لقد أصرمت ودّ بني مطيع      حرّام الدهر للرجل الحرّام  
وإن حيف الزمان مددت خنلاً      متبياً من جدل بني هشام  
وربّني عودهم أبداً رحيب      إذا ما اهترت عيدن الكرام

(١) الأمان ٢ : ٢٥٥ مع اختلاف في الرواية .

وقال أبو طالب بن عبد المطلب وهو يتفخر بحاله : هشام والوليد على أبي سفيان  
ابن حرب<sup>(١)</sup> :

وحالي هشام بن العيرة ثامبٌ      إذا همَّ يوما كالحسام الهند  
وحالي الوليد اسدٌ عالٍ مكاه      وحالي أبي سفيان عمرو بن مرثد

وقال ابن الزمعي فيهم :

لهم مثيةٌ ليست تبيحُ نعيمهم      إذا أخذوا دواب النور في السنة الخدب

وقال شاعر من بني هوازن ، أحد بني ألب السامي حين سقى الله عبد الله بن أبي أمية  
المخزومي بعد أن منعه الزرقاني بدر :

أندري من تحت سبيل حوضي      سبيل حصارهم سموا المظلم  
أرأيت الرك نزع أم هشاماً      ودا الرمح أمهم سلاحا  
هم سموا الأباطح ذكراً كبري      ومن بالحنف والبد الكناحا  
ضرب دون بعضهم طلح<sup>(٢)</sup>      إذا الدهور لاد بهم وصاحا  
وما تدري بأيهم تلاق      صدور الشرقية والرماحا

فقال عبد الله بن أبي أمية محباً له :

لعمري لأنت الرء محسنٌ بادي      وتحسن عودا شيمه ونصنا  
عرفت لنوم عدتهم وفديتهم      وكنت لما أسدت أهلاً وموضعا

قالوا : وكان الوليد بن العيرة يحسن بني الحار فيحكم بين ادرب أيام عكاذ  
وقد كان رجل من بني عامر بن نؤى رافق رجلاً من بني عبد مناف بن قصي ، فخرى  
بينهما كلام في جبل ، فعلاه فاصفا حتى قتله ، فكاد دمه يُطلق ، فقام دونه أبو طالب

ابن عبد اللطيف وقدّمه إلى الوليد ، «سَخَّطَهُ خَمْسِينَ يَمِيماً أَنَّهُ مَاقَتَلَهُ ، فَقِي ذَلِكَ يَقُولُ  
أَبُو طَالِب :

أَمِنْ أَحَلِّ حَبْلِي دِي رِمَامٍ عَلَوْنَهُ      مُنَاةٌ قَدْ حَادَ حَبْلِي وَأَحْلِي<sup>(١)</sup>  
هَلُمَّ إِلَى حُكْمِ ابْنِ صَعْرَةَ إِنَّهُ      سَيَحْكُمُ قَبَا يَسَا ثُمَّ يَسْجِدُ

وقال أبو طالب أيضاً في كلمة له :

وَحُكْمُكَ يُنْقِي الْحَبِيرَ مِنْ عَرَّةِ أَمْرِهِ      تَحْمُطُ وَاسْتَقْلَى عَلَى الْأَصْفِ الْفَرْدُ

وقال أبو طالب أيضاً يرثي أبا أمية ردد الرُّكَّ وهو حاله :

كَانَ عَلَى رَصْرَاضٍ قَصِيرٍ وَحَدِيدٍ      مِمَّنْ أَلَسَ أَوْ تَحْتَ الْفَرَاشِ الْخَمِيرِ<sup>(٢)</sup>  
عَلَى حَرِّ حُلِيِّ مِنْ مَعْدَدٍ وَنَائِلِهِ      إِذَا الْحَبِيرُ رُحِيَ أَوْ إِذَا الشَّرُّ حَلَبُهُ  
أَلَا إِنْ رَأَى الرُّكَّ عَصِيرُ مَدَامِعِ      يَسْرُو سُحْبَتِهِ عَيْنَتُهُ الْمُقَابِرُ  
تَادُوا نَأْنَ لَا سَيِّدَ الْيَوْمِ هَمُّهُ      وَهَدَّ فُجِعَ الْحَيَالُ كَبْتُ الْوَعَامِرُ  
وَكُلَّ إِذَا يَأْنِي مِنَ الشَّامِ قَارِعِلَا      تَقْدَمَتُهُ قَسَلُ الدُّوَى الْبَشَارُ  
فَيَصْصَحُ آلُ اللَّهِ بَيْضاً ثِيَابِهِمْ<sup>(٣)</sup>      وَقَدْ مَنَّا حَبْلَهُمْ وَالْمَيُوسُ كَوَاسِرُ  
أَحْوَصُهُ لَا نَرَعُ الذَّهْرَ عَمْدَا      تَحْمُطُ نَذَى وَشَاءَ وَفَارُ  
صَرُوبٌ يَسْلُ السَّيْفِ سَوْقَ صَحَابِهَا      إِذَا أَرْسَلُوا يَوْمًا فِرَاسَكَ عَارِفُ  
فِيَالِكَ مِنْ رَاعٍ بُمِيتَ نَالَةً      شَرَابِيْعُهُ تَحْصَرُ مَسَهُ الْأَطَاغِرُ

وقال أبو طالب أيضاً يرثي حاله هشام بن العبدية :

(١) ديوانه ١٤٢ . (٢) ديوانه ٧٧ .  
وكل حقه خرج نائراً إلى الشام فأتى بموضع طاله له سرد سجم .  
(٣) الديوان : « كَأَمَّا » .  
(٤) الديوان : « كَتَمَهُمْ حَبِيرًا رِيْدَهُ وَحَافِرَ » .

فقدنا عبيدَ الحقِّ والركنَ شامعٌ      كمقدُّ أبي عُثمانَ واليَثُ والحجرُ<sup>(١)</sup>  
 وكان هشامُ بن النيرةِ عصمةً      إذ عَرَكَ إنسانُ الخاويَ والفقرُ  
 بأبياته كانت أراسلُ فورمه      نودُ وأبشامُ القشيرةِ والسفرُ  
 فودَّتْ قريشٌ لو قدسَه شطرُها      وقرَّ لعمري لو قدسَه له الشطرُ  
 فنول لعمرو أنتَ منه وإنا      كرحوك في حلِّ الميماتِ ناعمو

عمرو هذا هو أبو جهل بن هشام ، وأبو عثمان هو هشام .

وقالت ضاعة بنتُ عامر بن سلفة بن قريظ تزوجته :

إنَّ أبا عثمانَ لم أسه      وبنَ صبرا عن شكاه تحوتُ  
 تعافدوا من مشرٍ ما لهم      أي دُوبٍ صوبوا في القبيحِ  
 وقال حسان بن ثابت وهو يمجِّدُ أبا جهل ، وكان سُكنى أبا الحكمِ -  
 السسُ كُتِبَ أبا حكمٍ      والله كناه أبا جهلٍ<sup>(٢)</sup>  
 أبنتُ رياسته لأشربته      لؤمَ الفروع وذلةَ الأصلِ<sup>(٣)</sup>

فأعترف له بالرياسة والتقدم .

وقال أبو عبيد نمر بن النسي . لما تآمرَ عمرو بن الطغيلة وعنقة بنُ عُلانة  
 إلى هريم بن قُطبة وتَوَارَى عنهما ، أُرْسِلَ بهما : عليكما بالحقِّ الحديث السنّ ، الحديدِ  
 الذَّهْنِ ؛ فصارا إلى أبي جهل ، فقال له ابنُ الرُّعَوى :

فلا تحكُمُ جدك أي وحيد      وكى كلله حاكم آل عمرو

(١) ديوانه ٨٠ .

(٢) ديوانه ٣٤٤ ، وروايه :

صماه مشرّه أبا حكمٍ      والله صماه أبا جهلٍ  
 (٣) الديوان :

أبنتُ رياسته لعمري      عصبة الإله وذلةَ الأصلِ

أَتَى أَنْ يَحْكُمَ ، فَرَجَعَا إِلَى هَرَمٍ .  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَوْرٍ :

هَرِيقًا مِنْ دُمُوعِكُمَا سَجَامًا      صَبَاحُ وَحَرِي تَوْحًا يَمَامًا  
فَمَنْ لِلرَّسَكِ إِذَا حَادُوا طُرُوقًا      وَغَنَّتِ اسِيوْتُ فَلَا هِشَامًا  
وَقَالَ أَيْضًا فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

وَمَا وَلَّيْتُ سَاءَ بَنِي رِزَارٍ      وَلَا رَشَّخَنَ أَكْرَمَ مِنْ هِشَامٍ  
هِشَامُ بْنُ الْمَعْبِرةِ خَيْرُ فَهْرٍ      وَأَمْسَلُ مِنْ سَقَى سَوْبَ النَّهَمِ  
وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي طَرَفَةَ الْهَدَنِيُّ ، سَمِعْتُ ابْنَ خُرَيْجٍ يَقُولُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : هَلَاكَ سَيِّدُ  
الْبَطْنَاءِ بِالْأُتُفِ ؟ قُلْتُ : وَمَنْ سَيِّدُ الْبَطْنَاءِ ؟ قَالَ : هِشَامُ بْنُ الْمَعْبِرةِ .  
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «لَوْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنْ مُشْرِكِ قُرَيْشٍ الْهَلْجَةَ لَدَخَلَهَا هِشَامُ»  
ابْنُ الْمَعْبِرةِ ، كُلُّ أُمَّتِهِمْ لَعَمْرُؤُا ، وَأَخْلَسَهُمْ لَلْكَلِّ  
وَقَالَ مُعَرُّ بْنُ الْحَطَّابِ ، لَا غَيْلَ فِي اللَّهِ ، وَلَا كِبَرٌ فِي عِزِّهِ . وَلَوْ بِالْحُلُقِ الْخَزَلُ  
وَالْعَمَالِ الدُّثْرُ ، نَالِ الثَّنَوَةَ لَنَالَهَا هِنْدُ بْنُ الْمَعْبِرةِ ، وَلَكِنْ تَوَحَّيْتُ اللَّهُ ، وَالْجِهَادُ  
فِي سَبِيلِهِ .

وَقَالَ حِدَاشُ بْنُ رُهَيْرٍ فِي يَوْمِ شَمْعَةَ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ أَحَدُ أُنَامِ الْعِجَارِ ، وَهُوَ عَدُوُّ قُرَيْشٍ  
وَحَصْمُهَا :

وَبَلَّغَ ابْنُ بَلَّغَتَ بِنَا هِشَامًا      وَدَا ارْتُمَحِينَ بَلَّغَ وَالْوَلِيدَا<sup>(٢)</sup>  
أَوَّلُكَ إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ جُودًا      هَبْ لِبِهِمُ حَسْبًا وَحُودَا  
هُمْ حَيْرُ الْعَاشِرِ مِنْ قُرَيْشٍ      وَأُورَاهَا إِذَا قَدَحُوا زُودَا

(١) القيس على كسرة وقرينة . وشمعة : موضع قريب من عكاظ .

(٢) أُنَامُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ٣٣٢ .

وقال أيضا وذكّرهما في تلك الحروب :

يَا سَدَّةَ مَا شَدَدْنَا عِيرَ كَادِيَةٍ عَلَى سَخِيئَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا تَقَعْنَا هَيْهَلًا مَالُوكِيدٍ وَلَوْ أَنَّا تَقَفْنَا هَيْهَامَا شَأَلَتْ الْحَدَمُ  
وَذَكَرْهُمْ أَنُّ الرُّبْعَى فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ قُتِلَ :

أَلَا شَرُّ غَوْمٍ وَ لَدَتْ أُمْتُ بَيْتِ سَهْمٍ<sup>(٢)</sup>  
هَيْهَامُ وَأَبُو عَيْدٍ مَتَابِ مِدْرَهَ الْحَصَمِ  
وَذُو الرِّعَيْنِ أَشَدُّ مِنْ انْقُوَّةٍ وَالْحَزَمِ<sup>(٣)</sup>  
فَهْدَانِ يَدُودِ وَدَا عَنْ كَشِيرٍ يَرَى  
وَهُمْ يَوْمَ عُكَاظٍ مَكَمُوا النَّاسَ مِنَ الْهَزَمِ  
مَعَاوَاهُ طَعْنُونَ فَخَسَفَ التَّوْبَى كَالْخَمِ  
أَسْوَدَ نَزَدَهُ لِبَالِقَا نِ مَسَامُونَ لَهْفَمِ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ أَحْلَفَ وَيَكْرِتُ اللَّهُ بِهِ لَا أَحْلَفَ عَلَى إِيْمِ  
وَمَا مِنْ لِحَاقَةٍ بَيْنَ حُرُوبِ النَّسَامِ وَالرُّذَمِ  
بِأَذَى مَنْ بَسَى رِبْطَ نَ أَوْ أُرْسَ مِنْ حِلْمِ

رَبِطَةٌ ، هي أُمُّ وَلَدِ الْمَبْرَةِ ، وهي رَبِطَةُ بَنْتُ سَمِيْدٍ مِنْ سَهْمٍ مِنْ عَمْرِو بْنِ هَاشِمٍ  
ابْنِ كَعْبٍ ، وَأَبُو عَيْدٍ مَتَابِ هُوَ أَبُو أُمَيَّةَ بْنِ سُمَيْرَةَ ، وَيُتَرَفِّعُ رَادُ الرُّسُكِ ، وَاسْمُهُ خُدَيْعَةُ ،  
وَأَبْنَاءُ قَبِيلِهِ : زَادُ الرُّسُكِ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا حَرَّحَ مَسَافِرًا لَمْ يَرْوُدْ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَكَانَتْ

(١) الْأَعْلَى ١٩ : ٧٦ ؛ فِي أَسَانِدِ أُرَيْجَةَ ، وَكَانَ فِي مَسَافِرِش ٣٠٠ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرُّوَايَاتِ .

(٢) الْأَعْلَى ١٠ : ٩٢ ، الْأَسْلَى ٣ : ١٩٦ ، ١٩٧ ( حَمْدَةُ دَلِيلِ الْمَكْتَبِ ) .

(٣) فِي الْأَسْوَلِ . دَأْشَالُ ، مَوْجُهُ مِنْ الْأَسَالِ ٢ - ٢٠٨ . قَالَ ، يُقَالُ : أَشْأَلُ ، مَعْلَانٌ ؛ كَقَبِيلِ

حَسْبَكَ مَعْلَانٌ ؛ وَأَشَدُّ الْبَيْتِ .

(٤) الْأَعْلَى : « مَكَمُوا النَّاسَ مِنَ الْهَزَمِ » .

عنده عاتكة بنت عبد المطاب بن هشام ، واثم ذو الرمة بن قهز او ربيعة بن النيرة  
واسمه عمرو ، وكان المنيعة يسكنى بأم أبيه الأكر ، وهو هاشم ، ولم يُعقب إلا من  
حنتمة ابنته ، وهي أم عمر بن الخطاب .

وقال ابن الزبير يمدح أبا جهل :

رُبَّ تدبيرٍ ماحِدٍ الأملِ	مهدبٍ الأعراقِ والنَّجْلِ
منهمُ أبو عبيرٍ منافٍ وكِ	سريتِ بالعممِ على الدُّنَى
تَمَرُّو الدُّنَى ذاكَ وأشياعهُ	ما شئتَ من قولٍ ورينِ فِملِ

وقال الزُّرْد بن حلاس الشَّهْجِي : منهمُ

إذا كنتَ في حَيٍّ جَدِيمةً نَارِيَا	بِسدِّ عظيمِ التَّريتينِ وليدُ
فذلكَ وحيدُ الرأى مشركُ الدُّنَى	وعِصمةُ مَنهوفِ الخُلالِ عميدُ

وقال أيضا :

إِنَّ الوَلِيدِينَ والأَسَاءَ صَلَاحِيَّةَ	وَكَلَامِيَّةَ فِي السُّورِ وَالْفُتُورِ
هَمْ الْبَيَاتُ وَنَعْمُ الْيَوْمِ فِرْقَةٌ	عِزُّ الدَّلِيلِ وَعِظُّ الْمَلَسِ وَالْوَعْرِ

وقال :

ورَهطَكَ يَا نَ السَّبَّ أَكْرَمُ نَحِيدِ وَأَمْسَحُ لِحَاظِ الشَّهِيمِ الشَّهِيمِ  
قالوا : الميثُ لَقَبُ المنيعة ، وحدث الزُّرْدُ وأخوه هشاماً رَقِيَّ شَهَامَةً كَمَا قَالَ لَيْدٌ بنُ  
ربيعة في حُدَيْمة بنِ سَدٍّ :

وَأَهْلُكَ بِيَوْمَ رَبِّ كِيدُهُ وَأَمْسَحُ	وَرَبِّ مَعْدِي بَيْنَ جَبْنٍ وَغَرَعَةٍ <sup>(١)</sup>
--	---

فجعلهُ رَبَّ مَعْدٍ .

\*\*\*



قالوا : يذلّ على قَدَرِ محروم ما رأينا من تعظيم القرآن لشأنهم دون غيرهم من سائر  
قريش ، قال الله تعالى مُهَيِّراً عن العرب : إِيَّاهُمْ قَالُوا : ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ  
رَحْلًا مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> فأحد الرحلين العظيمين بلا شك الوليد بن المُغيرة ،  
والآخر غنم بن أبي عبيد ، أم عمرو بن مسعود ، أم حذو المختار بن أبي عبيد .  
وقال سبحانه في الوليد : ﴿دَرَيْ وَمَنْ حَقَّقْتُ وَجِيداً \* وَحَمَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً  
وَبَيْنَ شُهُوداً...﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

قالوا : وفي الوليد زلت : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَمَعَى فَأَنَّ لَهُ أَصْدَى﴾<sup>(٣)</sup> .  
وفي أبي جهل زلت : ﴿دَفَى بِأَيْتِ أَنْبَ الْأَمْرِ الْأَكْرَمِ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وفيه زلت : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾<sup>(٥)</sup> .

وفي محروم : ﴿وَدَرَيْ وَأَلْمُكْدَرِي بَيْنَ أُولَى اسْمَةٍ﴾<sup>(٦)</sup>  
ومعهم زلت : ﴿مَاحَوْلَا كُمْ وَرَاءَ حُجُرِكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> .

ورم اليعمرى أبو اليقطين وأبو الحسن أن الخصاص سأل أعتى محمدان عن ميونات  
مريض في الماهلية ، فقال : إِيَّيْهَا لَيْتُ أَلَا أَمَرُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ ، ولكن أَمُولُ  
وَتَسْمَعُونَ ، قالوا : فقل . قال : من أيَّهم أحب في أهله ، المؤدح بدر كره ، مَحَلِّي الكُفَّة ،  
وصارِبُ القُفَّة ، والملقَّب بالخير ، وصاحبُ عَجْرٍ والقُرْ؟ قالوا : يس : يس محروم ، قال :  
فمن أيَّهم ضجيعٌ بَسْبَاسَة ، ولَمْ يَحْضُرْ عَنْهُ أَبَافَةُ ، ورَادُ الرِّك ، ومَبِيسُ البَطْحَاء ؟ قالوا :  
مِنْ بَنِي محروم ، قال : فمن أيَّهم كل النفع في حُكْمِهِ ، والمَلَقْدُ وصِيَّتُهُ على نهكِهِ ، وعَدِلُ  
الجميع في الرِّفَادَةِ ، وأَوَّلُ مَنْ وَصَحَ أَسَسَ اسْكَمَهُ ؟ قالوا مِنْ بَنِي محروم ، قال : فَمِنْ

(١) سورة الحرف ٣١  
(٢) سورة عبس ٥ ، ٦  
(٣) سورة الفلق ١٧  
(٤) سورة الأناج ٩٤  
(٥) سورة القدر ١١ - ١٣  
(٦) سورة القمان ٤٩  
(٧) سورة الزمل ١١

أبيهم صاحب الأريكة ، ومُعْطِمُ الحُريرة ، فلما من بني محروم ؛ قال فين أبيهم الإخوة الشَّرة ،  
السكرام البرَّة ؟ قالوا من بني مخزوم ، قال : فهو ذاك ؛ فقال رجلٌ من بني أُميّة ، أيتها  
الأمير ، لو كان لم مع قديمهم حديث إسلام ؛ فنادى الحُبّاح : أو ما علت بأنّ منهم رَدّاد  
الرَّذَّة ، وفائل مُسَيْلِمَة ، وآسِر طَيِّبَة ، ومُدْرِكُ المِثَالَة ، مع الفتوح العِطام والأبادي  
الحسام ؛ فهذا آخرُ ما دُكِرَ أبو عثمان .

ويمكن أن يُراد عليه فيقال : قالت محزوم ما انصمَّ من اقتصر في دُكْر ما على أن قال :  
محروم ربحاً قُرْبى ، تحت حديث دخلهم ، والشكاح في نسايتهم ، ولما في الماهلية والإسلام  
أثر عظيم ، ورجال كثيرة ، رؤساء شهره ، فمنا الميرة بن عبد الله بن عمرو بن محروم ،  
كان سيد قريش في الماهلية ، وهو الذي متع امرأة من الخلق لما عبر حشيش بن لاي  
المرأري ، ثم استمعى قوماً من قريش إنيهم يُحدثون ما يحتره العرب من الإبل في  
اللوئيم ، فقال حشيش لما منع من الخلق :

يَا رَبِّ هَلْ عَدَدَكَ مِنْ غَيْرَةٍ      أَصْبَحُ مَالِي وَأَذْغُ تَجْبِرَةٍ  
فَإِنَّ مَنَا مَانِعَ النِّسْبَةِ      وَمَا سَأَ بَعْسِدَ مَنِ بَشِيرَةٍ  
● وَمَا سَأَ يَنْتَكُ أَنْ أُرْوَرَهُ ●

منا هو الميرة العشرة أشهر ربيعة ، وقد تقدم ذكرُ نديها ، وأمثا عاكهُ ملت عبد  
المرزقي بن قصي ، وأمثا الحطيتا بك كُتِبَ بن سعد بن نيم بن مرة ، أول امرأة من  
قريش قربت قباب الأدم بنى الحار ، ولها يقول الشاعر :

مَعَى بِالصَّالِحَاتِ هُوَ الْخَصِيَا      وَكَانَ نَسَبُهُمْ يُفْنَى الْغَيْرِ

فمن هؤلاء . أعني الحطيتا . الوليد بن الميرة أمه سَحْرَة بنت الحارث بن عبد الله

ابن عبد شمس القُشَيْرِيّ، كان أوطال من عند لُصَب يَتَجَرَّ بَأْءَ خَالِه، وكَمَاكَ من رجل  
يَغْتَرُّ أبو طالب بِخُشُولَتِهِ ! أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي طَالِب :

وخالِي الوليد قد عرفتم مَكَاةَ      وحالي أبو الماحي إِبَاسُ بْنُ مَعْبَر

ومهم حفصُ بْنُ المِرة ، وكان شريد . وسُها بْنُ الفِيرة . وكان شريفا . ومنهم  
السَّيدُ المَطَاعُ هِشَامُ بْنُ الفِيرة ، وكان سَيِّدَ فَرَسٍ عَجَزَ مُدَافِع ، له يقول أبو بكر بْنُ الأسود  
ابن شُموب يَرْثِيهِ :

دَرَبِي أَصْطَلِحْ بِالسُّكْرِ إِنِّي	رَأَيْتُ اللَّوْثَ نَقَبَ عَنِ هِشَامِ .
تَجَبَّرَ وَلَمْ يَصْدُرْ سِوَاهُ	وَدِيمَ الرَّمْهِ مَالِكُ الْحَرَامِ !
وَكُنْتُ إِذَا الْإِغْيَةِ كَأَنِّي	بِالْمُحَرَّمِ فِي شَهْرِ حَرَامِ
هَوْدٌ بِوِ الْمُنِيرَةِ لَوْ فَتَلَّوْهُ	بِالْقَلْبِ مُقَابِلِي وَبِالْبِزَامِ
وَوَدَّ نَرُ الْمِرةَ لَوْ تَقَدَّوْهُ	بِالْبِزَامِ مِنْ دَحَالِ أَوْ سَوَامِ
فَكَيْفَ ضَاعَ وَلَا تَحُلِّي	هِشَامًا ، بَعْدَ عَيْتِ الْأَمَامِ

ويقول له الحارث بْنُ أُمَيَّة الصُّعْرِيّ :

أَلَا هَلْكَ الْقَنَاصُ وَالْحَامِلُ التَّلَا	وَمَنْ لَا بَصَرَ عَنِ عَشِيرَتِهِ فَصَلَا
وَحَرْبُ إِبَاهِيَّانَ أَطْعَمَتِ نَارَهَا	وَلَوْلَا هِشَامٌ أَوْقَدَتْ حَقَطًا جَرَّهَا
وَعَلَى رَبِّكَ يَسْتَكِينُ لِيَبْنُو	فَكَكُنْتَ أَمَا عِيَانٌ مِّنْ نَّدِيهِ الْمَلَا
أَلَا لَسْتُ كَالْهَلْكِ فَتُكَيِّ بِكَاهِم	وَلَكِنْ أَرَى الْمَلَاكَ فِي جَنَّةٍ وَعَلَا
عِدَّةٌ عِدْتُ تَسْكِي ضَاعَةً عَيْنَا	هِشَامًا وَفَدَاغَتْ بِمَهْمِكِهِ صَحْلَا
أَلَمْ تَرَى أَنَّ الْأَمَانَةَ أَصْعَدَتْ	مَعَ النَّفْسِ إِذْ قَتَّى وَكَانَ لَهَا أَهْلَا !

وقال أيضاً يَكِيه ويرثيه :

وأصبحَ بطنُ مَكَّةَ مَشِيرًا      شديدَ اللَّحْلِ ليس بهِ هِشامُ  
يَرُوحُ كأنه أشلاء سَوَاطِرُ      وفوقَ رِجْلَيْهِ شَحْمُ رُكَامُ  
مَلَأَكُمَا أَكْلُ كَيْفِ شَاءُوا      ولَوْنَانِ لَقَمُ وَانْقِشَامُ  
فَكَيِّهِ صَبَاعُ وَلَا تَمَكِّي      يَحَالُ النَّاسُ إِنْ فَحَطَ الْعَمَامُ  
وإنْ بِي أَنْبَرَةٍ مِنْ فَرِيشٍ      هم الرُّأْسُ الْقَدَمُ وَالسَّامُ

وضاعة التي تذكرها الشعراء زوجة هِشام ، وهي من بني قُشَيْر .

قال الزبير بن بَكَّار : فلما قال الحادث : « أَلَا لَسْتَ كَالْهَنْكِي . . » البيت ،  
قَطَمَ ذلك على بني عبد مناف « مَرَدًا » حَكِيمٌ بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي  
حليف بني عبد شمس ، وكاتب قريش وضَّعَ به واستعملته على سِقَاتِهَا ، فَمَرَّ مَعَهُ  
الحادث ، وقال :

أَيُّرُهُ مِنَ الْأَبْطَحِ كُلِّ يَوْمٍ      غَامَةً أَنْ يَنْكُلَ فِي حَكِيمٍ

فهدم حَكِيمٌ دارَهُ ، فأعطاه بهو هِشام دارَهُ التي مأخِذُاد عِرْصَانِهَا .

وقال عبد الله بن ثور السَّكَّانِي يرثيه :

هَرَبِيْقٌ مِنْ دَمَوْعِهَا رَسَجَامَا      صَاعٌ وَحَاوِي تَوْحَا قِيَامَا  
عَلَى خَيْرِ الرِّبَا لَنْ تَرَاهُ      وَلَنْ تَلْقَى مَوَاهِجَهُ الْبَطَامَا  
جَوَادٌ مِثْلَ سَبَلِ النَّيْتِ يَوْمَا      إِذَا عَلَجَ بِهِ يَسْلُو الْإِكَامَا  
إِذَا مَا كُنْ هَامٌ ذُو هُرَامٍ      حَسْتُ قُدُورَهُ حَلَا مِيَامَا

مِنَ الرَّكْبِ إِذْ أَسْرَوْا حُرُوقًا      وَصَفَتِ الْيَهُوثُ فَلَا هِنَامًا  
وَأَوْحَشَ بَطْنُ مَكَّةَ مَدَائِسَ      وَعَمَدُ كَانٍ مِثْلَ أَفَامَا  
لَمْ أَرِ مِثْلَهُ فِي أَهْلِ صَحْدٍ      وَلَا فِيمَنْ نَعَوَزُكَ بِأَيِّهَامَا

\*\*\*

قال الزبير : وكان فارس عريش في احصية هشام بن العيص ، وأبو ليدي بن عتبة  
ابن حنظلة بن عبد بن شمس بن عامر بن لؤي ، وكان يقال له شام : فارس القطعاء ، فلما  
هلكا كان فارس عريش معه ، عمرو بن عبد اسامى القنول يوم الخندق ، وضرا  
ابن الخطّاب الحارثي العيصي ، ثم حنظلة بن أبي وهب وعكرمة بن أبي جهل الخزوميين .  
قالوا : وكان عام مات هشام نازحاً ، كمام القليل ، وعام الفجار ، وعام يُبين الكفة .  
وكان هشام رئيس بني عروم يوم الفجار .

قالوا : ومما أبو جهل بن هشام ، وسمه عمرو ، وكنيته أبو الحكم ، وإمام كاه  
« أبا جهل » رسول الله صلى الله عليه وآله . كان سيداً أدخله عرض دار المدونة فوذه  
وأجلسته فوق الحلة من شيوخ قريش ، وهو عظيم لم يطر شاربه ، وهو أحد من ساد  
على السنا . والحارث بن هشام أخو أبي جهل كان شريفاً مدكوداً ، وله يقول كعب  
ابن الأشرف اليهودي الطائي :

نُشِتُ أَنْ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ      فِي أَسَاسِ بَيْتِ الْمَكْرُمَاتِ وَجَمَعَ<sup>(١)</sup>  
لِيَزِيدَ يَثْرِبَ<sup>(٢)</sup> مَطْوَعٍ وَإِنَّمَا      بَنَى عَلَى الْحِجَابِ الْقَدِيمِ الْأَرْوَاحُ

وهو الذي هاجر من مكة إلى الشام بأهله وماله في خلافة عمر بن الخطاب ، فتبعه  
أهل مكة يسكنون ، فرقوا وكسوا ، قال : إنَّ لو كُنَّا سنسبيل داراً بدار ، وجرا

(١) سب قريش ٣٠١ .

(٢) سب قريش « أثرب » ؛ وهي لغة « يثرب »

بجاء ، ما أردناكم بدلا ، ولكنها الثَّغَّةُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، فلم يزل حبسا نفسه ومن معه بالشام مُجاهدا حتى مات .

قال الزُّبَيْر : جاء الحارثُ بنُ هِشامٍ وسُهَيْلُ بنُ عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده وهو بينهما ، فحصل المباحرون الأولون والأصغر يثوب عمر فينصتُهما ويقول : ها هما يا سُهَيْل ، ها هنا يا حارث ! حتى صاروا في آخر الحاس ؛ فقال الحارث لسُهَيْل : ألم تر ما صنع بنا عمر اليوم ! فقال سُهَيْل : آتيا الرِّحس ، إنه لا تَوَمَّ عليه ، يدعى أن نرجع بالأموم على أنفسنا ، دُعِيَ القومُ ودُعِيا ، فسرَّعوا وأعدُّنا . فلما قاما من عند عمر أُنْباه في عِدِّ فقال له : قد رأينا ما صنعتَ بالأمس ، وعِلْمُنا أَهْأَنْبِ ما أُنْصِيا فهل من شيء ستعدُّك به ؟ فقال : لا أعلم إلا هذا الوحه - وأشار لهما إلى قُفْر الزَّوم فخرحا إلى الشام ، فجهادا بها حتى ماتا .

قالوا : ومما عبدُ الرِّحسِ بنُ الحارث بن هِشام ، أمه طُعْمَةُ بنتُ الوليد بنِ العُميرة ، وكل شريكا سيِّدا ، وهو الذي قد لمعاوية لما قُتِل حُضُر بن عَدْرِى وأصحابه : أين عَرَبُ ميكَ حِلْمُ أبي سُفْيَان ، ألا حَفَسْتَهُم في السَّحون ، وعَرَّسْتَهُم للطاعون ؟ فقال حين عاد عَنى مثلك من قومي . وعبد الرِّحسِ بنُ الحارث بن هِشام هو الذي رَعِب فيه عِثابُ بنُ عَفَّان وهو خليفة فروَّجه أخته .

قالوا : ومما أبو بكر بنُ عبد الرِّحسِ بنِ الحارث بنِ هِشام ، كان سيِّدا حَوادِثا وفقها عالما ، وهو الذي قدَّم عليه هو أسد بن حريمة يسألونه في دِمَاه كات بينهم ، فاحتسَل عنهم أربعمئة بغير دية أرمعه مِنَ القَتْلِ ، ولم يسكن بيده مال ، فقال لاسه عبدُ الله بن أبي بكر : اذْهَبْ إلى عَمِّكَ المَعيرة بنِ عبد الرِّحسِ فاسأله الدِّموة ، فدَهَب عبدُ الله إلى عمِّه فدَكَر له ذلك ، فقال المَعيرة : لقد أكر عيبُ أُنوك ، هُصِرَفَ عنه عبدُ الله وأقام أيتاما

لَا يَدْكُرُ لِأَيِّهِ شَيْءٌ ، وَكَانَ يَقُودُ أَبَاهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقَدْ دَهَبَ بَصَرُهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَوْمًا :  
 أَدَهَبْتَ إِلَى عَمَّتِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَسَكَتَ ، فَمَرَفَ حِينَ سَكَتَ أَنَّهُ لِي يَحْدُثُ عِنْدَهُ  
 مَا يُحِبُّ . فَقَالَ لَهُ : يَا نَسَى الْأَتَحِيرِي مَدَى لَكَ ؟ قَالَ : أَيْعَمِلُ أَبُو هَاشِمٍ - وَكَانَتْ كُنْيَةُ  
 الْمَغِيرَةِ - قَرْنًا قَتَلَ ، وَلَكِنْ أُنْعِدُ عَدَاؤِي ، سَتَوْقُ صَحْدُ لِي عَيْتَةً ، فَعَدَا عَبْدُ اللَّهِ فَعَمِنَ  
 عَيْتَةً مِنَ السَّقْوِ لِأَيِّهِ وَهَمَّهَا ، فَاقَامَ أَبَاهُ لَا يَبِيعُ أَحَدًا فِي السَّقْوِ طَعَامًا وَلَا رَيْتَ عَمِيرَ  
 عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ تِلْكَ الْعَيْتَةِ ، فَلَمَّا مَرَعَ أُمْرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَى الْأَسَدِيِّينَ  
 فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ .

وَكُلُّ أَبُو بَكْرٍ حَصِيصًا نَسَبًا ذَلِكَ مِنْ مَرْوَلٍ ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَكَ لِأَيِّهِ الْوَلِيدُ لَمَّا حَصَرَتْهُ  
 الْوَهْمَةُ : إِنَّ لِي بِالْمَدِينَةِ سَدَبَقَيْنَ فَاحْطَمْنِي فِيهِمَا . عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَمْرٍ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ  
 ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ .

وَكُلُّ قَالَ : ثَلَاثَةَ أَسَاتٍ مِنْ مَرْوَلٍ نَوَسَتْ ، وَشَرَفَ حَمَّةَ حَمَّةً ، وَعَدَا وَامْنَاهَا أَبُو بَكْرٍ  
 ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ بْنِ الْمَغِيرَةِ .

قَالُوا : وَمَا الْمَغِيرَةُ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، كُلُّ أَحْوَدَ النَّاسِ لِلنَّالِ ،  
 وَأَطْلَمَهُمْ لِلطَّعَامِ ؟ وَكَانَتْ قِيَّتُهُ أَسِيئَةً مَعَ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي عَزْوَةِ الرُّومِ ، وَكَانَ  
 الثَّغِيرَةُ يَحْتَرُ الْجَزُورَ ، وَيُعْلِمُ الطَّعَامَ حَيْثُ تَرَى ، وَلَا يَرِدُ أَحَدًا ، صَدَقَ قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ  
 فَجَلَسُوا عَلَى طَعَامِهِ ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمْ يُحَيِّتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَغِيرَةُ : سَلِّكَ نُجْدًا أَنْطَرُ  
 إِلَيْ ! قَالَ : إِنَّ لِي لِيَرْبِي عَيْنُكَ وَسَهَابُكَ بِالطَّعَامِ ؟ قَالَ : وَمِمَّ ارْتَبْتَ ؟ قَالَ : أُمْلَسُكَ  
 الدَّخَالَ ، لِأَنَّ رَوِيَا أَنَّهُ أَعْوَرَ ، وَأَنَّهُ أَمَنَّمُ النَّاسَ بِالطَّعَامِ ، فَهَذَا الْمَغِيرَةُ : وَيُحَيِّتُ ! إِنَّ  
 الدَّجَالَ لَا تُصَابُ عَيْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَبِغَيْرَةِ يَقُولُ الْأَنْبِيَاةُ الْأَسَدِيُّ لَمَّا قَدِمَ الْكَوْفَةَ  
 مَحْتَرُ الْجَزَرِ وَسَطَ الْأَنْطَاعِ وَأَطْلَمَ النَّاسَ ، وَصَارَ مَيْتُهُ فِي الْمَرْأَبِ :

أَنَّكَ السَّخَرُ طَمَّ عَلَى قَرِيشٍ مُبَرِّقِي مَقَدِّ رَاغٍ ابْنِ يَشِيرٍ<sup>(١)</sup>  
 وَرَاغٍ الْخَذِي خَذِي اسْتَيْمَ لَسَا رَأَى الْمَرْوَفَ مِنْ عَيْنِ تَرِي  
 وَمِنْ أَوْتَارِ عُقَّةٍ قَدْ شَعَا وَرَهَطَ الْخَطْبِيَّ وَرَهَطَ سَخَرِ  
 فَلَا يَنْزُرُكَ حُسْنُ الرَّيِّ مِنْهُمْ وَلَا مَرْحَ سُرُيُونٍ وَمَعَرٍ<sup>(٢)</sup>

هَـبْنِ يَشِيرَ ، عَدُوَّ اللَّهِ بِنِ يَشِيرَ بْنِ مَرْوَالِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَخَذِي التَّيْمِ : حَمَادُ بْنُ عَمْرَانَ  
 ابْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُسَيْدِ اللَّهِ ، وَأَوْتَارُ عُقَّةٍ بِمَنْ أَوْلَادُ عُقَّةٍ بِنِ أَبِي مُنَيْبٍ ، وَالْخَطْبِيَّ  
 لُقْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَامِلِ الْخُحْيِ ، وَرَهَطَ سَخَرٍ : سَوَاحِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِنِ أُمَيَّةٍ ، وَكُلُّ  
 هَؤُلَاءِ كَانُوا مَشْهُورِينَ بِالْكُوفَةِ ، فَهَذَا مَدَنِي الْمَبْرَةِ أَحْمَلُ ذِكْرَهُ ، وَالْمَبْرَةِ هَذَا هُوَ  
 الَّذِي تَكَلَّمَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ أَمْلَجٍ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَسْمَارِيِّ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ التَّرْلَ الَّذِي زُلَّ  
 فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَقْدَنَةَ الْكُوفَةِ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ بِمَعْمَلَانَةِ دَسَادٍ ، فَارْسَلَ  
 إِلَيْهِ أَمْرًا دَبِيرًا ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَبِيعَهُ بِإِيَّاهُ ، فَبِيعَهُ ، فَلَمَّا مَلَكَهُ حَسَنَةً صَدَقَهُ فِي يَوْمِهِ .

فَالْزَيْبِرُ : وَكَانَ يُرِيدُ بِنِ الْمَبْرَةِ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْدُو بِهِ بِالْكُوفَةِ عَلَى الْمَجْلِ ،  
 وَكَانَ يَسْخَرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَرُورًا ، وَفِي كُلِّ حَمَّةٍ خَرُورًا . وَرَأَى يَوْمًا يُحْدِثِي حَقَائِدَهُ  
 مُسْكَكَةً بِالسَّامِ تَكْلِيلًا حَسَمًا ، فَابْتَحَنَهُ ، فَسَأَلَ فَقَالَ : مَنْ كَتَبَهَا ؟ قِيلَ : الْبَيْسَ اسْكُ ؟  
 فَضُرَّ ، وَأَعْطَاهُ سِتِينَ دِينَارًا .

وَمَرَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ عَلَى بُرْدَةِ الْمَبْرَةِ وَفَدَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَفْعَةِ ، فَقَالَ لَمَبْرَةٍ مِنْ عَيْدِ  
 الْمَبْرَةِ : يَا عَلَامَ ، عَلَى أَيْ شَيْءٍ نَصَبْتُمْ هَذَا التَّرِيدَ عَلَى الْعَمْدِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ عَلَى أَعْضَادِ  
 الْإِبِلِ ، فَبِيعَ ذَلِكَ الْمَبْرَةَ ، فَأَعْتَقَ ذَلِكَ الْغُلَامَ .

وَالْمَبْرَةِ هُوَ الَّذِي مَرَّ بِحَجْرَةِ الْأَعْرَبِ فَمَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أُمَا هَانِمْ ، قَدْ قَاضَى

(١) لَسِبَ قَرِيشٍ ٣٠٥ .

(٢) السُّرُيُونِ ، بِالْفَمِّ : السُّدُسُ ، وَتَالِ ابْنِ يَرِي : هُوَ رَقِيقُ الرِّيَّاحِ .



معروفك على الناس ، فما تألأ أشقى الخدني بك : قال : إنه لا مالَ معي ، ولكن خذوا هذا  
الغلام فهو لكم ، فآخذوه ، فكى التلامُ فقال : يا مولاى ، خدمتى وخدمتى ا فقال :  
أتبيعونى إياه ؟ قالوا : نعم ، فاشترأ منهم غارِ نَمَ أعتقه ، وقال له : والله لا أعرُضُكَ لثمنها  
أبدا ، اذهب فانت حرٌّ ، فلما عاد إلى السكوة حمر ذلك الدال إليهم

وكلت الميرة عامر بالسكر والخلوز فبدقن ويطعمهما أصحاب السنة الساكنين ،  
ويقول : إنهم يشتبهون كما يشتغى عيرهم ولا يحكمهم ، فخرج الميرة في سمر ومعه جماعة  
فوزدوا عديراً ليس لهم ماء عيرى - وكل ما بها - فممر يقرّب القمل فتقت في انشدير  
وخيسبت بئانه ، فاشرب أحدٌ منهم حتى رحوا ، لا من قرب للميرة .

ودكر الزبير أن أباه طهشتم بن عبد الملك كل يسوم الميرة ماله بالكل السقى ماله ،  
فلا يبيعه ، فمرا ابن هشام أرض الروم ومعه الميرة ، فحاسب الناس جماعة في عراهم ،  
فما الميرة إلى ابن هشام فقال : إنك كنت تسومنى مالى عدبع<sup>(١)</sup> ، فإني أن أبيعك .  
فأشعر الآن متى يصدع نشرين أب ديار . فأمم الميرة بها الناس ، فمارح ابن هشام  
بالناس من غروته تلك وقد بلغ هشاماً الحورُ فلأله : ففتح الله رأيك أنت أمير الخدش ،  
وإن أمير المؤمنين ، يصب الناس معك محبة فلا يطعمهم حتى يبيعك رجل سوفة ماله ،  
ويطعم به الناس ! ويحك أحثيث أن نعتقر ب طلمت الناس !

قالوا : ولنا عكرمة بن أنى حبل الذى قام له رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً ،  
وهو بعد مشرك لم يسلم ولم يتم رسول الله صلى الله عليه وآله لرجلٍ داخلٍ عليه من  
الناس شريع ولا مشرف ، إلا عكرمة ، وعكرمة هو الذى احتشد في نصرة الإسلام بعد  
أن كان شديد العدواة ، وهو الذى ساءه أو نكر أن يقبل منه مودة على الجهاد فإني ،

(١) بديع : ماء عليه نحيل وعدوى طرية بقرب وادى القرى . باثوث .

وقال : لا آخذ على الجهاد أجراً ولا مئونة ، وهو الشهيد يوم أجدادين ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تسألني اليوم شيئاً إلا أعطيتك » ، فقال : فإني أسألك أن تستغفر لي ؛ ولم يسأل غير ذلك ، وكلّ فريش غيره سألوا الدالّ ، كسهيّل بن عمرو وصّفوان بن أمية وغيرهما .

قالوا : ولنا الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن الميرة ، كان شاعراً بعيداً مكثرًا ، وكان أمير مكة استعمنه عليها يزيد بن معاوية .

ومن شعره :

مَنْ كَلَفَ بِسْأَلِ عَمَّا آتَى مَرَلًا      «لَا تُجْوَأَةُ مَا مَسْرَلُ قَيْنٍ»<sup>(١)</sup>  
يَلْزِمُ نَلَسَ الْعَيْشَ غَصًّا لَا يَكْدُرُهُ      قَرِبُ الْوُشَاهِ وَلَا يَتَّبِعُوْنَا الزَّمَنُ  
وَأَخُوهُ عِكْرَمَةُ بْنُ حَالِدٍ كُلُّ مَنْ وَجَّوْهُ فَرِيشٌ ، وَدَوَى الْخَدَثُ ، وَدَوَى عَمَهُ .

ومن ولد حارث بن العاص بن هشام بن الميرة خالد بن إسماعيل بن عبد الرحمن ، كل جواداً متقلاً ، وفيه قال الشاعر :

لَمَمْرُكُ بْنُ الْحَمْدِ مَا عَشَرَ حَدَثٌ      عَلَى الْعُمَرُ مِنْ دَى كَسَدَةِ لُفَيْمٍ  
وَتَدَدَى الدِّبْلُخُ الْبَيْضُ مِنْ جُودِ حَالِدٍ      وَيُخَصِّصُ حَتَّى مَنَسَ عَمِيمٍ  
قالوا : ولنا الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن الميرة ، كان قاضي مكة ، وكان هنيئاً .

قالوا : ومن قدّماء السديين عبد الله بن أمية بن الميرة أخو أمّ سلة زوج رسول الله

---

(١) نسب فريش ٣١٣ ، معجم اللذان ١ - ٣٠٩ من غير مئة . والأقحوانة : موضع لأرعد من أرض دمشق على شاملي\* بحيرة طرية .

صلى الله عليه وآله ، كان شديد الخلاف على المسلمين ، ثم خرج مهاجرا ، وشهد فتح مكة وحين ، وقُتل يوم الطائف شهيدا .

والوليد بن أمية ، حبر رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه ، فسماه المهاجر ، وكان من صلحاء السعير .

قالوا : وما رهبر بن أبي أمية بن الميرة ، وخبير بن أبي ربيعة بن ميرة ، غير رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه ، فسماه عبد الله ، كما من أشراف فريش ، وعاس بن أبي ربيعة ، كل شرطا .

قالوا : ومنا الحارث القناع ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كل أمير الهرة ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، المشهور ذي العرل والنسب .

قالوا : ومن ولد الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الفقيه المشهور ، وهو الميرة بن عبد الرحمن بن الحارث ، كل فقيه المدينة بعد مالك بن أنس ، وعرض عليه الرشيد حارة أرضة آلاف دينار ، فمتنع ولم يتقبله انقضاء .

قالوا : ومن يمد ما يمدّه محروم ولما خالد بن الوليد بن الميرة سيف الله ! كل مباركا ، ميمون البقية شجاعا ، وكل إليه أئمة الخليل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهد معه فتح مكة ، وخرج يوم حنين ، فقتل رسول الله صلى الله عليه وآله على حرّحه فبرأ ، وهو الذي قتل مُستعينة وأسر طليحة ومهدّ خلافة أبي بكر ، وقال يوم موته : لقد شهدت كذا وكذا رخصا . وما في حسدى موضع يستمع إلا وفيه طعمة أو صربة ، وهانذا أموت على فراشي كما يموت المسير ، فلا تمت أعين الخلق ! ومرا عمر بن الخطاب على دور بني محزوم ونساء يذبن حالدا ، وقد وصل خبره إليهم



قالوا : ولنا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو عبد الله بن السائب بن أبي السائب ، واسم أبي السائب صتيق بن عائد بن عبد الله بن عمر بن محروم ، كل شريك النبي صلى الله عليه وآله في الجاهلية ، فجاءه يوم الفتح فقال له : أنعمتني ؟ قال : أُنستَ شريكي ؟ قال : على ، قال : لقد كنت خيرَ شريك ، لا تُشاري ولا تُماري .

قالوا : ومنا الأرقم بن أبي الأرقم الذي استتر رسول الله في داره بمكة . أول الدعوة ، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن محروم .

ومنا أبو سلفة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، وهو روح أم سدة بنت أبي أمية بن المغيرة ، قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ، شهد أبو سلفة بدرًا ، وكان من صلحاء المسلمين .

قالوا : لنا هُبيرة بن أبي وهب ، كان من الرُسان المذكورين ؛ وابنه جمدة بن هُبيرة ؛ وهو ابن أخت علي بن أبي طالب عليه السلام ، أمه أم هاني بنت أبي طالب ، وابنه عبد الله ابن جمدة ابن هُبيرة هو الذي فتح القنُصُد وكثيراً من خُراسان ، فقال فيه الشاعر :

لولا ابنُ جمدة لم تُفتحْ مُقُصِدُكُمْ ولا خُراسانُ حتى ينفُخَ الصُورُ

قالوا : ولنا سعيد بن السبب الثقيف الشهور . وأما الجواد المشهور فهو الحكم بن المطلب ابن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن محروم .

وقد اختصرتُ ما واقتصرنا على من ذكرناه ، وتركنا كثيراً من رجال غزوم خواف الإصهاب .



ويبين أن يقال في الجواب : إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل هذا الكلام احتقاراً لهم ، ولا استصساراً لشأنهم ، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثرَ همّة يوم المُأحَرة أن يفاخر بني عبد شمس لما بينه وبينهم ، فلما ذكر غزوماً بالبرّض قال فيهم ما قال ، ولو كان يريد معاشرتهم لما اقتصر لهم على ما ذكره عنهم ، على أن أكثر هؤلاء الرجال إسلاميون بعد عصر علي عليه السلام ، وعلي عليه السلام إنما يذكر من قبله لا من بعده .

فإن قلت : إذا كان قد قال في بني عبد شمس إنهم أُمِصُّ لما وراء ظهورهم ، ثم قال في بني هاشم : إنهم أُمِصُّ عند الموت بنوهم ، فقد تناقض الوَسمان .  
قلتُ : لا مُناقضةَ بينهما ، لأنه أراد كثرة بني عبد شمس ، فبالكثرة تمنع ما وراء ظهورها ، وكان بنو هاشم أقلَّ عدداً من بني عبد شمس ، إلا أن كلَّ واحد منهم على انفراده أُمِصُّ بنفسه عند الموت من كلِّ واحد على انفراده من بني عبد شمس ، فقد بان أنه لا مُناقضةَ بين القولين .

(١١٧)

الأصل :

شَتَانٌ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ ؛ عَمَلٍ نَهَبُ لَدُنُّهُ ، وَتَقَى تَبِعَتُهُ ؛ وَعَمَلٍ نَهَبُ  
مَوْثِقَتُهُ ، وَيَبْقَى أَجْرُهُ .

• • •

الشرح :

أخذ هذا المصنف بعضُ الشعراء ، فقال :

تَقَى اللَّدَادَةَ يَمْنُ مَالُ كُنْيَتِهِ      مَنِ الْحَرَامِ وَيَقِ الْإِثْمُ وَالنَّارُ  
تُقَى عَوَاقِبَ سَوْءٍ فِي مَقْتِنِهَا      لَا حَبْرَ فِي لَدُنِّهِ مِنْ نَعْدِهَا النَّارُ

(١١٨)

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ نَسَحَ حَارَةً فَمَعَ رَحَلًا بِمَحْكُ ، قَالَ :  
كَانَ الْمَوْتُ فِيهَا عَلَى عِبْرًا كُتِبَ ، وَكَانَ انْفُصْلَ فِيهَا عَلَى عِبْرًا وَجَبَ ، وَكَانَ  
الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَآتِ سَعَرٌ حَمًا فَيَسِرُّهُ بَيْنَا رَاجِسُونَ ، نُبُوهُمْ أَجْدَانَهُمْ ،  
وَنَأْكُلُ زُرَانَهُمْ ، كَأَنَّا مُعَدُّونَ تَمَدُّهُمْ ، فَذَنِبُوا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ ، وَدُمِيًّا  
بِكُلِّ جَائِحَةٍ .

طَوَى لِمَنْ دَلَّ فِي مَقْبَرِهِ ، وَطَابَ كَتَبُهُ ، وَصَنَعَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسَنَتْ حَبِيقَتُهُ ،  
وَأَتَمَّ الْفَصْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَتَمَّ الْفَصْلَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَغَرَلَ مِنَ النَّاسِ شَرَّهُ ،  
وَوَسَّيْتُهُ الشُّعْ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى رِدْقَةٍ .

\*\*\*

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَقُولُ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَلْسَبُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

\*\*\*

البُخَارِ :

الْأَشْهُرُ الْأَكْثَرُ فِي الرَّوَايَةِ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَمِثْلُ قَوْلِهِ : « كَانَ الْمَوْتُ فِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا كُتِبَ » قَوْلُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا رَأَيْتُ حَقًّا  
لَا بَاطِلًا فِيهِ أَشَدَّ بَاطِلًا لَا حَقَّ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ ؛ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي بَعْدَهُ وَاضِحَةٌ لَيْسَ فِيهَا  
مَا يُشْرَحُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَفَائِذِهَا .



(١١٩)

الأصل :

عَبْرَةُ الْمَرَأَةِ كُفْرٌ ، وَعَبْرَةُ الرَّحْلِ إِيمَانٌ .

• • •

الشرح :

الرجوع في هذا إلى النفل والثماسك ، هذا كل الرجل أعقل وأشدّ تماسكاً كانت  
عبرته في موضعها ، وكانت واجبة عليه ، لأنّ الذم عن السكر واجب ، وفعل الواحات  
من الإيمان ، وأما المرأة فلما كانت أنقص عقلاً وأشدّ صنفاً كانت عبرتها على ابوتهم الباطل  
والخيلال عبر المحقق ، فكانت قبيحةً لوقوعها عبر موضعها ، ومماها عليه السلام كُفْرًا  
لمشاركتها الكفر في الفتح فأحرى عليها اسمه .

وأما فإن المرأة قد تؤدى بها عبرة إلى ما يكون كُفْرًا على الحقيقة كالشجر ،  
فقد ورد في الحديث الرفوع أنه كُفْرٌ ، وقد يعمى بها الشجر والفلق إلى أن تنسحق  
وتنشم وتلتقط بالفاطر تكون كُفْرًا لا محالة .

(١٢٠)

الأصل :

لَا تُسَبِّحُ الْإِسْلَامَ بِسَبِّ لَمْ يَنْسِبْ أَحَدٌ قَبْلِي . الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ  
الْيَقِينُ ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدُّيقُ ؛ وَالتَّصَدُّيقُ هُوَ الْإِفْرَازُ ، وَالْإِفْرَازُ هُوَ الْأَدَاةُ ، وَالْأَدَاةُ  
هُوَ التَّمَلُّ .

\*\*\*

الْمُبْتَدَأ :

خلاصة هذا الفصل تقتضي صحة مدَّعَى أحماتنا لمرحلة في ن الإسلام والإيمان عبارتان  
عن معبر واحد ، وأن العمل داخل في مفهوم هذه اللفظة ، ألا تراه حمل كل واحدة من  
اللفظتين قائمة مقام الأخرى في إعادة المفهوم ، كما نقول : اللهيت هو الأسد والأسد هو السبع ،  
والسبع هو أبو الحارث ! فلا شبهة أن نثبت يكون أبا الحارث ؛ أي أن الأسماء مترادفة ،  
فإذا كان أول اللفظتين الإسلام ، وآخرها التمل ، دلَّ على أن العمل هو الإسلام ؛ وهكذا  
يقول أحماتنا : إن تارك العمل وتارك الواجب لا يسمى مسلماً .

فإن قلت : ذهب أن كلامه عليه السلام يدل على ما قلت ، كيف يدل على أن الإسلام  
هو الإيمان ؟

قلت : لأنه إذا دلَّ على أن العمل هو الإسلام وجب أن يكون الإيمان هو الإسلام لأن  
كل من قال : إن العمل داخل في معنى الإسلام ؛ قال : إن الإسلام هو الإيمان ،

فالتقول بأنَّ العمل داخلٌ في مسمى الإسلام ، وليس الإسلام هو الإيمان ، قول لم يُقَلَّ به أحدٌ ؛ فيكون الإجماع واقفاً على نُظائره .

فإن قلتَ : إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل كما نقوله المَعرَلة ، لأنَّ المَعرَلة نقول : الإسلامُ اسمٌ واقعٌ على العمل وغيره من الاعتقاد ، والنطق باللسان ، وأمير المؤمنين عليه السلام حَمَلَ الإسلامَ هو العمل فقط ، فكيف ادَّعيتَ أنَّ قولَ أمير المؤمنين عليه السلام يُطابق مذهبهم ؟

قلتَ : لا يجوز أن يريد غيره ، لأنَّ لفظاً يَتمَلُّ يشمل الاعتقاد ، والنطق باللسان ، وحركات الأركان بإسادات ، إذ كلُّ ذلك عملٌ وفِعْلٌ ، وإنَّ كلَّ معناه من أفعال القلوب ، ونفعه من أفعال الحوارج ، ولو لم يُردَّ أمير المؤمنين عليه السلام ما شرَّحناه لكان قد قال : الإسلام هو العمل بالأركان حاشية ، ولم يستَبرِ فيه الاعتقاد العلوي ، ولا النطق اللدغلي ، وذلك مما لا يقوله أحدٌ .

## (١٢١)

### الأصل :

عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَحِلُّ الْعَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَقُوهُ الْفَنَى الَّذِي إِنَاءُ  
 طَلَبَ ، فَيَمِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ ،  
 وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأُمَمِ طُفَّةً ، وَيَكُونُ عِدَا حِيَمَةً ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ  
 شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى حُلْنَ اللَّهِ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَبَى الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مَنْ يَمُوتُ ،  
 وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَسْكَرَ النَّشَاءَ الْآخَرَى وَهُوَ يَرَى النَّشَاءَ الْأَوَّلَى ، وَعَجِبْتُ لِمَا مَرَّ  
 دَارَ الْفَنَاءِ ، وَتَارَكَ دَارَ الْفَنَاءِ .

\*\*\*

### الشرح :

قال أعرابي : الرُّقُّ الواسعُ لمن لا يَسْتَمْتِجُ به بمِرْلة الطعامِ الموضوعِ على قَبْرِ .  
 ورأى حكيمٌ رجلاً مُتَرَمِّماً يأكلُ حُرّاً ومِثْحاً ، فقال : لِمَ تَعْمَلُ هَذَا ؟ قال : أَحِبُّ الْمَوْتَ ،  
 قال : فقد تَجَلَّاهُ . فَأَمَّا القولُ في الْكِبَرِ وَتَبْيِهِ فقد تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ ؟ وقال  
 ابنُ الأعرابي : مَا نَاءَ عَلَى أَحَدٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ، أَحَدَ هَذَا الْمَعْنَى شَاعِرٌ  
 فقال وَأَحْسَنَ :

هذه منك فإن عُدَّ تَ إِلَى السَّبَبِ فَنُتِي

وقد تقدّم من كلامنا في بطائر هذه الأمثلة المذكورة ما يفي عن الإطالة ها هنا .

(١٢٢)

الأفضل :

مَنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ ، ابْتُئِيَ بِهِمْ .

\*\*\*

الشرح :

هذا محصورٌ بأصحاب اليقين ، والاعتقاد الصحيح ، فإنهم الذين إذا قَصَرُوا في العمل ابتُئُوا بالله ، فأما عرُوم من السُريين على أنفسهم ودوى انقُص في اليقين والاعتقاد ، فإنه لا همَّ يَتَزَوَّمُون قَصَرُوا في العمل ، وهذه الكلمة قد خَرَّجَهَا من أَسْمَاءِ مَوْحَدًا بِمِصْدَاقِهَا وَأَمَّا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ مَا إِذَا أَحَلَّ مَرِيضَةُ الطَّهْرِ مَثَلًا حَتَّى يَغِيْبَ الشَّمْسُ وَإِنْ كَانَ أَحَلَّ بِهَا لَمُدَّ وَحَدَّ ثَقُلًا فِي نَفْسِهِ وَكَسَلًا وَقِلَّةَ نَشَاطٍ ، وَكَأَنَّهُ مُشْكُولٌ بِشَكَاةٍ أَوْ مُقَيَّدٌ بِقَيْدٍ ، حَتَّى يَقَعِيَ تِلْكَ الْفَرِيضَةَ ، فَكَأَنَّمَا أُسْطِطَ مِنْ عَقَالٍ .

(١٢٢)

الأصل :

لَا حَاجَةَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ فِي مَالِهِ وَتَعْيِيرِهِ نَصَبٌ .

\*\*\*

الشرح :

قد جاء في الخبر الرفوع : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَدَاً أَتَلَّاهُ فِي مَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ » .  
وحاء في الحديث الرفوع . « لَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَحْضُرَ مَنْ حَسَدَ لَا يَخْرُصُ ، وَمَنْ  
مَالٍ لَا يُصَابُ » .

وروى عبد الله بن أنس عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَصِيحُ فَلَا  
يَسْمَعُ ؟ » ، قالوا : كُلُّنَا يَلْسُنُ اللَّهِ ، قال : « أَمْحَبُّونَ أَنْ تَكُونُوا كَالْحَمْرِ الْعَائِنَةِ ؟ أَلَا تُحِبُّونَ  
أَنْ تَكُونُوا أَصْحَابَ بِلَالٍ وَأَصْحَابَ كَعْبَاتٍ ' وَتَلْدَى تَمَتَّى بِالْحَقِّ ' بِنَ الرَّحْلِ لَتَكُونَ لَهُ  
الدَّرَجَةُ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَسْلَمُ شَيْءٌ مِنْ حِمْيِهِ فَيَسْتَلِيهِ اللَّهُ لِيُثْلِقَنَّهُ اللَّهُ دَرَجَةً  
لَا يَسْلَمُ بِمَعْلِهِ » .

وفي الحديث أيضا : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْرُصُ مَرَامًا إِلَّا حَتَّ اللَّهُ بِهِ حَطَائِدَهُ كَمَا تَحْتِ  
الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » .

وروى أبو عثمان النهدي قال : دخل رجل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وآله  
فوجَّهني عظيم ، فقال له : مَتَى عَهْدُكَ بِأَعْمَى ؟ قال : مَا أَهْرَفُهَا ، قال : بِالْعُدَاعِ ،

قال : ما أدري ما هو ؟ قال : فأُصِيتَ عَيْتُكَ ؟ قال : لا ، قال : فرُزِمْتَ بَوَلَدِكَ ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام : « إِنْ لَمْ يَكُنْ لَيْكُمُ الْبَرْقُ انْفُغِرَتْ اسْتَرْبِ الذِّى لَا يُرَدُّ أَوْ وَلَدِهِ وَلَا يُصَابُ فِي مَالِهِ » .

وحاء في بعض الآثار : « أَشَدُّ نَاسٍ حَسَابَ الصَّحِيحِ الْفَارِغِ » .  
وفي حديث حذيفة رضى الله عنه : « إِنْ أَقْرَأَ يَوْمَ الْبَيْتِ لَيْوَمٌ لَا أَجِدُ فِيهِ طَعَامًا ، صَحَّتْ رِسْوَةُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَوْلِ : « بِنَ اللَّهِ لَيْتَمَاهَدَ عَدُوَّهُ الْمُؤْمِنَ بِإِسْلَامِهِ كَمَا يَتَمَاهَدُ الْوَلَدُ وَلَدَهُ بِالطَّعَامِ » ، وَإِنْ اللَّهُ يَحْمِي بَعْدَهُ الْمُؤْمِنَ كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ الْبَرِيصَ مِنَ الطَّعَامِ » .

وفي الحديث المروى أيضا : « بِمَا أَحَبَّ اللَّهُ هَدَا أَتْلَاهُ ، فَبِذَا أَحَبَّهُ الْحَبُّ الدَّامِ أَتَمَّاهُ » قالوا وما أَتَمَّاهُ ؟ قل : « أَلَا يَتَرَكُ لَكَ مَالًا وَلَا وَلَدًا » .

مر موسى عليه السلام رجل كان يعرفه مطيعا ثم قد مرَّ به السَّاعُ لَحَمَهُ وَأَصْلَحَهُ ، وَكَبِدُهُ مَلَأَتْ ، فَوَقَفَ مُتَمَجِّبًا فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ، عَيْدُكَ الْمَطِيعُ لَكَ أَتَلَيْتَهُ عَا أَرَى ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّهُ سَأَلَنِي دَرَجَةً لَمْ يَسْأَلْنِي لَهْمَتَهُ ، فَصَحَّتْ لَهُ عَا تَرَى سَبِيلًا إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ .

وحاء في الحديث : « بِنَ رَكْبَتَا لَمْ يَرْكَبْ يَرْوَى وَلَدَهُ يَحْمِي مَمْنُومًا « كَمَا مَشْعُولًا نَفْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ طَلَبْتُ مِنْكَ وَلَدًا أَتَمَّعَ بِهِ مَرَرَتَيْنِ لَا تَنْفَعُ لِي فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِيَّاكَ طَلَبْتَهُ وَإِيَّا ، وَالْوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا هَكَذَا ، مَسْتَعْمَا فَعِيرًا مَمْنُومًا .

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : كَانُوا لَا يَمْدُونُ الْفَقِيرَ فَضِيًّا مِنْ لَا يَمْدُ الْبَلَاءُ نِعْمَةً وَالرَّخَاءُ مُصِيبَةً .

حابرُ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ يَرْقُهُ : « يَوْمَ أَهْلِ الْمَسَاغَةِ يَوْمَ الْيَامَةِ أَنْ لَحْمَهُمْ كَانَتْ تَقْرَضُ بِالْمَقَارِيعِ لَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ » .

(١٢٤)

الأصل :

تَوَقَّعُوا انْبِرَادَ فِي أَوَّلِهِ ، وَتَنَفُّوهُ فِي آخِرِهِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْقُلُ فِي الْأَبْدَانِ كَقَفْعِهِ  
فِي الْأَشْجَارِ ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ ، وَآخِرُهُ يُورِقُ .

\*\*\*

الشرح :

هذه مسألة طبيعية قد ذكرها الحكماء ، قالوا . لما كان تأثير الحرب  
في الأبدان ، وتوليد الأمراض كثر كأم وشمال ومبرم أكثر من تأثير الربيع ،  
مع أنهما جميعاً فصلان اعتدال ، وأحاديث أن برد الحرب يفتح الإنسان وهو معتاد  
لحر الصيف ممكناً فيه ، ويسد مسامحه ، لأن البرد يكثف ويسد المسام  
فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلى جيب بارد .

فأما التنبؤ من الشتاء إلى فصل الربيع فإنه لا يكاد يرد الربيع يؤديه ذلك الأذى  
لأنه قد اعتاد حسه برد الشتاء ، فلا يصدف من برد الربيع إلا ما قد اعتاد ما هو  
أكثر منه ، فلا يظهر لبرد الربيع تأثير في مراحه ، فأما لم أودت الأشجار وأزهرت  
في الربيع دون الحرب ؟ فلما في الربيع من الكيميتين اللتين هما منتع النمو والتس النامية ،  
وهما الحرارة والرطوبة وأما الحرب فغير من هاتين الكيميتين ومستبدل بهما ضدهما ،



وهما البرودة واليبس السَّافِيَانِ للنَّشْوَةِ وَحَيَاةِ الْحَيَوَانِ وَالنَّاتِ . فَأَمَّا لِمَ كَانَ الْحَرِيفُ  
بَادِئًا بِإِسَاءَةِ الرَّبِّيعِ حَارًّا رَطْبًا مَعَ أَنَّ سَسَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْقَمَلَيْنِ الْخَارِجَيْنِ  
عَنِ الْإِعْتِدَالِ وَهِيَ الشِّتَاءُ وَاصْفِيفُ سَسَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ هُنَّ تَعْلِيلٌ ذَلِكَ مَذْكُورٌ  
فِي الْأَصُولِ الطَّبِيعِيَّةِ ؛ وَالْكَتُبُ الطَّبِيعِيَّةُ ، وَبِئْسَ هَذَا الْمَوْعِ مِمَّا يَحْسُنُ أَنْ يُشْرَحَ فِيهِ  
مِثْلُ ذَلِكَ .



(١٢٥)

الأصل :

عُطِمَ الخالقُ عندَكَ يُصَرِّفُ المخلوقَ في حيث .

• • •

التبريح :

لا يسهل للمخلوق إلى الخالق أصلا وحصولا البتة ، لأنهم بالنسبة إلى فلان القمر كالذرة ، ونسبة فلان القمر كالذرة بالنسبة إلى قرص الشمس ، بل هم<sup>(١)</sup> دون هذه النسبة مما<sup>(٢)</sup> يمجز الحاسب الخادق عن حساب ذلك ، وفلان القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ، ونسبة الفلك المحيط إلى الناري سبعة كسرة القدم المخص والتي الصرف إلى اللوحود البائن ، بل هذا القياس أيضا غير صحيح ، لأن المعلوم يمكن أن يصير موحودا بآما ، والفلك لا يتصور أن يكون صانع العالم اواح الوحد لإدارته .

وعلى الجملة فالأمر أعظم من كل عظيم ، وأجل من كل حائل ، ولا طاقة للمقول والأذهان أن تدبر عن حلاله ذلك الحجاب وعصيته ، بل لو قيل : إنها لا طاقة لها أن تدبر عن حلاله مستوعبه الأولى المتقدمة عليها بارتبة العقلية والإمانية لكان ذلك القول حقا وصيحا ، فمن هو المخلوق ليقال : إن عظم الخالق يصرفه في العين ؟ ولكن كلامه عليه السلام محمول على مخاطبة العامة الذين نصيب أفهامهم عن ذكره .

(١) ساقط من أ ، ب . (٢) ب : « عا » .

(١٢٦)

الأصل :

وقال عليه السلام ، وَمَدَّ رَحْعَ مِنْ صَبِيٍّ فَاشْرَفَ عَلَى الْقُبُورِ يَطَاهِرُ انْكَوْفَهُ :  
يَا أَهْلَ الدِّيَارِ أَمْوَجَتِي ، وَالْمَحَلَّ نُفُورِي ، وَالْقُبُورِ الْمَطْلَعِي . يَا أَهْلَ الثَّرْبِي ،  
يَا أَهْلَ الْعُرْنِي ، يَا أَهْلَ الْوَحْدِي . يَا أَهْلَ الْوَحْشِي ، أَنْتُمْ لَنَا مَرْطَ سَابِقُ ، وَنَحْنُ  
لَكُمْ نَسَبُ لَاحِقُ ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سَكِنَتْ ، وَأَمَّا الْأَرْوَاحُ فَقَدْ سُكِنَتْ ،  
وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ ، هَذَا حَبْرُ مَا عِندَنَا ، فَمَا حَبْرُ مَا عِندَكُمْ ؟

ثُمَّ انْتَهَى إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ :

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَيْتُمْ فِي الْكَلَامِ ، لَأَخَذْتُمْكُمْ أَنْ حَبْرَ الزَّادِ انْقَمَى .

\*\*\*

الْبَيْتُ :

الفرط : المتقدمون ؟ وقد ذكرنا من كلام عمر ما يناسب هذا الكلام ، لما طعن  
في القُور وعاد إلى أصحابه أحرَّ الوجه ، ظاهرَ المروق ، قال : مد وقتُ على قبورِ الأختة  
فأدبْتُها الحديثَ . . . إلى آخره ، فتبلَّه : فهل أحببتك ؟ قال : نعم ، قالت : إنَّ حَبْرَ  
الزَّادِ انْقَمَى .

وقد جاء في حديث القُور ومحاظتها وحديث الأموات وما يتعلق بذلك شيء كثير  
يتجاوز الإحصاء .

وَوَيْسَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : رُفِئَ الْقُصُورَ تَذَكُّرُهَا الْآخِرَةَ  
وَلَا تَرُدُّهَا لَيْلًا ، وَغَسَّلَ الْمَوْتَى بِتَحْرُكِ قَلْبِكَ ، فَبَيْنَ الْجَسَدِ الْخَاوِيِ <sup>(١)</sup> عِطْلَةً بَلِيغَةً ، وَصَلَّ  
عَلَى الْمَوْتَى فَإِنْ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ ، فَإِنَّ الْخَزِينَ فِي طَرَفِ اللَّهِ .  
وَجِدْ عَلَى قَبْرِ مَكْتُوبًا :

مَقِيمٌ إِلَى أَنْ يَمِثَّ اللَّهُ حَلْفَهُ      لِقَاؤُكَ لَا يُوحَى وَأَنْتَ رَقِيبٌ  
تَزِيدُ بَلَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      وَتُنْسَى كَمَا نَسَى وَأَنْتَ حَبِيبٌ

وقال الحسن عليه السلام : مات صديق لى صليح ، مدقناه ومددنا على المرثومة فضاء  
صِلَةً بِنِ أَشْيَمَ ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ وَبَادَى : يَا فُلَانُ :  
إِنْ نَسَحَ مَهَا نَسَحَ مِنْ دِي قَطِيعَةٍ      وَإِلَّا فَإِنَّ لَا إِحَالَكَ مَاحِبًا  
وَوِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعُ ، أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا نَسِيَ الْحَدْرَةَ أَكْثَرَ الصَّهَاتِ <sup>(٢)</sup> ، وَرَأَى  
عَلَيْهِ كَأَنَّهُ ظَاهِرَةٌ ، وَأَكْثَرَ حَدِيثِ النَّفْسِ <sup>(٣)</sup>  
تَمِيعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ دَحْلًا يَقُولُ فِي حِمَارَةٍ : مَنْ هَذَا ؟ فَجَالَ : أَنْتُ ، فَإِنْ  
كَرِهْتَ فَأَنَا .

تَمِيعَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَاءَ تَسْكِي حَنْفِ حَدْرَةٍ ، وَقُولُ : يَا أَتَاهُ ، مِثْلَ يَوْمِكَ لَمْ  
أَرَهُ أَفْعَالُ : بَلْ أَبُوكَ مِثْلَ يَوْمِهِ لَمْ يَرَهُ .  
وَكَانَ مَكْحُولًا إِذَا رَأَى حِمَارَةً قَالَ : ائِدُ فَرَسًا رَاحِمُونَ .  
وَقَالَ ابْنُ شَوَّازٍ : اطَّلَمْتُ امْرَأَةً سَالِحَةً فِي لَحْدٍ فَكَانَتْ لِأَمْرَأَةٍ مَعَهَا : هَذَا كُنْدُوجُ  
الْعَمَلِ - يَمِينِي خِزَانَتُهُ ، وَكَانَتْ تُعْطِيهِ الشَّيْءَ مَدَاشِيءَ تَأْمُرُهَا أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ ، فَتَقُولُ :  
ادْعِي فَصْنِي هَذَا فِي كُنْدُوجِ الْعَمَلِ .

شاعر :

أَجَارِعُهُ رُدَيْنُهُ أَنْ أَنَا  
إِذَا مَا أَهْلُ قَبْرِي وَدَعَوِي  
وَعُودُ دَعْطَمِي فِي لَحْدِ قَبْرِ  
نَهْتُ الرِّيحُ فَوْقَ سَحَابِ قَبْرِي  
نَيْسِي أَمْ يَكُونُ لَهَا أَصْطَبَارُ !  
وَرَاخُوا وَالْأَكْمَ بِهَا عُجَارُ  
تَوَارُخُهُ الْخَنَائِفُ وَالْقِطَارُ  
وَبَرَعِي حَوْلَهُ الْمَلِيقُ التَّوَارُ<sup>(١)</sup>  
بَقَرُ لَا أَزُورُ وَلَا أَزَارُ  
مَقِيمُ لَا يُكَلِّمُنِي صَدِيقُ  
فَدَاكَ النَّأْيُ لَا الْمِحْرَلُ حَوْلًا

وقال آخر :

كَأَنِّي بِأَحْوَالِي عَلَى حَامَتِي قَبْرِي  
فِي أَيَّهَا الدُّرَى عَلَى طَهْرَتِي  
عَمَّا اللَّهُ عَنِّي يَوْمَ كَرَّكَ كَأَوَّلِي  
أَرَلُو فَلَا أَذْرِي وَأَخْفِي فَلَا أَذْرِي  
يَهْلُونَهُ فَوْقَ وَأَدُسُّهُمْ قَبْرِي  
سُتْرِضِي يَوْمِي عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي

وحاء في الحديث المروع . « مَا رَأَيْتُ مَسْطَرًّا إِلَّا وَافِرٌ أَمْلَعُ مِنْهُ » .

وفي الحديث أيضا : « الْفَرُّ أَوَّلُ مَعْرِزٍ مِنْ مَنَارِلِ الْآخِرَةِ ، هُنَّ نَجْمَاتُهَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ ،  
وَمِنْ لَمْ يَسْجُ مِنْهَا بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ » .

(١) الملقب بالمشرك : الثور الأبيض ، والتوار : المشرك .

(١٢٧)

الأمن:

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا :

أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا، ائْتَمَّرَ بِرُؤُوسِهَا ، ائْتَمَّعَ بِرَأْسِهَا ، ائْتَمَّقَ بِرِجْلِهَا ثُمَّ تَدُمُّهَا !  
أَمَّا ائْتَمَّحَرَّمُ عَلَيْهَا أَمْ حَى ائْتَمَّجَرَّمَةُ غَيْثَ ا مَتَى اسْتَهْوَتْكَ ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ !  
أَعَصَّارُ عَرَابَاتِكَ مِنَ اللَّيْلِ ، أَمْ عَصَّاجُ عَرَابَاتِكَ نَحْتِ الْوَرَى ا كَمْ هَلَّتْ بِكَفِّكَ ،  
وَكَمْ مَرَّضَتْ بِبَيْدِكَ ، تَدْنِي لَهُمُ السَّاءُ ، وَتَسْتَوِصُ لَهُمُ الْأَطْيَاءُ ؛ عَدَاةَ لَا يُفْنِي  
عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ ، وَلَا يُعْدِي عَنْهُمْ نَكَاؤُكَ !

لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ ائْتَمَّعُكَ ، وَلَمْ تَسْمَعْ فِعْرَ بِطَنِكَ ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ يَوْمُوكَ ،  
وَقَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِالدُّنْيَا مَسَاكُ ، وَعَصْرَعِمُ مَعْرَعَكَ .

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ حَيْدِي لِمَنْ صَدَقَ ، وَدَارُ عَرَفِي لِمَنْ قَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غَنَى لِمَنْ  
تَرَوَّذَ مِنْهَا ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ ائْتَمَّ بِهَا . مَسِيحُ أَحْيَاءِ اللَّهِ ، وَمُعَلِّي مَلَائِكَةِ اللَّهِ ،  
وَمُهَيِّطُ وَخَرِ اللَّهِ ، وَمَتَعِرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، ائْتَمَّ بِهَا رَحْمَةً ، وَرَبَّحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ،  
فَمَنْ دَايَمُهَا ، وَقَدْ آدَتْ بِهَا ، وَدَاوَتْ بِرِجْلِهَا ، وَتَتَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، فَتَنَّتْ  
لَهُمْ بِمَلَائِكَةِ النَّوَا ، وَشَوَقَتْهُمْ بِرُؤُوسِهَا إِلَى الشَّرُورِ !

رَاحَتْ بِهَا نَفَاقِيَّةٌ ، وَابْتَكَّرَتْ بِهَا جَنِيَّةٌ ، تَرَهَّبَ وَتَرَهَّبَ ، وَخَوِبَ وَتَخَذِرَ ،

قَدَمَهَا رِجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ، وَحَدَّهَا أَحْرُوسُ يَوْمِ الْفِيَاءِ، دَكَّرَهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَّرُوا،  
وَحَدَّ قَتْمَهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَّطَهُمْ فَأَتَمَّطُوا.

\*\*\*

## الْبَيْخ :

تَحَرَّمْتُ عَلَى فُلَانٍ : اذْعَيْتُ عَلَيْهِ حُرْمًا وَدَسًا ؛ وَأَسْتَهْوَاهُ كَدًا : اسْتَرْكَلَهُ .

وقوله عليه السلام : « فَتَنْتُ لَهُمُ بَيْلَانًا اسْلَاءً » ، أى بلاء الآخرة وعذاب جهنم ،  
وشوَّ قَتْمَهُمْ سرودها إلى السرور ، أى إلى سُرُورِ الآخرة وسعير الحمة .

وهذا الفصل كله مدح الدنيا ، وهو يسمى عى اقتداره عليه السلام على ما يريد من المآل ،  
لأنَّ كلامه كله فى دم الدنيا ، وهو الآن يمدحها ، وهو صادق فى ذلك وفى هذا ؛ وقد جاء  
عن ائمة صلَّى الله عليهم واله كلام تصمّن مدح الدنيا أو قراسا من المدح ، وهو قوله عليه  
السلام : « الدُّنْيَا حُلُوةٌ حَصِيْرَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا تَوَرَّكَ لَهُ مَهَا » .

واحتدَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَرِ <sup>(١)</sup> حَدَّوْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى مدح الدنيا فقال فى  
كلامه : الدُّنْيَا دَارُ النَّادِبِ <sup>(٢)</sup> والتعريف ، التى تَكْرُوها توصل إلى محبوب الآخرة ، ومظهر  
الأعمال ، اساقفة ماصحابها إلى الجنان ، ودرجة المَوَرِّ التى يَرْقَى عليها المتقون إلى دار الخلد ،  
وهى الواعظ لمن عَمَلٌ ، والباصحة لمن قَبِلَ ، وبساط السهل ، وميدان العمل ، وجامعة الختارين ،  
ومكتبة الرعم مغاطس المتكبرين ، وكسبة اثرب ابدان الختارين ، وصارعة المعترين ،  
ومعرفة أموال الباحلين ، وقائمة اعنائين ، واساقفة بالموت على جميع المائمين ، وناصره المؤمنين ،  
ومبيرة الكافرين . الحسنات فيها مصدقة ، والسيئات بآلامها محوكة ، ومسح فُسرُها  
يُزِيلُ ، والله تعالى قد ضَمَّنَ أَرْزَاقَ أَهْلِهَا ، وَأَقْسَمَ فى كتابه بمساقفها ، وَرَبِّ طَيْبَةِ

(١) د : د : المعية . (٢) د : « النَّادِب » .

من نعيمها قد حمده الله عليها فتلقاها أيدي الكتبة ووجبت بها الجنة ؛ وكم نائبة من نوابها ، وحادثت من حوادثها ، قد رامت القهقم ، وبهت الفعطنة ، وأذكّت الفريجة ، وأفادت فضيلة الصبر ، وكثرت دحار الآخر .

ومن الكلام المنسوب إلى علي عليه السلام : الناس أهباء الدنيا ، ولا يُلامُّ الله على حبِّ أمته ، أحده محمد بن وهب الخُميري قال :

وعن بنو الدنيا حُلُقًا لغيرها وما كنت منه فهو شيءٌ عجبٌ



(١٢٨)

الأضل :

إِنَّ لِلَّهِ مَكَا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ : لِدُوا لِلْمَوْتِ ، وَاحْمَمُوا لِلْعَمَاءِ ، وَابْشُرُوا  
لِلْخَرَابِ .

• • •

الفرخ :

هذه الالام عند أهل العربية تسمى لَامَ العافية ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ فَانقَطِعُوا  
أَلْ يَمْرُوتُونَ يَكُنُ لَكُمْ عَذَابٌ وَجَرٌّ ﴾<sup>(١)</sup> ، ليس أنهم انقطعوا لهذه اسلة ،  
بل انقطعوا فكان عاقبة التقاطعهم لآلام السداوة والحرن ، ومثله :

• فَلَمَوْتٍ مَا تَأْتِيُ الْوَالِدَةَ •

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَتَقْدَرُ أَرْبَابُهُمْ بِهَمِّكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ؛ ليس أنه ذراهم ليعذبهم في جهنم ،  
بل ذراهم وكان طاقته ذراهم أن صاروا فيها ، وهذا الحرف يحصل الجواب عن كثير  
من الآيات المتشابهة التي تتعلق بها الجيرة .

وأما فتوى هذا القول وحلاصته فهو التنبيه على أن الدنيا دارُ مآء وقطب ،  
لا دارُ نفاة وسلامة ، وأن الولد يموت ، والدور تحرب ، وما يجمع من الأموال يفسى .

(١٢٩)

الأصل :

الدُّنْيَا دَارُ مَحْمَرٍ ، لَا دَارَ<sup>(١)</sup> مَقَرٍّ ، وَنَاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَعَثَ نَفْسَهُ  
فَأَوْبَقَهَا ، وَرَجُلٌ ابْتِغَا نَفْسَهُ فَأَخْتَفَهَا .

\*\*\*

البُشْحُ :

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا لِحَسَّامٍ : أَخْبِرُونِي مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ  
بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا ، قَالَ : أَلَا أُشْكِمُ بِأَحَقِّ مِنْهُ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : رَجُلٌ بَاعَ آخِرَتَهُ  
بِدُنْيَا غَيْرِهِ .

قُلْتُ : لَتَاظِلُّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ : ذَلِكَ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا أَيْضًا ، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ لَدُنْهُ  
فِي بَيْعِ آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ لَمَا بَاعَهَا ، وَإِذَا كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ لَدُنْهُ ، فَلِإِذَا بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا ،  
لَأَنَّ دُنْيَا هِيَ لَدُنْهُ .

(١) ق د « دِل دَار » وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِمُّ أَيْضًا .



(١٣١)

الأصل :

مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمَ الْإِحَابَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمَ التَّقْوَى ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِمَارَ لَمْ يُحْرَمَ الْعُمُرَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمَ الرِّبَادَةَ .

\*\*\*

قال الرضى رحمه الله تعالى : وتصدق ذلك في كتاب الله تعالى ؛ قال في الدعاء : **﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾** <sup>(١)</sup> .

وقال في الاستمرار : **﴿ زَمَنَ بَمَنْ سُوِّءَ أَوْ يَطْلُمُ نَفْسُهُ ثُمَّ يَسْتَعِزُّ بِاللَّهِ يَجِدِ اللَّهَ عَزُورًا رَحِيمًا ﴾** <sup>(٢)</sup> .

وقال في الشكر : **﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾** <sup>(٣)</sup> .

وقال في التوبة : **﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى الَّذِينَ يَمُرُّونَ بِمَعَاوِنِ الشُّوْءِ يَجْعَلُهُمْ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾** <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

الشرح :

في بعض الروايات أن ما نسب إلى رضى رحمه الله من استسقاط هذه المعاني من الكتاب العزيز من متن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وقد سبق القول في كل واحدة من هذه الأربع مُستقصى .

(١) سورة طه ٦٠ . (٢) سورة النساء ١١٠ .  
(٣) سورة إبراهيم ٧ . (٤) سورة النساء ١٧ .

(١٣٢)

الأصل :

الصَّلَاةُ قُرْآنُ كُلِّ نَجَّارٍ ، وَأَنْصَحُ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَإِكْلَ شَيْءِ رَكَاةٍ ،  
وَرَكَاةُ النَّذْرِ الصَّوْمُ ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ تَعْمَلِ .

\*\*\*

البَّيْنُخ :

قد تقدم القول في الصلاة والجمع والقيام ، فإنا أن جهاد المرأة حسن العمل ،  
فما حسن مباشرة بذلها وحفظ ماله وعمره ؛ وإطاعته بها أمره ، ورك العزم  
ولها باب الطلاق .

\*\*\*

[ نبذ من الوصايا الحكيمة ]

وأوصت امرأة من نساء العرب بنتها إهدايا<sup>(١)</sup> فذات لها : لو ركت  
الوصية لأحد أحسن أدب وكرم حس ، تركتها لك ، ولكنها تذكرك للعافل ،  
ومشورة للعافل . إنك قد خلعت العش الذي فيه درخت ، والوكر الذي منه خرخت ،  
إلى منزل لم تعرفه ، وقرير لم تأليه ، فكوني له أمة ، يكن لك قبدا ، واحفظي عني  
خيصالا عسرا :

(١) لبة إهدايا ، أي لبة زوجها ؛ يقال هدى الشروس بن بعلها وأهداها هدايا وإهداء .



فإن كان من غير أن تنفك بك فهو اللهاء الذي ليس له دواء ؛ وإن لم يكن بينكما وفاق ففراق ،  
الخلع أحسن من الطلاق ، وإن ترك أهلك وسلك .  
فرد عليه صداقها ، وخلعها منه ، فهو أول خلع كان في العرب <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وأوصى البراءة السكلى ابنته دابة حين أهداه إلى عمار ، فقال : يا بُنيّة ، إنك  
تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدرُ على أطيب منك ، ولا تُدسّين على حصّتين :  
الكنخل والماء . تعلمين حتى يكون ريح حذرك ريح شمسٍ أساه مطر ، وبيتك والثيرة على  
بَيْتِكَ ، فزنها مفتاح الطلاق .

\*\*\*

وردى أبو عمرو بنُ العلاء قال : أنكحَ كهرُكُزْ بنُ عمرو الضيّ ابنته من ممد  
ابن زُرارة ، فلما أحرهما إليه قال : يا بُنيّة ، أسكن عليك الفصلين : فصل العُلّة ،  
وفصل الكلام .

قال أبو عمرو : وخيرار هذا هو الذى رفع قَبيرته لمكاط ، وقال : ألا إنَّ شرَّ حامل <sup>(٢)</sup>  
أُمّ ، فزوّجوا الأمّهات ؛ قال : وذلك أنه صُرِع بين الرمح ، فأشبل عييه إخوته لأُمّه  
حتى استمدّوه .

\*\*\*

وأوصت أعرابيةُ ابنها عبد إهدائها ، فصارت لها : أنسى رُج رُعيه ، فإن أقرّ فقلنى  
سيانه ، فإن أقرّ فأكسرى العظام بسيمه ، فإن أقرّ فاعطى اللحم على رأسه ، فإن أقرّ  
فصلى الإكاف على ظهره ، فإنما هو حمار .  
وهذا هو قُبْح التمثّل ، ودكره بحن في باب حسن التمثّل ، لأنَّ الصّد يُذكر بصدّه .

(١) يقال : خلع الرجل امرأته وحالها إذا انحلت منه ببال مطبقها وأنها من هذه

(٢) الحائل : التي لا تحبل .

(١٣٣)

الأصل :

استترلوا الرُّزْقَ بِالصَّدَقَةِ .

• • •

الشرح :

« في الحديث المرفوع - وقيل : إنه موقوف على عثمان : « تحروا الله بالصَّدَقَةِ تَرَبَّحُوا » .

وكان يقال : الصَّدَقَةُ صدقُ الْحَقِّ »

وفي الحديث المرفوع : « ما أحسن عبدُ الصَّدَقَةِ ، إلا أحسنَ الله الخلافةَ على مُخَلِّفِهِ » .

وعنه صلى الله عليه وآله : « ما من مسلمٍ يَكُفِّرَ مِلًّا ثَوْبًا إلا كان في حفظِ الله ما دام منه رُقْمَةٌ » .

وقال عمر بن عبد العزيز : الصَّلَاةُ تَنْشِئُ نَصَبَ الطَّرِيقِ ، وَالصَّوْمُ يَلْمِزُ بَابَ الْمَلِكِ ، وَالصَّدَقَةُ تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .



(١٣٤)

الأفضل :

وَمَنْ أَقْبَنَ بِالْحَلْفِ حَدَّ الْمَطْيَةِ .

\*\*\*

الْبُخ :

هذا حق ، لأن من لم يؤمن بالحلف ويحرف الفتر يعين بالمطية ، ويعلم أنه إذا أعطى ثم أعطى استبعد ماله ، واحتاج إلى نفس لا تقطع ماله ؛ وأما من يؤمن بالحلف ، فإنه يعلم أن الخود شرف لصاحبه ، وأن الخواد ممدوح عند الناس ، فقد وَّحد الداعي إلى الصَّاح - ولا صارف له عنه - لأنه يعلم أن ماؤنه دائمة غير منقطعة ، فالصارف الذي يحافه من قدما ذكره معنود في حقه ، فلا حرم أنه يحو بالمطية !

(١٣٥)

الأُنسُ :

تَعْرِلُ التَّمَوْنَةَ عَلَى قَدَرِ التَّمَوْنَةِ .

\*\*\*

الشُّنْخُ :

جاء في الحديث الرفوع : « مَنْ وَسَّعَ وَسَّعَ عَلَيْهِ ، وَكَلَّمَا كَثُرَ الْعِيَالُ كَثُرَ الرِّزْقُ » .  
وكان على بعض الوُسيرين رسومٌ بِلُجَاعَةِ مَنْ الْعُقَرَاءُ يَدْفُسُهَا إِلَيْهِمْ كُلَّ سَنَةٍ ،  
فاسْتَكْتَرَهَا ، فَأَمَرَ كَاتِبَهُ بِمَقْطَعِهَا ، فَرَأَى فِي الدِّمِ كَأَنَّهُ لَهُ أَهْوَاءُ كَثِيرَةٌ فِي دَارِهِ ،  
وَكَأَنَّهَا تَصْنَعُهَا أَعْوَالُهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ يَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ  
رِزْقِي رِزْقِي أَغْتِيلُ لَهُ : إِنَّمَا رِزْقُكَ هَذِهِ تَتَصَرَّفُهَا فِيمَا كُنْتَ تَتَصَرَّفُهَا فِيهِ ، فَإِذَا قَطَعْتَ ذَلِكَ  
وَعَمَلَهَا مِنْكَ ، وَحَمَلَهَا لِفَبْرِكَ . فَلَمَّا أَمْسَحَ أَمَرَ كَاتِبَهُ بِإِعَادَةِ تِلْكَ الرُّسُومِ أَجْمَعِ .

(١٣٦)

الْأَيْضَلُ :

مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ .

\*\*\*

الْيَسْرُ :

ما حال ، أى ما احتقر ، وقد تقدم لنا قولُ مُنْعَمٍ في مدح الاقتصاد .

وما لبس أبو التلاء :

وإن كنتَ سَهْوَى الْعَيْشِ فَأَبْخِرْ تَوْحُطًا هَمْدُ التَّامِي بِعَمْرِ الْمُتَطَوِّلِ<sup>(١)</sup>

تَوَقَّى الدُّورَ النِّصَّ وَهِيَ أَهْنَةٌ وَبُدِّرَ كَهَا النِّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

وهذا الشعرُ وإن كلَّ في الاقتصاد في المراتب والولايات ، إلا أنه مدحٌ للاقتصاد

في الجملة ، فهو من هذا الباب .

وسمع بعضُ الفضلاء قولَ الحكماء : التَّيْدِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ ، فقال : بل العيشُ كُلُّهُ .

(١٣٧)

الأصل :

قَبْلَهُ الْيَمَالُ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ .

• • •

الْبَرْخ :

اليسار الثاني كثرة المال ؛ يقول :  بَنَى الْيَمَالُ مَعَ الْفَقْرِ كَالْيَسَارِ الْحَقِيقِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ .

ومن أمثال الحكماء : الْيَمَالُ أَوْحَى النَّاسِ .

(١٣٨)

الأفضل :

التودُّدُ فِضْعُ أَنْعَقِلٍ .

• • •

الْمِنْخُ :

دخل حبيب بن شَوْدَبَ على حمزة بن سديانَ بالبصرة ، فقال : يَمُّ المَرْءِ حَبِيبُ  
ابنِ شَوْدَبَ ! حَسَنَ التَّوَدُّدِ ، طَيِّبَ الثَّنَاءِ ، بَكَرَةً الزَّيَارَةِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَالْقِدَمَةَ الْمُسَيَّيَّةَ .  
وكان يقال : التودُّد طاهرٌ حَسَنٌ ، ولِمُعَامَلَةِ بَيْنِ النَّاسِ عَلَى الطَّاهِرِ ، فَأَمَّا الْبُؤَاطَى  
فَقِيلَ عَالِمُ الْخَفِيَّاتِ .

وكان يقال : قَلَّ مَنْ تَوَدَّدَ إِلَّا صَارَ عَمُوبًا ، وَالْمُحُوبُ مُسْتَوْدَعُ الْعُيُوبِ .

(١٣٩)

الأفضل :

والهم نصف الهرم .

\*\*\*

الْبُشْح :

من كلام بعض الحكماء : **الهمُّ يُشَيِّبُ القلبَ ، ويُعَمِّقُ العقلَ ، فلا يتولد منه رأي ، ولا تصدق معه رواية .**

وقال الشاعر :

هومٌ قد أبنتُ إلاً التَّجَالُفَ <sup>(١)</sup> بَنَتِ الشَّيْبَ في رأسِ الوليدِ  
وتُسدُّ غائماً بَشِجاً حِشَاءً وتُعْطِقُ لِقَيْلُمَ حَبَا القُعودِ  
وأصبحتُ خُشْعاً منها زَرَارٌ مركبةُ الزواربِ في الخُدُودِ

وقال سكين بن عينة : الدنيا كلها هومٌ وغموم ، فإكان منها سرور فهو ربح .  
ومن أمثالهم : **الهمُّ كالفور النُّلْمَةُ .**

وقال أبو تمام :

شاب رأسي وما رأيتُ مَشَيَّبَ الرأسِ إلا من فصلر شيبَ العُودِ <sup>(٢)</sup>  
وكذلك القلوبُ في كلِّ بؤسٍ ونسيمٍ طلائعُ الأجسادِ  
طالَ إنكارِي البياصَ ونوُ مُمرٍّ تَشِيَّتْ أسكرتُ لَوْنَ السَّوادِ <sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١ : ٣٦٠ . (٢) الديوان : « وفي همرت » .

(١٤٠)

### الأصل :

يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الضَّعِيفِ ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ حِدَّ مُصِيبَتِهِ  
حَبِطَ أَجْرُهُ .

\*\*\*

### الشرح :

قد مضى لنا كلامُ شافٍ في الصبر ؛ وكان الحسنُ يقول في قصصه : الحمد لله الذي  
كلَّمنا مالهو كلَّمنا غيره . نصيرنا فيه إلى مصيبته ، وآخراً ما على مالهذا لنا منه ؛ يقول :  
كلَّمنا الصبر ، ولو كلَّمنا الخرع لم يمكننا أن نعيم عليه ، وآخراً ما على الصبر ولا بد لنا من  
الرجوع إليه .

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، كل يقول عند التمزية : عليكم بالصبر ، فإن  
يأخذ الحازم ، ويسود إليه الجازع .

وقال أبو جراح الهذلي يذكر أياه عروة :

نقول أراء بعد عروة لاهية      وذلك رزاً لو علت حليل<sup>(١)</sup>

فلا تحسبي أني ناسيت عهدك      ولكن صرى يا أميم حيل

وقال مروان ممد بكرب :

كم من أحر لي صالم      رواه ريدى لعهد<sup>(٢)</sup>

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١١٦ . (٢) ديوان الحماسة ١ : ١٧٤ ، ١٧٥ - بشرح النجدي .

أَبْنَتْهُ أَكْفَانُهُ وَحُفِنَتْ يَوْمَ خُلِقَتْ جِلْدًا

وكن يقال : من حدث نفسه بالبقاء ، ولم يُؤَخَّسْها على المصائب ، فهو عاجزُ الرأي .

وكن يقال : كفى باليأس مُعْزِيًا ، وبانقطاع الطمع راحرا !

وقال الشاعر :

أَيَا عَمْرُو لَمْ أَصْبِرْ وَلِي فِيكَ حِيلَةٌ وَلَكِنْ دَعَانِي الْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ

تَصَبَّرْتُ مِنْ لَوْلَا وَإِنِّي لَمَوْحِشٌ كَمَا صَبَرَ الْقُطَّانُ فِي الْبَلَدِ الْقَمَرِ



(١٤١)

الأفضل :

كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْمَسَاءُ . حَبِّدَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَافْتَنَارُهُمْ !

• • •

الشنخ :

الأكياس ها هنا العلماء العارفون ؛ وذلك لأنَّ عبادتهم تقع مطابقةً لمقتضى المسيحية ، فيكون هروءاً راحمةً إلى أصدى ثابت ، وليس كذلك الخاهلون بالله تعالى ، لأنهم إذا لم يعرفوه ولم تكن عبادتهم متوجهةً إليه لم تكن مقبولةً ، ولذلك قَدَّتْ عبادة الصارى واليهود .

وفيهم وردَ قوله تعالى : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ • تَمَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾<sup>(١)</sup> .

(١٤٢)

الأفضل :

سُوسُوا إِعَانَكُمْ بِالْعَدَقَةِ ، وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِإِزْكَائِهِ ، وَادْفَعُوا أَمْوَالَ النَّاسِ  
مَالَهُمْ عَادًا .

• • •

الْبُرْخ :

قد تقدم الكلام في الصدقة والزكاة والذمائم ، فلا معنى لإعادة التولي في ذلك .

— — — — —

(١٤٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي :

قال كميل بن زياد : أحد يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام  
فاخرجني إلى الحناني ، فلما أصحرت نفس الصعداء ، ثم قال :  
يا كميل بن زياد ؛ إن هدير القلوب أوعية فحبرها أوعاها ، فحفظت عنى  
ما أقول لك .

الناس ثلاثة : فالأول دنانير ، ومتمم على سبيل نجاته ، وهم ربع أثناع  
كُل نعيم يحيلون مع كُد ديعر ، ثم ستسبوا سور النمر ، ولم ينجوا إلى  
دكنه وريقه .

يا كميل ، النعم خير من المال ؛ النعم بحر سك وأنت تخرس المال .  
والمال تنقصه العفة ، والنعم يزكو على الإيتاق ، وصبيح المال يزول رواله .

يا كميل بن زياد ، معرفة النعم دين بذن به ، به يكسب الإنسان الطاعة  
في حياته ، وحصيل الأخذ وثمة مند وقته . ونعم حاكم ، وأمال يحكمون عليه .

يا كميل بن زياد ؛ هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء بالقون ما بقي  
الدمر ؛ أغيابهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة . ها إن هاتمت ليلنا جم  
- وأشار إلى صدره - لو أمنت له حنة ! بلى أسيب لقد عيرت ما مؤمن عليه ،  
مستميلاً آلة الدين الدنيا ، ومستطيراً باسم الله على عباديه ، ومغشجيه على أوليائه ،

أَوْ مُفَكِّدًا لِحِمْلَةِ الْحَقِّ ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَخَذَتِهِ ؛ بِتَقْدِيرِ الشُّكِّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ  
عَارِضٍ مِنْ شُبُهَةٍ . أَلَا لَدَا وَلَا ذَاكَ ، أَوْ مَشْهُومًا بِالذِّمَّةِ ، سِلْسِلَ الْيَقَازِ لِلشَّهَوَةِ ،  
أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالِإِدْخَالِ ، لَيْسَا مِنْ رُغَاةِ الْغَيْرِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شُبُهًا بِهِمَا  
الْأَنْعَامُ السَّائِحَةُ ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

اللَّهُمَّ بَلِّ ؛ لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ فِي حُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا ،  
وَإِمَّا خَائِفًا مَشْهُورًا ، ثَلَاثًا تَنْطَلُ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ .

وَكَمْ ذَا وَأَيْنَا ! أَوْلَيْكَ وَاللَّهِ الْأَقْلَمُونَ عَدَدًا ، وَالْأَقْلَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدَرًا ،  
يَحْصِي اللَّهُ بِهِمْ حُجَّتَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُوَدِّعُوهُمْ نَظْرَهُمْ ، وَيَزْدَرِعُوهُمْ فِي قُلُوبِ  
أَشْبَاهِهِمْ . هَمَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رَوْحَ الْيَقِينِ ، وَاسْتَلَامُوا  
مَا اسْتَوْفَرَهُ الْمَرْهُومُ ، وَأَبْسَوْا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ أَحَايِلُونَ ، وَصَحُّوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ  
أَرْوَاحِهَا مُنْقَلَبَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ؛ أَوْلَيْكَ خَلْقُهُ فِي أَرْضِهِ ، وَاللَّهُدَى إِلَى دِينِهِ ،  
أَوْ آوِ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ !

انصرفت يَا كَمِيلُ إِذَا شِئْتَ .

\*\*\*

## الْمِنْخُ :

الْجَبَانُ وَالْجَنَانَةُ : الصَّحْرَاءُ .

وَتَمَسَّ السُّمَدَاءُ ، أَيْ تَفَسَّ تَفَسًّا مَحْدُودًا طَوِيلًا .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ثَلَاثَةٌ قِسْمَةٌ صَحِيحَةٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّرَّ بِإِعْتِبَارِ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ ؛  
إِمَّا عَالِمٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَمَا شَارَعَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ بِمَسَدٍ فِي السَّرِّ إِلَى اللَّهِ  
يَطْلُبُهُ بِالْعِلْمِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْعَالَمِ ، وَإِمَّا لَا دَا وَلَا ذَاكَ ؛ وَهُوَ الْعَالِمُ السَّاقِطُ الَّذِي

لَا يَبْأُ اللَّهُ . وَصَدَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَنَّهُمْ كَمَجِّ رَمَاعِ أَنْبَاءِ كُلِّ نَاعِقٍ ، أَلَا تَرَامُ يَنْتَفِلُونَ  
مِنَ التَّقْلِيدِ لِشَخِصٍ إِلَى تَقْلِيدِ الْآخَرِ ، لِأَدْنَى حَيْدٍ وَأَضْعَفِ وَهْمٍ ؟

ثُمَّ تَمَّ شَرْعُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ النِّعَمِ وَتَعْضِيلِهِ عَلَى الْمَالِ ، فَقَالَ : « الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ ،  
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ » ، وَهَذَا أَحَدُ وَجُوهِ التَّنْصِيلِ .

ثُمَّ اتَّخَذَ فَرْكَرَ وَحِمْيَا ثَانِيًا ؛ فَقَالَ : أَلَا يُنْقَضُ بِالْإِنْسَاقِ مَعَهُ ، وَالْعِلْمُ لَا يَنْقُصُ  
بِالْإِنْسَاقِ بَلْ يَزْكُو ؟ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِسَاسَةُ الْعِلْمِ عَلَى التَّحْلُفَةِ تَقْدِيرُ الْمُعْتَمِدِ رِوَاةَ اسْتِعْدَادِ ،  
وَتَقَرُّرُ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعُلُومِ الَّتِي أَصَابَهَا عَلَى تِلْمِذَتِهِ وَتَنْقَضَتْ وَتَرِيدُهَا رِسْوَا .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَصَبِغُ الْمَالِ يَزُولُ بِرَوَاةِ » ، فَصَحَّتْ سَرَّ دَقِيقِ حِكْمَتِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَالَ  
إِنَّمَا يَعْطُرُ أَثَرُهُ وَقَعْتُهُ فِي الْأُمُورِ الْحَسْبِيَّةِ ، وَاللَّذَاتِ الشَّهْوَايَةِ ، كَالنِّسَاءِ وَالْحَيْلِ وَالْأُنْمِيَةِ  
وَالْمَأْكَلِ وَالشَّرْبِ وَالْمَلَسِ وَمَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَهَذِهِ الْأَنْبَارُ كُلُّهَا تَزُولُ بِرَوَاةِ الْمَالِ أَوْ بِرَوَاةِ  
رَبِّ الْمَالِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا رَالَ إِلَيْنِ اضْطَرَّ سَاحِبُهُ إِلَى بَيْعِ الْأُبْيَةِ وَالْحَيْلِ وَالْإِيمَانِ ،  
وَرَفْعِ تِلْكَ الْعَادَةِ مِنَ الْمَأْكَلِ النَّجِيَّةِ وَالْمَلَسِ الْبَهِيَّةِ ! وَكَذَلِكَ إِذَا رَالَ رَبُّ الْمَالِ  
بِالْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ تَزُولُ آثَارُ الْمَالِ عِنْدَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى بَعْدَ الْمَوْتِ أَكِلَاءٌ شَارِبٌ لَا يَسَاءُ ، وَأَمَّا آثَارُ  
الْعِلْمِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَزُولَ أَبَدًا وَالْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنِ الدُّنْيَا ؛ أَمَّنِ الدُّنْيَا  
فَلَا يَنْتَفِلُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَمُودُ جَهْلًا بِهِ ، لِأَنَّ اتِّعَادَ الْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ عَنِ الدِّهْنِ  
وَمَا يَلْزَمُهَا مِنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ حَصُولِهَا مُحَالٌ ، فَإِذَا قَدْ صَدَّقَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ  
الْمَالِ وَالْعِلْمِ : « إِنَّ صَبِغَ الْمَالِ يَزُولُ بِرَوَاةِ » ، أَيْ وَصَبِغَ الْمَالِ لَا يَزُولُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ  
يَهُولَ « بِرَوَاةِ » لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَصَبِغَ الْمَالِ يَزُولُ ، لِأَنَّ الْمَالَ يَزُولُ ؛ وَأَمَّا بَعْدَ خُرُوجِ  
الْإِنْسَانِ مِنَ الدُّنْيَا فَيَنْتَفِلُ صَبِغَ الْعِلْمِ لَا يَزُولُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ صَبِغَ الْعِلْمِ فِي النَّفْسِ النَّاطِقَةِ  
الْقَدَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الدَّائِمَةِ لِدَوَامِ سَبَبِهَا ، وَهُوَ حَصُولُ الْعِلْمِ فِي حَوَاطِرِ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ مَشْغُوقٌ

النفس مع أكتفاء ما يُشغلها عن التمتع به ، والتلذُّذ بمصاحبتها ؛ والذي كل يشغلها عنه في الدنيا استئثارها في تدبير البدن ، وما تُورِّدُه عليها الحواس من الأمور الخارجيّة ، ولادبّ أن العاشق إذا خلا بمَشْوَيقه ، وانغصّت عنه أسباب الكدَر ، كان في لذة عظيمة ، فهذا هو سرُّ قوله : « وصبيح المال يزولُ بزواله » .

فإن قلت : ما معنى قوله عليه السلام : « معرفة العلم دينٌ يدانُ به » ، وهل هذا إلا بمنزلة قولك : معرفة المعرفة أو علم العلم ؟ وهذا كلامٌ مضطرب .

قلت : تقديره : معرفة فصل العلم أو شرف العلم ، أو وُجوب العلم دينٌ يدانُ به ، أي المعرفة بذلك من أمر الدين ، أي ركن من أركان الدين واحتمل مروض .

ثم شرّح عليه السلام حال العلم الذي ذكر أن معرفة وحُبه أو شرفه دينٌ يدانُ به ، فقال : « العلم بكسب الإنسان الطاعة في حياته » أي من كان طاملاً كلَّه تعالى مُعليماً ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) .

ثم قال : « وجبل الأحدثة بعد وفاته » ، أي الذِّكر الجليل بعد موته .

ثم شرع في تفصيل العلم على أدل من وجه آخر ، فقال : « العلم حركم ، والبال محكومٌ عليه » ، وذلك لينمك أن مملحتك في إفاق هذا المال تُنفقه ، ولملك بأن المصلحة في إمساكه تمسكه ، فليسلم بالمصلحة دافع ، والمصرّة صارف ؛ وهما الأمران الطائفتان بالحركة والتصرفات إقداماً ، وخجماً ، ولا يكون الفساد قادراً عتداً إلا باعتبارهما ؛ وليس إلا عبارة عن العلم أو ما يجري تحركي العلم من الاعتقاد والظن ، فإذا قد بان وظهر أن المسلم من حيث هو عمٌّ حاكم ، وأن المال ليس بحاكم ، بل محكوم عليه .

ثم قال عليه السلام : « هَكَكَ خُزْنِي اَذْلُومِ اَحْيَاءِ » ، وذلك لِأَنَّ اَلْاَالَ الْخُزُون لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّخْرَةِ لِدَفْوَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ ، حَذَرَهُ هَالِكُ لَا سَحَابَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَلْتَمِذْ بِإِقَامَتِهِ ، وَلَمْ يَصْرِفْهُ فِي الْوَحْدَةِ اَلَّتِي نَدَبَ اَللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا ؛ وَهَذَا هُوَ اَلْهَلَاكُ اَلْمَعْنَوِيُّ ، وَهُوَ اَعْظَمُ مِنَ اَلْهَلَالِ اَلْجَسَدِيِّ .

ثم قال : « وَالطَّاهِرُ بِاَقْوَنَ مَا بَقِيَ اَلدَّهْرُ » ؛ هَذَا اَلْكَلَامُ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ ، فَظَاهِرُهُ قَوْلُهُ : « اَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْشَاهُمْ فِي اَقْلُوبٍ مَوْحُودَةٍ » ، أَيْ اَتَارِكُهُمْ وَمَادَّةَ وُجُوهِهِ مِنَ اَلْعُلُومِ ، فَكَأَنَّهُمْ مَوْحُودُونَ ، وَبَاطِنُهُ أَنَّهُمْ مَوْحُودُونَ حَقِيقَةً لَا سَحَابًا ، عَلَى قَوْلٍ مِّنْ قَالٍ بِنَاءِ الْأَنْفُسِ ، وَأَسْتَأْهِمُ فِي اَلْقُلُوبِ كَسَايَةً وَلُتْرًا ، وَمِنْهَا دَوَائِمُهُمْ فِي حَطِيرَةِ الْقُدُّوسِ ؛ وَاَلشَّارِكَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اَلْقُلُوبِ طَهْرَةٌ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ اَلْعَيْنَانِ اَلَّذِي يَسْتَعْمِلُهُمَا هُوَ الشَّرَفُ ، فَكَأَنَّ نَفْسَكَ اَشْرَفَ عَالَمِيهَا ، كَذَا اَلْعَلَبُ اَشْرَفُ عَالَمِهِ فَسَيُتَبَرِّكُ لِمَنْ أَحْبَبَهُمَا وَتُبَرِّكَ بِهِ عَنِ الْآخَرِ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ اَلْسَّلَامُ : « هَا بَيْنَ هَا هُنَا كَيْلَمًا سَجَا سَوَا اَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ » ، هَذَا عَدَى إِشَارَةً إِلَى اَلْبِرْهَانِ وَالرُّسُولِ إِلَى اَلْقِسَامِ اَلْاَشْرَفِ اَلَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا اَلْوَاحِدُ اَلْقَدَمُ مِنَ اَلْعَالَمِ مِمَّنْ لَّهُ تَعَالَى فِيهِ سِرٌّ ، وَلَهُ بِهِ اِتِّصَالٌ .

ثم قال : « لَوْ أَسْتَلَمْتُ لَهُ سَحْلَةً ! » وَمِنَ اَلَّذِي يُطَبِّقُ سَحْلَةً أَيْ بَلْ مِمَّنْ اَللَّهُ يُطَبِّقُ فِيهِمْ فَضْلًا عَنْ سَحْلَةٍ !

ثم قال : « بَلْ أُصِيبُ » .

ثم قسم اَللَّهُ اَلَّذِي يَعْبُدُهُمْ حَسَّةَ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهُمْ : أَهْلُ الرِّيَاءِ وَالتَّكْبَرِ ؛ اَلَّذِينَ يَطْهَرُونَ الدِّينَ وَاَلْعِلْمَ وَمَقْصُودُهُمُ الدُّنْيَا ، فَيَجْعَلُونَ اَلنَّامُوسَ اَلَّذِي بَيْنَ شَكَاةٍ لَا تَقْتَضِي اَلدُّنْيَا .

وَأُخَرُهَا : قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ لِيَسُوْا بِدَوَى تَصِيرَتِ الْأُمُورِ اَلْإِلَهِيَّةِ اَلنَّامُوسَةِ ،

فيخاف من إفشاء السرّ إليهم أن تنفجر في قلوبهم شبهة بأدنى خاطر ؛ فإن مقام المرفة مقام حبل متب لا يثبت تحته إلا الأفراد من الرجال ، الذين أيسدوا بالتوفيق والمصمة .

وثالثها : رجل صاحب لدات وطرب مشهور بقضاء الشهوة ، فليس من رجال هذا الباب .

ورابعها : رجل عرف بمجتمع الل ودخاره ، لا يذمقه في شهواته ولا في غير شهواته ، حكّمه حكم القسم الثالث .

ثم قال عليه السلام : « كذلك يموت العلم يموت حبيبه » ، أى إذا مات العلم الذى فى صدرى ، لأنى لم أجد أحدا أفضله إليه ، وأورثته إياه . ثم أستدرك فقال : « اللهم بلى ، لا تجلو الأرض من قائم بحسنة لقه تعالى » كيلا يحلوا الزمان بمن هو مهين لله تعالى على عباديه ، ومسيطر عليهم ؛ وهذا يكاد يكون نصريحا بذهب الإمامية ، إلا أن أصحابنا يعمنون على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأحبار النبوية صهم آتهم فى الأرض سائحون ، فمنهم من يعرف ، ومنهم من لا يعرف ، ومنهم لا يعرفون حتى يودعوا السر ، وهو اليرقان عند قوم آخرين يقومون مقامهم .

ثم استدرجهم فقال : « وكما ذا ! » أى كم ذا القليل ! وكذا الطريق ! ثم قال : « وأين أولئك ! » استبههم مكأهم وعنتهم . ثم قال : « هم الأفقون عددا ، الأعظمون قددا » .

ثم ذكر أن العلم هم بهم على حقيقته الأمر ، وأنكشف لهم المستود النطقى ، وباشروا راحة اليقين وبرة القلب وتنج العلم ، وأستلوا ماشق على الترفين من الناس ، ووعر عليهم نحو التوحد ورفض الشهوات وحسونة العيشة .



قال : « وَأَنسُوا بِمَا أُسْتَوَحِّشُ مِنْهُ أَحَدُهُمْ » ، يعنى المرأة ومحابة الناس ، وطول الصمت ، وملازمة الخلوّة ؛ ونحو ذلك ممّا هو شعار القوم .

قال : « وَصَحِرُوا الدُّنْيَا بِأَرْوَاحِ أَبدَانِهَا مَمْنُوعَةٍ بِتَحَلُّ الْأَعْلَى » ، هذا ممّا يقوله أصحاب الحكمة من تملّقى النفوس المهرّدة بمبادئها من المنول المارقة ، فمن كان أدركى كان معلقاً بها أنتم .

ثم قال : « أَوَلَيْكَ حُلَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَاللَّعْنَةُ إِلَى دَيْبِهِ » ، لا شبهة أن بالوصول يستحقّ الإنسان أن يستقى حليمة الله في أرضه ، وهو الذى يقوله سبحانه لللائكة ﴿ أَرَأَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ حَبِيبَةً ﴾ <sup>(١)</sup> ، ويقولونه : ﴿ هُوَ الَّذِي حَمَلَكُمْ حُلَاثَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ثم قال : « آيَةُ آيَةٍ شَوْعًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ ؟ » ، هو كَيْلُ السَّلامِ أَحَقُّ الدِّسِّ مَا يَشْتَأَى إِلَى رُؤْيَيْهِمْ ، لأنّ الجسمية على الصِّمِّ مَوَالِئِي يَشْتَأَى إِلَى مَا هُوَ مِنْ سِيخِيهِ وَسُوسِيهِ وَطَبِيعَتِهِ ، ولما كان هو عليه السَّلام شيخ الماريين وسيدّهم ، لا حرّم . اشتاقت عنه الشريعة إلى مُشَاهَدَةِ أَبْنَاءِ حَلِيهِ ، وإن كلّ كلٍّ واحد من الدِّسِّ دُونَ طَلْقَتِهِ .

ثم قال لِكَمِيلٍ : « انصرف إذا شئت » ، وهذه الكلمة من عاين الآداب ، ومن لطائف الكلام ، لأنه لم يقتصر على أن قال : « انصرف » كيلا يكون أمراً وحكماً بالانصراف لا محالة ، فيكون فيه نوعٌ عُلُوٌّ عليه ، فأنبّغ ذلك بقوله : « إذا شئت » ليُغْرِجَهُ مِنْ ذَلِكَ الْحَكْمِ وَقَهْرَ الْأَمْرِ إِلَى عِزَّةِ الشَّيْئَةِ وَالِاخْتِيَارِ .

(١٤٤)

الأصل :

المرء تخولوا تحت لسانه .

• • •

الشرح :

قد تكرر هذا المعنى مرارا ، فإما هذه اللمعة فلا يطير لها ولا يحار والدلالة على المعنى ، وهي من الأدب عليه السلام المدودة .

وقال الشاعر :

وكأن نرى من صامت لك مُحِبٍّ زِيادته أو نقصه في التكلم<sup>(١)</sup>

لسان العتي نصف ونصف فؤاده فم يسق لا صورة اللحم والدم

وتسكلم عبد الملك بن عُمر وأعرابي حصر ، فقيل له : كيف ترى هذا ؟ فقال :

لو كان كلام يؤتدّم به لكان هذا الكلام مما يؤتدّم به .

وتسكلم جماعة من الخطباء عند مسلّة بن عسدة اليث فأنشبهوا في القول ، ولم يستمعوا

شيئا ، ثم أفرع النطق رجل من أحرابهم ، فحصل لا يخرج من فم إلا إلى أحسن منه ،

فقال مسلّة : ما شئت كلامَ هذا بعقب كلام هؤلاء<sup>(٢)</sup> ، إلا بسحابير لبدت عجاجة .

وممع رجل مشددا يمشد :

وكان أحلاقي يقولون مرّحاً فصاً رأوني مقترأ مات مرّحاً

(١) يسان لرعي ، من مغلته ٩٤ بشرح الزور . (٢) سعد في : « أجهانه » .

فقال : أخطأ الشاعر ، إنَّ مرجأ لم يمُتْ ، وإنما قُتِلَ على بن أبي طالب عليه السلام !  
وقال رجل لأعرابي : كيف أهلك ؟ قال : صبا إن شاء الله .

وكان مسلمة بن عبد الملك يمرض الحنف ؛ فقال لرجل : ما اسمك ؟ فقال : « عبد الله » ،  
ونخس ، فقال : ابن من ؟ فقال : ابن « عبد الله » ، وفتح ، فأمر بضربه ، فجعل يقول :  
« سبحانُ الله ، وبصم » ، فقال مسلمة : وبحكم ! دعوه فإنه محمولٌ على اللحن والخطأ ،  
لو كان نلوكةً لألحن في وقتٍ تركه وهو تحت السَّياط .

(١٤٥)

الأصل :

هَلَكَ أَمْرُكَ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ .

• • •

البُحْج :

هذه الكلمة من كتابه المودود . وكف الممان بن عبد الله إلى القاسم بن عبيد الله كتاباً يُبَيِّنُ فيه بَخْدَمَتِهِ ، ويستري في رِزْقِهِ ، موقع على طهره : رَحِمَ اللهُ اسماً عَوَفَ قَدْرَهُ ! أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْرِفُهَا ، فَبِأَحْسَنَ أَنْ أَعْرِفُكَهَا عَرَفْتُكَ . فكتب إليه الممان : كَتَبْتُ كَتَبْتُ إِلَى الْوَرِيرِ أَعَزَّهُ اللهُ كِتَاباً اسْتَرْيِدُهُ فِي رِزْقِي ، موقع على طهره تَوَمَّعَ صَبَّحَ لَمْ يَجْرَحَ فِيهِ مَعَ صَبَّحَهُ عَمَّا أَرِيقُهُ مِنْ حَبَاطَتِهِ وَخُسْرَ طَهْرِهِ ، هَالُ : إِنَّهُ قَدْ حَدَّثَ لَعَنَهُ نَحْبَ نَعْمِيهِ ، وَقَدْ صَدَّقَ - أَعْلَى اللهُ قَدْرَهُ - لَعَنَ شَرَفِي الْوَزِيرُ بَخْدَمَتِهِ ، وَأَعْلَى دَكْرِي بِعَمَلِ دِكْرِهِ ، وَنَهَ عَلَى كِبَابِي بِاسْتِكْمَانِهِ ، وَرَضَى وَكَتَرَنِي (١) عِنْدَ نَفْسِي ، فَإِنْ أَعْيَضْتُ فَبِسَمِيَّتِهِ عَمَدِي ، وَحَمِيلَ تَطَوَّلَهُ عَلَيَّ ، وَلَا نَحْبَ ، وَهَلْ خَلَا الْوَرِيرُ مِنْ قَوْمٍ يَصْطَلِعُهُمْ نَعْمَ مَكَّةَ وَبَرَقَهُمْ نَعْمَ حَوْلَ ، وَيُحَدِّثُ لَهُمَ هِمَامَ رَقِيمَةٍ وَأَنْفَسَا عَلَيْهِ ، وَفِيهِمْ شَاكِرٌ وَكَعُودٌ ، وَأَرْحُو أَنْ أَكُونَ أَشْكُرَهُمْ لِلنَّعْمَةِ ، وَأَفْوَمَهُمْ بِحَقِّهَا . وَقَدْ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ : إِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ وَإِلَّا عَرَفَهُ إِيَّاهَا ، قَدْ أَشْكَرَهَا ، وَهِيَ نَفْسُ أَنْشَأَتِهَا نَعْمَةُ الْوَرِيرِ وَاحْدَتُهَا فِيهَا مَا لَمْ تَرَلْ تُحْدِثُهُ فِي نُظَرَاتِهَا مِنْ سَائِرِ عِبِيدِهِ وَخُدَمِيهِ ؛ وَاللَّهُ يَمَنُّ مَا يَأْخُذُ بِهِ عَسَهُ مِنْ حُدْمَةٍ مَوْلَاهُ وَوَلٍّ نَعْمَتِهِ ، إِمَامًا مَادَّةً وَدُرَّةً وَإِمَامًا نَادِيًا وَهَيْبَةً ، وَإِمَامًا شُكْرًا وَاسْتِدَامَةً لِلنَّعْمَةِ .

فلما قرأ القاسمُ بنُ عبيد الله كتابه استحسنه ، وراد في رِزْقِهِ .

(١٤٦)

الأصل :

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لَا تَكُنْ مِنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطَوْلِ الْأَمْسَلِ ؛  
يَقُولُ فِي الشَّيْءِ يَقُولُ الرَّاهِدِينَ ، وَيَتَمَلَّ بِهَا يَتَمَلَّ الرَّاهِدِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا  
لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مُسِعَ مِنْهَا لَمْ يَنْفَعْ ، يَهْجُرُ عَنْ شُكْرِ مَا أَوْقَى ، وَيَنْتَقِي الرَّبَادَةَ  
فِيمَا بَقِيَ ، يَنْتَقِي وَلَا يَنْتَقِي ، وَيَهْجُرُ الْبَاسَ بِمَا لَمْ يَأْتِ .

يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَتَمَلَّ عَمَلَهُمْ ، وَيُنْفِصُ الْمُدْبِرِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، بِكُرَّةِ  
الْمَوْتِ لِكَثْرَةِ دُوبِهِ ، وَيُنْفِصُ عَلَى مَا بِكُرَّةِ الْمَوْتِ مِنْ أَجْلِهِ ، إِنْ سَقَمَ طَلَّ دِيمًا ،  
وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا . يُنَجَّبُ بِفَيْدِهِ إِذَا قَوِيَ ، وَيَقْطَعُ إِذَا ائْتَمَلَ ، وَإِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ  
دَعَا مُصْطَفًى ، وَإِنْ مَلَكَ رَحَاءٌ أَعْرَضَ مُنْتَفًى ، تَمْلِكُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَطْلُ ، وَلَا يَفْلِسُهَا  
عَلَى مَا يَسْتَنْفِئُ ، يَحَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ دِينِهِ ، وَيَرْجُو لِيَفْسِدَ بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِهِ .  
إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرَفَيْنِ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَطَعَ وَوَهَنَ ، يُقْصِرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيُنَالِجُ إِذَا سَأَلَ ؛  
إِنْ عَرَسَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ انْمَعْصِيَّةً ، وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ ، وَإِنْ عَرَنَتْ رِيحَةً انْفَرَجَ  
عَنْ شَرَائِطِ الْبِلَّةِ .

يَصِفُ الْغُرَّةَ وَلَا يَتَمَحَّرُ ، وَيَسْلَعُ فِي أَمْوَالِهِ وَلَا يَقْعُدُ ، هَوَّ بِالْقَوْلِ مُدِلٌ  
وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌ .

يُنَافِسُ فِيمَا بَقِيَ ، وَيُسَارِجُ فِيمَا بَقِيَ ؛ يَرَى الْفُتْمَ مَفْرَمًا ، وَالْفَرْمَ مَعْنَمًا ،  
يَحْتَقِي الْمَوْتَ ، وَلَا يُكَادِرُ الْمَوْتَ ، يَسْتَعِظُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَعِظُ أَكْثَرَ مِنْهُ

مِنْ نَفْسِهِ ، وَبَشِّرْهُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يُحَقِّرُهُ مِنْ دَعَا عِبَرِهِ ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَائِعٌ ،  
وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ .

أَلْفَوْا مَعَ الْأَغْيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ ، يُحْكُمُ عَلَى عِبَرِهِ لِنَفْسِهِ ،  
وَلَا يُحْكُمُ عَلَيْهَا لِعِبَرِهِ ، يُرْشِدُ نَفْسَهُ وَيُنَوِّرُ عِبَرَهُ <sup>(١)</sup> ، فَهُوَ بِطَاعٍ وَبِقَصِي ، وَيُسْتَوْفِي  
وَلَا يُوفِي ، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي عَيْرِ رَبِّهِ ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ .

\*\*\*

قال الرضوي رحمه الله تعالى :

وَلَوْ لَمْ يَسْكُنْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا هَذَا الْكَلَامَ لَكُنِيَ بِهِ مَوْعِظَةً نَاجِمَةً ، وَحِكْمَةً  
بَالِغَةً ، وَبَسِيرَةً لِمُنْصِرٍ ، وَفِيْرَةً لِطَائِفٍ مُفَسِّرٍ .

\*\*\*

## البُزْجُ :

كثير من الناس يَرَحُونَ الْأَحْرَةَ بِغَيْرِ حَمَلٍ ، ويقولون : رحمة الله واسية ، ومنهم من  
يَظُنُّ أَنَّ التَّلْعُقَ بِكَامَتِي الشَّهَادَةِ كَابٍ فِي دُحُولِ الْحَيَّةِ ، ومنهم من يَسُوِّفُ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ ،  
وَيَرْجِي الْأَوْقَاتَ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى عَدَدٍ ، وَقَدْ يُحَرِّمُ عَلَى عِبَرِهِ فَيَمُوتُهُ مَا كَانَ أَمَلَهُ ، وَأَكْثَرُ هَذَا  
الْفَصْلِ لِلتَّحْيِ عَنْ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ وَأَعْطَا لِعِبَرِهِ مَا لَمْ يَسْلَمْ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :  
( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ) <sup>(٢)</sup> .

فَقَوْلُ كَثَرٍ قَالَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ قَوْلُهُ : « يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ  
الزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا يَعْمَلُ الزَّاهِدِينَ » .

(١) د « يرشد نفسه ويصوي غيره » . (٢) سورة النقرة ١٤ .

ثم وَصَفَ صاحبَ هذا المنعِبِ وهذه الطريقة فقال : « إِنَّهُ إِنِّ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَشْبَعْ » ، لَأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ مَحْمُولَةٌ عَلَى حُبِّ الْإِرْدِيَادِ ، وَإِنَّمَا يَقْهَرُهَا أَهْلُ التَّوْفِيقِ وَأَرْبَابُ الْمَرْزَمِ الْقَوِيُّ .

قال : « وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَفْصَحْ » ، كَانَ وَصَلَ إِلَيْهِ قَبْلَ الْمَنْعِ .

ثم قال : يَعْتَرِ عَنْ شُكْرِ مَا كَانَ أَسْتَمَّ بِهِ عَلَيْهِ ، لَيْسَ بِمَعْنَى الْحَجَرِ الْحَقِيقِيِّ ، بَلِ الْمُرَادُ تَرْكُ الشُّكْرِ ، مَعْنَى تَرْكِ الشُّكْرِ تَحَرُّ . وَبِحُجُورِ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، أَيْ أَنَّ الشُّكْرَ عَلَى مَا أُولَى مِنَ التَّمَنِ لَا تَنْتَهَى قُدْرَتُهُ بِهِ ، أَيْ لَنَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِ أَجَلَ وَأَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُقَامَ بِوَاجِبِ شُكْرِهَا .

قال : « وَيَبْتَنِي الزِّيَادَةَ فَمَا يَبْنِي » ، هَذَا رَاجِعٌ إِلَى الشُّعْرِ الْأَوَّلِ .

قال : « يَبْنِي وَلَا يَبْتَنِي وَيُثَمِّلُ الْإِنْسَانَ بِحُلَاكِائِهِ » ، هَذَا كَمَا تَقَدَّمَ .

قال : « يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَمْلَأُ تَحَمُّلَهُمْ » ، إِلَى قَوْلِهِ : « وَهُوَ أَحَدُهُمْ » ، وَهُوَ الَّذِي الْأَوَّلُ بِمَعْنَاهُ .

قال : يَسْكُرُهُ الْوَتَّ لِكَثْرَةِ دُوبِهِ ، وَيَمِيمُ عَلَى الذُّنُوبِ ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَسْكُرَهُ إِنْسَانٌ شَيْئًا ثُمَّ يُقِيمُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ الْمُرُورُ وَتَسْوِيطُ النَّفْسِ بِالْأَمَانِيِّ .

ثم قال : « إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا » ، وَإِنْ صَحَّ أَتَمَّ لَاهِبًا » ، ( فَإِذَا رَكَعُوا فِي الْعُقُودِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدُّيُونَ ) (١) . . . الْآيَاتِ .

قال : « يُسَجِّبُ نَفْسَهُ إِذَا قُوِيَ ، وَيَقْطَعُ إِذَا ائْتَلَى » ( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ) (٢) ، وَمِثْلُ الْكَلِمَةِ الْأُخْرَى : « إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ » ، وَ « إِنْ مَالَه وَخَاءٌ » .

ثم قال: « تنبيه نفسه على ما يظن، ولا يسبب على ما يستيقن »، هذه كلمة جديدة عظيمة يقول: هو يستيقن الحساب والثواب والعقاب، ولا ينسب نفسه على عابرة ومتاركة ما يقضي به إلى ذلك أنظر العظيم، وتنبيه نفسه على السعي إلى ما يظن أن فيه فائدة عاجلة؛ فواجباً ممن يرجع عسده جانب الظن على جانب العلم وما دأب إلا لصعب يقين الناس وحس الساحل.

ثم قال: « يخاف على غيره نادى من دونه، وبرحو لمسه أكثر من حمته »، ما يزال يرى الواحد ما كذلك يقول: أتى لحذف عن فلان من الذب القلائد وهو مقبى على الخس من ذلك الذب، وبرحو لنفسه النجاة لا تقوم أعماله الصالحة بالصبر إلى الصلابة، نحو أن يكون يصلي ركعات في الليل أو بصوم أياماً بسيرة في الشهر، ونحو ذلك.

قال: « إن أستمى بطر وفيت، وإن افتقر قبط ووهن » قبط بالفتح يقبط بالكسر، قبطاً مثل حلس يحبس حلوساً، ويجوز قبط يقبط بالصم مثل قبط يقبض، وفيه لغة نادرة: قبط يقبض قبطاً، مثل تيب شيب تيباً وقاطلة فهو قبط، وبه قرئ: ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، والقنوط اليأس. ووهن الرجل يعين، أي ضعف وهذا المعنى قد تكرر.

قال: « بقصر إذا عجل، وبإيل إذا سئل »، هذا بمنزلة ما مدح به النبي صلى الله عليه وآله الأنصار: « إنكم لتكثرلون عند الفراع، وتفتنون عند الطمع ».

قال: « إن عرست له شهوة أسف المصيبة، وسوف التوبة، وإن عرته رحمة الفراع عن شرائط اللذة »، هذا كما قيل: أمدحهُ نقداً وبشئى نبيته، وانعرج عن شرائط اللذة، قال: أو فعل ما يقتضي الخروج عن الدين؛ وهذا موجود في كثير من الناس إذا عرته الحزن كفرأوا أو قال: ما يثارب السكر من انسحط والتروم ونادى.

(١) سورة الحجر ٥٥، وهي قراءة الأعشى ويحيى بن وهب، وانظر تصحيح القرطبي ١٠ - ٣٦.



قال : « يَصِفُ الْبِرَّةَ وَلَا يَتَّبِعُ ، وَبُئِالْبُخْلِ وَالْوَعْفَةَ وَلَا يَقْتَضِ » ، هذا هو المعنى الأول .

قال : « فَمَوْ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ ، وَمِنْ اسْمِلَ مُقِلٌّ » ، هذا هو المعنى أيضا .

قال : « يَنَافِسُ فِيمَا يَمْسَى » ، أى فى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَقَدْ آتَاهَا ، وَ « يُسَارِعُ فِيمَا يَنْقَرُ » أى فى اثْتِرَابِ .

قال : « يَرَى النُّفْسَ مَغْرَمًا ، وَالْعُرْمَ مَعْنَمًا » ، هذا هو المعنى الذى ذكرناه آنفا .

قال : « يَحْتَسِى الْمَوْتَ ، وَلَا يُبَادِرُ الْمَوْتَ » ، قد تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « يَسْتَعِظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَفْتَلِ أَكْثَرُهُ مِنْ مَعِيَةِ ... » ، وَإِلَى آخِرِ الْفَصْلِ كُلِّ مُكَرَّرِ الْمَعْنَى وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَلْفَاظُ ، وَذَلِكَ لِاخْتِدَارِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَيَادَةِ ، وَسَمِعَ مَادَّةَ الْبَطْنِ عِنْدَ ذَلِكَ .

(١٤٧)

الْأَمْرُ :

لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ .

\*\*\*

الْبَيِّنُ :

هكذا قرأناه ووجدناه في كثير من النسخ ، ووجدناه في كثير منها « لكل أمر عاقبة » ، وهو الأخير ، ومثل هذا المعنى نولم في انتل : لكل سائل قرار ، وقد أخذ العائى فقال :

فكانت لوعة ثم استغفرت كذالك لكل سائل قرار<sup>(١)</sup>

وقال الكمي في مثل هذا :

فأنا صيرت إلى أمية والأمر إلى مصير<sup>(٢)</sup>

فأما الرواية الأولى وهي : « لكل أمر عاقبة » في القرآن كثيرة ، نحو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ أَنْفُسَ إِلَّا بَدْرٍ قِيَمُهُمْ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَنْتَقِرُ الْإِنْسَانُ مَا سَمَى • وَبُرِّرَّتْ الْحَجِيمُ لِمَنْ يَرَى • مَا مِنْ ظَنَى • وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَلَى الْحَجِيمِ هِيَ النَّأْوَى • وَأَمَّا مَنْ حَابَ مَقْدَمَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى • فَبِئْسَ الْخِمَّةِ هِيَ النَّأْوَى﴾<sup>(٤)</sup> ، وغير ذلك من الآيات .

(١) ديوانه ٢ : ١٥٣ - (٢) الأما ١٥ : ١١١ (سأى) .

(٣) سورة هود ١٠٥ . (٤) سورة والشارحات ٣٥ - ٤١ .

(١٤٨)

الإصل :

الراضى يفعل قَوْمَ كَالَّذِي فِيهِ مَعَهُمْ ، وَعَلَى كُلِّ دَاحِلٍ فِي مَاطِلِهِ إِمَانٌ : إِنْهُمْ  
أَلْمَسُوا ، وَإِنْهُمْ الرِّسَالُ .

\*\*\*

الْبَرْخ :

لا فرقَ بين الرِّسَالِ والعمل وبين المُشَارَكَةِ فيه ؛ ألا ترى أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْعَمَلُ قَبِيحًا  
أَسْتَحَقَّ الرَّاضِيَ بِهِ الْقَتْلَ كَمَا يَسْتَحَقُّه الْعَامِلُ لَهُ ! وَإِنْ كَانَ بِسُرْعَى وَجْهَيْنِ : الْإِرَادَةُ ، وَتَرْكُ  
الْأَعْتِرَاضِ ، فَإِنْ كَانَ الْإِرَادَةُ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَسْتَحَقُّ الْقَتْلَ لِأَنَّهُ مُرِيدَ الْقَبِيحِ «عَلَى الْمُسْبَحِ» ، وَإِنْ  
كُلُّ زَكٍّ الْأَعْتِرَاضِ مَعَ الْعُدَّةِ عَلَى الْأَعْتِرَاضِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَسْتَحَقُّ الْقَتْلَ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ تَارِكُ  
الْعَمَلِ عَنِ الْمُسْكِرِ مَعَ ارْتِنَاعِ الْمَوَارِغِ يَسْتَحَقُّ الْقَتْلَ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَعَلَى كُلِّ دَاحِلٍ فِي مَاطِلِهِ إِمَانٌ » ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَهْلَ فِيهِ  
بِأَنَّهُ يَعْمَلُهُ حَقِيقَةً فَلَا شُكَّ فِي أَنَّهُ يَأْتِمُّ مِنْ حَقَّتَيْنِ :  
إِحْدَاهُمَا مَنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَرَادَ الْقَبِيحَ .

وَالْأُخْرَى مَنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَعَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : إِنَّ عِقَابَ الزَّادِ هُوَ  
عَذَابُ الْإِرَادَةِ .

وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ الرَّاضِيَ بِالْقَبِيحِ فَقَطْ يَسْتَحَقُّ الْإِمْنِ : أَحَدُهُمَا لِأَنَّهُ رَضِيَ بِهِ ، وَالْآخَرُ  
لِأَنَّهُ كَالْعَامِلِ ، فَنَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ نَيْسَ بِدَعْوِ الْقَبِيحِ حَقِيقَةً يَسْتَحَقُّ الْإِمْنِ مِنْ  
حِجَةِ الْإِرَادَةِ وَمِنْ جِهَةِ الْعَمَلِيَّةِ سَوَاءً ، فَوَجَبَ إِذْنُ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى  
الْوَحْيِ الْأَوَّلِ .

(١٤٩)

الأصل :

يَكُنْ مُقِيلَ إِدْبَارِ ، وَمَا أَذْيَرُ فَكَنْ لَمْ يَكُنْ .

• • •

الفتح :

هذا معنى قد استعمل كثيرا جدًا ، فنه البطل :

مَا طَارَ طَعْرٌ وَارْتَفَعَ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ

وقول الشاعر :

بِذَرِ الثَّلَاوُ مَكُونُ الْمَسُونُ وَإِيَّاكَ وَالرُّمَبَ الْمَالِيَةَ

وقال بعض الحكماء : حركة الإقفل بطيئة ، وحركة الإدبار سريعة ، لأن القفل

كالمساعد إلى مساقاة ، ومساقاة الدر كالقدوف ، من غل إلى أسفل ، قال الشاعر :

فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي هَذَا الرُّوْاقِ عَلَى هَذِي الرِّسَادَةِ كَلَنَ الْمَرْءُ « تَرَسًا

آخر :

إِنَّ الْأُمُورَ جَادَتْ رَوَالِهَا ضَلَاتُهُ الْإِدْبَارُ فِيهَا نَطِيرُ

وفي الخبر الرفوع : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله المصيبة لا تستقي ،

فجاء أعرابي على قموذ له فسقاها ، فاشتد على الصحابة ذلك ، فدل رسول الله صلى الله

عليه وآله : « إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَاسَمَهُ » .

وقال شيخ من همدان : انتهى أمي في الجاهلية إلى ذى الكلالع بهديا ، فسكنت

تحت قصره حولا لا أصل إليه ، ثم اشرف إثرافه من كوة له فخر له من حول  
العرش سجدا ، ثم رأيته بعد ذلك يحبس فقيرا يشترى اللحم ويسطه <sup>(١)</sup> خلف دابته ،  
وهو القائل :

أفٌ لَدُنِيَا إِذَا كَانَتْ كِدَا      أَمَا سَهَا فِي هُومٍ وَأَذَى  
إِنْ صَاعِيشُ امْرِئٍ فِي صُبْحِهَا      حَرَّعَتْهُ مِمِّيَا كُنُسُ الْقَذَى  
وَلَسْتُ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَسَ      أُمَمُ الْعَالَمِ عَيْشًا ؟ قِيلَ : دَا

وقال ضمن الأدياء في كلامه : بينا ههنا نرُصع بدرتها وتصرح <sup>(٢)</sup> برديتها ، وتلحف  
فضل حاحها ، ومرت بركوند رياحها ، إذ عطفت عطب الصروس ، وصرحت صراح <sup>(٣)</sup>  
الشموس ، وشنت عارة الهموم ، وأرأت ما حبت من التميم ، فالتعبد من لم يعتد شكايحها ،  
واستمدت لو شك طلائها .

شاعر — هو إهاب بن همام بن حنيفة الهامسي ، وكان غنائيا :

لَمَرُّ أَيْكَ فَلَا تَكْذِبْنِ      لَقَدْ ذَهَبَ الْحَبْرُ إِلَّا قَلِيلًا  
وَقَدْ فُقِيَ النَّاسُ فِي دِيهِمُ      وَحَلَّى ابْنُ عَدَا شَرَّ أَعْوِيلَا

وقال أبو المتاهية :

بَعْمُرُ يَتُّ بِحَرَابِ سُنِّ      يَمِيشُ حَيُّ بِرَاتِ مَيْتِ

وقال أس بن مالك : ما من يوم ولا ليل ولا شهر ولا سنة إلا والذي قبله حير منه ،  
صمت ذلك من تليكم عليه السلام ، فقال شاعر :

رَبِّ يَوْمٍ نَكَيْتُ مِنْهُ فَتَا      صَرْتُ فِي عِيَرِهِ بِكَيْتُ عَلِيَا

(١) يسطه ، أي يسقه . (٢) ب : « تصرخ » ، تحرف .

(٣) ب : « صرحت » تحريف .

قيل لبعض عطاء الكتاب بعد ما سُودِدَ : ما تُفَكِّرُ و زوالِ رِسْمِكَ ؟ فقال : لا بدَّ  
من الزوال ، فلأنَّ تَروْلَ وَأَتَى حَيْثُ مِنْ أُرْوَى وَتَقَى .  
ومن كلام الجاهلية الأولى : كلَّ مقبرٍ شَحِصَ ، وكلَّ زائِدٍ ناقص .  
شاعر :

إنما الدنيا دُولٌ فراحِلٌ قَبْلَ تَرْكٍ  
• إذ نازَلَتْ رِجْلٌ رَحَلٌ •

لما فَتَحَ حَلَدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَيْنَ التَّمْرِ سَأَلَ عَنِ الْخَوْفَةِ بَيْتَ السَّمَاءِ مِنَ الْمُنَدِّ ، فَتَنَاهَا  
وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا ، فَقَالَتْ : لَقَدْ طَلَعْتُ عَلَى الشَّمْسِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَدْبُغُ تَحْتَ الْخَوَرِ نَقْ  
إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ أَيْدِيهَا ، ثُمَّ غَرَبَتْ وَلَدَ يَرْجُفُنَا كُلَّ مَنْ يُلْمُ بِهِ ، وَمَا يَبْتَ دَخْلُهُ حَبْرَةٌ ،  
إِلَّا سَتَحِلُّهُ عَمْرَةً ، ثُمَّ قَالَتْ :

فَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرًا : دَاخِرٌ فِيهِمْ سُوْفَةُ تَنْصَعُ

فَأَبْرَ لَدُنَا لَا يَدُومُ تَجْمَعُهَا تَعَلَّ نَارَاتِ سَا وَتَصْرَفُ

وجاءها سَمْدُ بْنُ أَبِي وَفَاسٍ مَرَّةً ، فَدَرَّأَهَا ، قَالَ : فَأَتَى اللَّهَ عَزَّيَّ بْنُ زَيْدٍ ، كَأَنَّهُ  
كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا حَيْثُ قَالَ لِأَيُّهَا :

إِنَّ لِدَهْرٍ صَرَقَةً فَاحْذَرِيهَا لَا تَفِيقَ قَدَامَتَ الدَّهْورِ (١)

قَدْ بَايْتُ النَّسَى مُمَاتَى فَيَرْدِي وَلَقَدْ كَانَتْ آمِيًّا مَسْرُورًا

وقال مطرُفُ بْنُ الشَّخِيرِ : لَا تَعْبُرُوا إِلَى حُمْضِ عَيْشِ الثَّلُوكِ وَلَيْسَ رِيَابِهِمْ ، وَلَكِنْ  
انْطَرُوا إِلَى سُرْعَةِ ظَلَمِهِمْ وَسَوْءِ مُقْبَلِهِمْ ، وَإِنْ هُمْ رَاقِعُونَ بِسُوءِ رَحْبِ سَاحِلِهِ الْبَادِ  
لَعْمَرٍ مَشْهُومٍ عَلَى سَاحِلِهِ .

لما قَتَلَ عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَقَعَدَ عَلَى فَرَّاشِهِ ، فَقَالَتْ أَمَةُ مَرْوَانَ لَهُ :  
يَا عَامِرُ ، إِنَّ دَهْرًا أُرْوَى مَرْوَانَ عَى فُرُشِهِ وَقَعَدَكَ عَلَيْهَا كَتْمِغُفٍ يَصْطَلِكُ إِنْ عَقَلْتَ .

(١٥٠)

الأصل :

لَا يَتَمَّ الْعَبُورُ الطَّفَرَ وَإِنْ طَلَّ بِهِ الرِّمَانُ .

\*\*\*

الشرح :

قد تقدم كلامنا في الصبر .

وقال الحكماء : الصبرُ صَرْبَان : جسمي وسمي ، فالجسمي تحمُّلُ الشَّاقِّ بقدر

القوة ابدئية ، وليس ذلك بفضيلة تامة ، ولذلك قال الشاعر :

والصبرُ بالأدوارِ يُعرفُ فضله صبرُ الملوكِ وليس بالأخسارِ

وهذا النوع إما في الفعل كالشي ورَفَعَ الحجرَ أو في دفع الاعمال كالصبر على المرض

واحتيال الضرب المُعْطِيع . وأما السميّ فيه بعلق التعصبة ، وهو صَرْبَان : صبرٌ عن

مشتغى ، ويقال له : مَبَّة ، وصبرٌ على تحمل مكروه أو محب . وتختلف أمثاله بحسب

اختلافِ مواقفه ، فإن كان في رول مصيبة لم يتعدّ به اسم الصبر ، وبصاذه الخزع والخلع

والخرن ، وإن كان في احتيال المعنى متى حسد انفس ، وبصاذه البطر والأشر والزفع

وإن كان في محاربة متى شجاعة وبصاذه الخس ، وإن كان في إسالك انفس عن فساد

وطر العصب متى حُلماً ، وبصاذه التصر والاشتياطة ، وإن كان في مابئة مضجرة متى

سعة صدر ، وبصاذه الصخر وصيق العطن والتبرم ، وإن كان في إسالك كلامي في الصبر

متى كتمان السر ، وبصاذه الإفشاء ، وإن كان عن فصول الفيش متى قناعة وزهدا

وبصاذه الخرص والشره . فهذه كلها أنواعُ الصبر ، ولكن اللفظ الغرقي واقع على الصبر

الجنساني ، وعلى ما يسكون في نزول اللص ، وتعدد<sup>(١)</sup> باقي الأنواع بمئات تحصيلها .

(١٥١)

الْأَسْلُ :

مَا احْتَلَفَتْ دَعْوَانَا إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا صَلَاحًا .

• • •

الْمُبْدُح :

هذا عند أصحابنا محتملٌ باختلاف الدعوة في أصول الدين ، ويدخل في ذلك الإمامة ، لأنها من أصول الدين ، ولا يجوز أن يختلف قولان متعادلان في أصول الدين فيسكوا صواباً ، لأنه إن قسّى بالصواب مطابقة الاعتقاد للخارج ؛ فتستحيل أن يكون الشيء في نفسه ثابتاً مطلقاً ، وإن أراد بالصواب سقوط الإثم — كما يحكى عن عقيد بن الحسن القنبري — فإنه حمل اجتهاد المجتهدين في الأصول عُدراً ، فهو قولٌ مسوق بالإجماع .

ولا يحمل أصحابنا كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام على عموميه ، لأن المجتهدين في فروع الشريعة وإن اختلفوا وتصادت أقوالهم ليسوا ولا واحد منهم على ضلال ، وهذا مشروحٌ في كُتُبنا الكلامية في أصول الفقه .



(١٥٢)

الأصل :

مَا كَذَبْتُ وَلَا كُنْتُ ، وَلَا سَلَّتُ وَلَا صَلَّيْتُ .

\*\*\*

الشرح :

هذه كلمة قد قالها مرارا ، إحداهن في وقعة السهوان .

وكذبت بالضم أُحِيرْتُ بحرف كلب ، أي لم يحضرني رسول الله صلى الله عليه وآله  
عن المحدث حراً كاذباً ، لأن أحارمه صلى الله عليه وآله كلها صادقة .

وصلني ، بالهمزة نحو ذلك ، أي لم يصلني مصدق عن الصدوق والحق ، لأنه كل يستفيد  
في أحارمه عن الميوسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو منزه عن إضلاله وإخلال أحد  
من المكتمين .

فكانه قال لما أخبرهم عن المحدث<sup>(١)</sup> وإطاء ظهوره لهم : أنا لم أكذب عن رسول الله  
صلى الله عليه وآله ، ورسول الله صلى الله عليه وآله لا يكذب فيما أخبرني بوقوعه ، وإذا لا بدت  
من نشركم بالمحدث فاطمونه .

(١) المحدث : قالس اليه ؛ وهو ذو الكمية .

(١٥٣)

الْأَبْصُلُ :

لَطَّالِمِ الْبَادِي عَدَا يَكْمُهُ عَمَّةٌ .

• • •

الْبَسُخُ :

هذا من قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَمْسُحُ الطَّلِيمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وإنما قال : « للبادي » لأن من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه . ومن أمثلهم : البادي أحلم .  
فإن قلت : فإذا لم يكن نادياً لم يكن طالماً ، فحق حاجة له إلى الاحتراز بقوله :  
« البادي » ؟

قلت : لأن العرب تطبق على ما يقع في مقابلة الظلم اسم « الظلم » أيضاً كقوله تعالى .  
﴿ وَجَرَّاهُ سَيْتَرٌ سَيْتَرٌ مِثْلَهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة الفرقان ٢٧ . (٢) سورة النور ٤٠ .

(١٥٤)

الأصل :

الرَّحِيلُ وَشَيْكُ .

• • •

الْيَسْخُ :

الوشيك : السريح ، وأراد بالرحيل هنا الرحيل عن الدنيا وهو الموت .

وقال بضم الحاء : قل وجود الإنسان عدم لا أول له ، وسدده عدم لا آخر له ،

وما شئت وحوذه العليل<sup>(١)</sup> التامحى بين المميين غير المتناهيين إلا برقى بحلف حطنة

خميعة<sup>(٢)</sup> في ظلام مُمتكر ، ثم يحمد ويمد الظلام كما كان .

---

(١) ا : « الوجود القليل » . (٢) ا : « يسيرة » .

(١٥٥)

الأصل :

مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْعَقْرِ هَكَ .

• • •

الشرح :

قد تقدم تفسيرنا لهذه الكلمة في أول الكتاب ، ومعناها : مَنْ نَادَى اللَّهَ وَحَارَرَهُ  
هَكَ ، يقال لمن حالف وكاشف : قد أبدى صفحته

.....

(١٥٦)

الأصل :

اسْتَمِصُوا بِالْذِّمِّ فِي أَوْنَارِهَا .

• • •

الشرح :

أى فى مقامها وى مركزها ، أى لانسيدوا إلى ذم الكافرين والبارقين ، فإنهم ليسوا أهلا للاستمصام بدميهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوَازِينٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ ﴾<sup>(١)</sup> . وقال : ﴿ إِنْهُمْ لَا أَيْتَارُ هُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذه كلمة قلها بعد انقضاء أمر الجرح وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليُنايموه ، منهم مروان بن الحكم ؛ فقال : وماذا أصعب ببيعتك ؟ ألم تُبَايَعْنِي بِالْأَمْسِ ! يعنى بعد قتل عثمان ، ثم أمر بإخراجهم ورفع راسه عن سايمة أمثالهم ، وتكلم بكلامه ذكر فيه دمام المريبة ودمام الإسلام ، وذكر أن من لا دين له فلا دمام له .

ثم قال فى أثناء الكلام : « اسْتَمِصُوا بِالذِّمِّ فِي أَوْنَارِهَا » ، أى إذا صدرت عن ذوى الدين ، فن لا دين له لا عهد له .

(١٥٧)

الأصل :

عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعَدُّوْنَ فِي جَمَاعَتِهِ .

• • •

الشرح :

يعني منه عليه السلام ؛ وهو حق على المؤمنين جميعا ، أما نحن فنستدما أنه إمام واجب الطاعة للاختبار ، فلا يُعَدَّر أحدٌ من السكّين في الجهل بوجوب طاعته ، وأما على مذهبه الشيعة فلا إمام واجب الطاعة بالنسبة ، فلا يُعَدَّر أحدٌ من السكّين في جمالة إمامته ، وعندما أن معرفة إمامته تجري على معرفة محمد صلى الله عليه وآله وتجرى معرفة الباقي سبحانه ، ويقولون : لا نصح لأحد صلاة ولا صوم ولا عبادة إلا بمعرفة الله والنبي والإمام .

وعلى التحقيق ، فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى ، لأن من جهل إمامة علي عليه السلام وأسكر صحتها وزومها ، فهو عند أصحابنا مخير في النار ، لا ينفعه صوم ولا صلاة ، لأن المعرفة بذلك من الأصول السكّية التي هي أركان الدين ، ولكنا لا نسمي مُنكر إمامته كافرا ، بل نسميه «سقا» ، «ملوحيا» ، «مارقا» ، ونحو ذلك ، والشيعة تسميه كافرا ، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم ، وهو في البسط لا في المعنى .

(١٥٨)

الأصل :

مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مِنْهُ أُرَيْتُهُ .

• • •

الشرح :

أى من أعلمته ، ويحب أن يُقدّر هـ هنا معمول محدود ، أى منذ أُرَيْتُهُ حقاً ، لأن « أَرَى » يتمدّد إلى ثلاثة مفاعيل ، تقول : أَرَى اللهُ زَيْدًا مَعْرُوفًا خَيْرَ النَّاسِ ، فإذا سبّته للمعمول هـ قام واحدٌ من الثلاثة تقدم المفاعيل ووجب أن يؤتى بمولين غيره ، تقول : أُرَيْتُ زَيْدًا خَيْرَ النَّاسِ ، وإن كلَّ أشارَ بالحقِّ إلى أمرٍ مُشاهد بالهـ لم يَحْتَجْ إلى ذلك ، ويحور أن يصرى بالحقِّ الله سبحانه وتعالى ، لأنَّ الحقَّ من أمثاله عرّ وحلّ ، فيقول : منذ عرفتُ الله لم أشكّ فيه ، ونكوب الرؤية بمقتضى المعرفة ، فلا يحتاج إلى تقدير معمولٍ آخر ؛ وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَآخِرَى مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِهِ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ أى لا تعرفونهم ، الله يعرفهم ، والمراد من هذا الكلام ذكرُ نعيمِ الله عليه و أنّه منذ عرّف الله سبحانه لم يشكّ فيه ، أو منذ عرف الحقَّ في المقائد الكلاميّة والأصوليّة والفقهيّة لم يشكّ في شيء منها ؛ وهذه مَرَيَّةٌ له طامعة على غيره من الناس ، فإنّ أكثرهم أو كلّهم يشكّ في الشيء بعد أن عرفه وتمتّوره الشبهة والوساوس ويُرْآن على قلبه وتختلجُه الشياطين مما أذى إليه نظره .

(١) سورة الأعراف ٦٠ .

وقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وآله لما نَمَتَه إلى الجن قاصياً ضَرَبَ على صدره وقال : « اللهم اهدِ قلبه ، وثبَّتْ لسانه » ، فكان يقول : ما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين .

ورُوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قرأ : ﴿ وَتَعْمَبَا أُدُنُّ وَاعْيَبَا ﴾ <sup>(١)</sup> قال : « اللهم اجعلها أدُنَّ عليَّ » ، وتعليل له : « قد أحيتُ دعوتك » .

---

(١) سورة المائدة ١٢ .



(١٥٩)

الْأَمَلُ :

وَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَصْرْتُمْ ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ .

\*\*\*

الْبُخْرُ :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا نُمُودُ فَبَدِّبْنَاهُمْ فَأَسْتَخِرُوا السَّمَاءَ عَلَى الْهُدَى ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٢) .

وعال بعض الصالحين : ألا إنهما نَجْدَا الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ ، فعمل نَجْدَ الشَّرِّ أحب إليكم من نَجْدِ الْخَيْرِ .

قلت : النَجْدُ : الطريق .

واعلم أن الله تعالى قد نَصَّ الْأَدِلَّةَ وَمَكَّنَ الْمَكَّافَ ، أَوْ كَمَّلَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ مِنَ الْهَدَايَةِ ، فَإِذَا صَلَّيْنَا قِيْلَ عَلَيْهِ أَنَّى .

وقال بعض الحكماء : الذي لَا يَقْضِي الْحِكْمَةُ هُوَ الَّذِي صَلَّيْنَا عَلَيْهَا لَيْسَتْ هِيَ الصَّالَةِ عَنْهُ .

وقال : متى أَحْسَمْتَ بِأَنْتَ قَدْ أَحْبَبْتَ وَأَرَدْتَ أَلَا تُمُودَ أَيْضًا فَتُحْطَى فَتُطْرَقَ إِلَى أَصْلِهِ فِي تَسْكٍ حَدَّثَ عَنْهُ ذَلِكَ الْخَطَأُ ، فَاحْتَرَى قِيْلَ ، وَذَلِكَ إِنْ لَمْ تَعْمَلْ ذَلِكَ حَادِثَتْ حَقْلًا آخَرَ . وكان يقال : كَأَنَّ الْإِبْدَنَ الْخُلَى مِنَ النَّفْسِ تَمُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ النَّفْسِ ، كَذَلِكَ النَّفْسُ الْحَالِيَةُ مِنَ الْحِكْمَةِ ؛ وَكَأَنَّ النَّفْسَ الْحَالِيَةَ مِنَ النَّفْسِ لَيْسَ يَحْسُ ذَلِكَ بِالْإِبْدَنِ

بل الذين لم حينُ يُحْسِنُوهُ به ، كذلك النفس المدبجة للحكمة ليس تحسَّ به تلك النفس ،  
بل يُحَسِّسَ به الحكاء ؛ وقيل لبعض الحكماء : ما بالُ الناسِ صآوا عن الحقِّ ؟ أأقول :  
إنهم لم تُخلَقْ فيهم قوَّة مَعرِفَةٍ ؟ فقال : لا ، بل حُفِّقَ لهم ذلك ، ولكنهم استمَلُّوا  
تلك القوَّة على غير وجهها ، وفي غير ما خُبِّقَتْ له ، كالسِّمِّ تدفَعَه إلى إنسانٍ لِيَقْتُلَ به  
عدوَّه فَيَقْتُلُ به نفسه .

(١٦٠)

الأصل :

عَاتِبْ أَهْلَكَ يَا إِحْسَانَ إِنِّيهِ ، وَأَرُدُّ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ .

\*\*\*

الشرح :

الأصل في هذا قول الله تعالى : ﴿ دَفَعُ بَاقِي هِيَ أَحْسَنُ فَيَا الَّذِي يَسْكُ وَبَنَهُ عَدْلَهُ كَانَهُ وَلِيٍّ حَمِيمٍ ﴾ (١) .

ودوي الردى " الكامل ، عن ابن عائشة ، عن رجل من أهل الشام ، قال : دخلتُ الدسة ، فرأيت رجلاً راكناً على ناقة ، أر أحسنَ وَحُهَا وَلَا تَوْنًا وَلَا سَمًا وَلَا دَانَةً مِنْهُ ، قَالَ قُلِي إِلَيْهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَامْتَلَأْتُ لَهُ مَضْعَاءً ، وَحَسَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ابْنٌ مِثْلُهُ ، فَصَرْتُ بِهِ وَهْتُ لَهُ : أَمْتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؟ هَالِ : أَمَا ابْنُ ابْنِهِ ، قُلْتُ : بَلْكَ وَأَبْنَيْكَ أَفَلَا يَفْضِي كَلَامِي قَالَ : أَحْسَنُكَ عَرِيبًا ؟ قُلْتُ : أَجَلٌ ، قَالَ : فَعِلْ مَا ، فَبِزْ احْتَحْتُ فِي مَنْزِلِ أَرْسَالِكَ ، أَوْ إِلَى مَالِ وَاسْتَبَاكَ ، أَوْ إِلَى حَافِرِ عَوْنِكَ .

فَانصَرَفْتُ عَنْهُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ (٢) .

وقال محمود الورثاني :

وَعَرَفْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عَمْرِ	إِنِّي شَكَرْتُ لِعَالَمِي طَنِي
وَرَأَيْتُهُ أَهْدَى إِلَيَّ بِدَا	لَمَّا أَبَانَ بِمُحَمَّدٍ حِنِي
رَجَعْتُ إِسَاءَتَهُ عَلَيْهِ وَإِجِدَ	سَاقِي فَعَادَ مُضَاعَفَ الْحَرَمِ

(١) سورة فصلت ٣٤ . (٢) الكامل ٢ : ٦٠٥ .

وَعَدَوْتُ ذَا أَحْمَرَ وَعَمَدَةً      وَقَدْ أَبْكَسَ الظُّلَمُ وَالْإِمَامُ  
فَكَانَا الْإِحْسَانُ كُنْ لَهُ      وَأَمَّا الْمُسَىءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ  
مَا زَالَ يَطْلُبُنِي وَأَرْحَمُهُ      حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلَمِ

قال البرد : أخذ هذا المسمى من قول رجل من فريش قال له رجل منهم : إني مررتُ  
بآل فلان وهم يشتُمونك شتْمًا رَجِمْتُكَ منه ؛ قال : أفسِمَتَنِي أقول إلا خيراً ! قال : لا ،  
قال : إياهم فارحم<sup>(١)</sup> .

وقال رجل لأبي بكر : لَأَشْتُمَنَّكَ شتْمًا يَدْخُلُ مَعَكَ فَبَرَكْتَ ، فقال : مَعَكَ والله  
يَدْخُلُ ، لَا مَسِيَ<sup>(٢)</sup> .

(١٦١)

الأفضل :

مَنْ وَصَحَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَبُوءُ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

\*\*\*

البَّخِيخُ :

رَأَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا فِي دَرَجٍ مِنْ دُرُوبِ الْمَدِينَةِ  
وَمَعَهُ امْرَأَةٌ فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَوَزَهُ ، دَامَ فَقَالَ : هَذِهِ رَوْحِي فَلَانَةٌ ،  
قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَيْكَ يُطْرَقُ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ  
الَّذِينَ » .

وَحَدَّثَ فِي الْحَدِيثِ الرُّفُوعُ : « دَفَعَ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ » .

وَقَالَ أَيْضًا : « لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَبْرُكَ مَا لَا أَمْسَ بِهِ » .

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَثَلُ شَاعِرًا فَقَالَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَلُوطُ قَتْلًا      هَذَا الْقَرْطَنُ وَاقِفًا مَا يَصْنَعُ !  
شَهِدْتُ مَلَاخَتَهُ عَلَيْكَ رَبِيَّةً      وَعَلَى الرَّبِّ شَوَاهِدٌ لَا تُدْفَعُ

(١٦٣)

الأصل :

مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ .

• • •

الشرح :

المعنى أن الأعلب وكل ملك يستأثر على الرعية بالمال والمرء والخاء .

ونحو هذا المعنى قولهم : مَنْ عَلَّ سَلَبٌ ، ومن مرَّ يَرَّ .

ونحوه قول أبي الطيب :

والعلم من شيم النفوس فإن تعدَّ ذا عفة فليست لا يعلم<sup>(١)</sup>

(١٦٣)

الأصل :

مَنْ اسْتَعْدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكًا ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجُلَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

• • •

الشرح :

قد تقدم لنا قولُ كُوفٍ في الشُّورَةِ مدحا وذما .

وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشمي يذمُّها ويقول : ما استشرتُ واحدا قط إلا تَكَرَّرَ عليّ وتصارعتْ له ، ودحتني اليزَّةُ ودخنتني الذَّكَّةُ ، فبُيَاكُ وَالشُّورَةُ وَإِنْ صَافَتْ عَلَيْكَ الْمَدَاهِجُ ، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيْكَ السَّائِلُ ، وَأَذَاكَ الْإِسْتِبدَادُ إِلَى الْخَطَا الْعَاقِبِ .

وكان عبدُ الله بنُ طاهر يذهب إلى هذا الذَّهَبِ ، ويقول : مَا حَكَ حِلْدُكَ مِثْلَ ظُفْرِكَ ؛ وَلَئِنْ أَحْطَى بِمَعَ الْإِسْتِبدَادِ أَلْفَ خَطَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْتَشِيرَ وَأَرَى بَيْنَ النَّفْسِ وَالْحَاجَةِ .

وكلُّ يقال : الاستشارة إداعة السرِّ ، ومحاورة بالأمر الذي ترومه بالمشاورة ، فربُّ مستشارٍ أذاعَ عنك ما كان فيه فسادٌ تديرُك .

وأما المادِّحون للشُّورَةِ فكثيرٌ جدًّا . وقالوا : حاطرٌ مَنْ اسْتَعْدَّ بِرَأْيِهِ .

وقالوا : الشُّورَةُ راحةٌ لك ، وَتَسْبٌ عَلَى غَيْرِكَ .

وقالوا : مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الشُّورَةِ لَمْ يَعْدَمْ عِنْدَ النَّصِيبِ مَادِحًا ، وَعِنْدَ الْخَطَا عَاقِبًا .

وقالوا : السعشير على طَرْف النَجَاح ، والاستشارة مِنْ عَزَمُ الأمور .  
 وقالوا : الشُّورَةُ لِقَاحُ العقول ، ورائد الصواب .  
 ومن المفاظهم البديعة : ثَمَرَةُ رَأْيِ الشُّبْرِ أَحْلَى مِنْ الْأَرْنِي الشُّورِ<sup>(١)</sup> .  
 وقال بَشَّار :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ التَّمْصِيحَةَ فَاسْتَمِنْ      بِمَزْمٍ نَعِيحٍ أَوْ مَشُورَةٍ حَازِمٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا تَجْمَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ عَفَاضَةً      مِنْ الْخَوَالِقِ عُذَّةً لِلنَّسَوَادِمِ

---

(١) الْأَرْنَى : المثل ، ولتصور : السَّعِيرُ . شَرْتُ أَسْلَى : استغفره .  
 (٢) شرح مختار بشار ٣١٢ .



(١٦٤)

الإضل :

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَاتَبَ الْخَبْرَةَ فِي يَدِهِ

• • •

البنخ :

قد تقدّم القول في السرّ والأمر مكتناه ؛ ونذكرها هنا أشياء أخر .

من أمثالهم : مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ لَحْيَيْهِ :

دنا رجلٌ من آخر فسارّه ، فقال . إن من حس السرّ النداق .

كل مالك بن يسمع إذا سارّه إسرائاً قال له : أظهره ، فلو كان فيه خيرٌ لما كان

مكتوما .

حكيم يؤمى أبه : يا بُنَيَّ كُنْ جَوَاداً بِلِسَالٍ في موضع الحقّ ، صديقاً بالأمرار عن

جميع الحق ، فإن أحمد خُود الرء الإفاق في وجهه انبر .

ومن كلامهم : سِرُّكَ مِنْ دِمَاكَ ، فوذا تسكّمت به فقد أرفقته .

وقال الشاعر :

فَلَا تُفْشِرْ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ مِنْ لِسَلٍّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ عُسْوَةَ الرَّحَالِ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا !

وقال عمر بن عبد العزيز : اغلوب أَوْعِيَةَ الأسرار والشّعاء أقفالها ، والألسن مفاتيحها

فليحفظ كلُّ امرئ مفتاح سِرِّه .

وقال بعض الحكماء : مَنْ أَفْشَى سِرِّهِ كَثُرَ عَلَيْهِ التَّائِبُونَ .

أَمَرَ رجل إلى صديق<sup>(١)</sup> سرّاً ثم قال له : أفهنت ؟ قال له : بل جهلت ، قال :  
أحفظت ؟ قال : بل نسيت .

وقيل لرجل : كيف كتمانك السر ؟ قال : أحصد الخبر ، وأحلف للمستحبر .  
أنشد الأصمعي قول الشاعر :

إِذَا حَاورَ الْإِنْسَانُ سِرّاً فَلَهُ      بَسْتُ وَنَسَكْتِ الْوُشَاةَ قَبِيحُ<sup>(٢)</sup>  
فقال : والله ما أَرَادَ بِالْأَشِينِ إِلَّا الشَّعَتَيْنِ .

---

(١) ١ : صدقه \* . (٢) قبي : خليق .

(١٦٥)

الأصل :

الْفَرُّ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ .

• • •

البشرح :

في الحديث المروى : « أشفق الأشقياء من جُحِش عليه فقرُّ الدنيا وعباد الآخرة » .

وَأَفَى بُرْزُجِيمِهِ قَتْرٌ حَاهِلٌ ، فقال : شبه اخضع على هذا الناس : قَتْرٌ يَمُصُّ دِيَمَهُ  
وَحَاهِلٌ يُعِيدُ آخِرَتَهُ .

شاعر :

حُيِقَ الْمَالُ وَبَسَّارُ نَفْسِهِ وَأَرَانِي حُنَيْتُ الْإِبْلَاقِ

أَنَا فِيهَا أَرَى سَمِيَّةً قَوْمِ حَيَاقُوا نَعْدَ بَسْمَةِ الْأُورَاقِ

أَحَدَ السَّيَاسِيِّ هَذَا الْمَنَى ، ضَالٌ فِي قَصِيدَتِهِ اطَّلُوبَةُ الْمَرْوُفَةِ بِالسَّاسِيَةِ :

لَيْتَ شِعْرِي لَمَّا بَدَأَ بِقَسَمِ الْأَرْقِ فِي أَيٍّ مَطْلُوقٍ كُنْتُ<sup>(١)</sup>  
قَرِيٌّ عَلَى أَحَدِ حَارِسِي دِينَارٍ :

قُرْنَتْ بِالشَّجْحِ وَبِى كُلُّ مَا بَرَادٌ مِنْ مَحْتَمَرٍ يُؤَحِّدُ  
وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ :

وَكَلَّ مِنْ كَتُّهُ لَهْ أَلَمًا قَالِيسُ وَالْحَنِّ لَهْ أَعْبُدُ

وقال أبو الدرداء : مَنْ حفظ ماله فقد حفظ دِينَهُ وعِرْسَهُ .

بمضهم :

وإذا رأيتَ صعوبةً في مطلبٍ      فمن صعوبة على الدينارِ

زُددَه كالطَّهْرُ الدُّنُولُ فإنه      حجرٌ يليقُ قوَّةُ الأخْصَارِ

ومن دعاء السَّكَمِ : اللهم إني أعوذ بك من دُلِّ الْفَقْرِ وطرَّ النَّسَى .



(١٦٦)

الأصل :

مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ قَدْ عَدَّه .

\*\*\*

التبنيح :

عَدَّه بالتشديد ، أى أخذه عَدًا ، فقال : عَدَّه واستعده بمعنى واحد ؛ والمعنى بهذا الكلام مَدَّحُ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ ، أى من فعل ذلك بإسناد فقد استعد ذلك الإنسان لأنه لم يعمل معه ذلك مكافأة له عن حق قصاه إيَّاه ، بل فعل ذلك إساماً مستدأ ، فقد استعده بذلك<sup>(١)</sup> .

وقال الشاعر في تقيض هذه الحال بمخاطب صاحبه :

كُنْ كَأَنَّ لَمْ تَلَا فِي قَطْرٍ أَيْهَا سِرٌّ وَلَا تَجْمَرْ دِرْكَائِي شَوْفًا  
وَتَيْفَنَ بَأْسِي غَسْبِرُ رَاهُ لَكَ حَقًّا حَتَّى تَرَى لِي حَقًّا  
وَنَائِي مَفْرُوقٌ أَلْفَ سَهْمٍ لَكَ إِنْ فَوَّقْتَ بِمِثْلِكَ فَوْفًا

(١٦٧)

الأصل :

لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

• • •

الشرح :

هذه الكلمة قد رويت مرفوعة ، وقد جاء في كلام أبي بكر : أطيعوني ما أطعت الله ؛ فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .

وقال معاوية لشداد بن أوس : قم فادكر علياً « تنقمه »<sup>(١)</sup> ؛ فقام شداد فقال : الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده ، وحمل رسامه على أهل التقوى آثاراً من رضا غيره ، على ذلك مضى أولهم ، وعليه مضى آخرهم . أيها الناس ، إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر وإن الله يأكل طاهر ، يأكل من البر والخير ، وإن السامع الطبع لله لا حجة عليه وإن السامع الماصي لله لا حجة له ، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وإذا أراد الله بالناس خيراً استعمل عليهم سحاهم ، وقضى بينهم قضاؤهم<sup>(٢)</sup> ، وحمل المال في مستحباتهم ، وإذا أراد بالعماد شراً عمل عليهم سحاهم ، وقضى بينهم حلالاً ، وحمل المال عند تخطائهم . وإن من إصلاح الولاء أن تصبح قريها . ثم اتفقت على معاوية فقال : تصحك يا معاوية من أسخطك بالحق ، وعشك من أركاك بالباطل ! فقطع معاوية عليه كلامه ، وأمر بإزاله ، ثم لطفه وأمر له بحال ، فلما قصه قال : أئت من استعاه الذين ذكرت ؟ فقال : إن كان لك مال غير مال المسلمين أصنته حلالاً ، وأعفته إعمالاً صم ، وإن كان مال المسلمين احتجته دونهم أصبتته اقترافاً ، وأعفته إسراراً ، فإن الله يقول : ﴿ إِنَّ التَّائِبِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) لى د « وتنقمه » وهو مستقيم أيما . (٢) لى د « قضاؤهم » .

(٣) سورة الإسراء ٢٧ .

(١٦٨)

· الأفضل :

لَا بُمَابُ أَمْرِهِ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ ، إِنَّمَا يُعَذِّبُ مَنْ أَحَدَمَ مَا لَيْسَ لَهُ .

\*\*\*

الْبَيِّنَةُ :

لعل هذه الكلمة قلها في جواب سائل سأل . لِمَ أَحَرَّتْ الطَّائِفَةُ عَمَّكَ مِنَ الْإِمَامَةِ ؟  
ولا بدَّ من إظهار شيء في الكلام على قولنا وهو قول الإمامية ، لأنَّ معنى يقول : الأمرُ حَقُّهُ  
بالأفضلية وهم يقولون : إنه حَقُّهُ بالنسبة ، وعلى كلاً التصديق فلا بدَّ من إظهار شيء في  
الكلام ؛ لأنَّ لفظة أن يقول له عليه السلام : لو كان حَقُّكَ من غير أن يكون نفسك من  
فيه نصيبٌ لحار ذلك أن يؤخَّرَ كالذين أدى يستحقُّ على ريد ، بحور لك أن تؤخَّرَ لأنه  
حاصلٌ لك وَحْدَكَ ؟ فأما إذا كان للكافرين فيه حاجةٌ ماسةٌ لم يكن حَقُّكَ وحده ؟ لأنَّ  
مصالح المكلفين مموطةٌ بإماميتك دون ممانع غيرك ، فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحةُ  
الكافرين ؟ فإذاً لا بدَّ من إظهار شيء في الكلام . وتقدِّره : لَا بُمَابُ الْمَرْءِ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ  
إذا كان هناك مانعٌ عن ملَّته ، ويستقيم معنى حينئذٍ على الدَّهْبِيِّ حَيْثُ ، لأنه إذا كان هناك  
مانعٌ جارٍ لتقديم غيره عليه ، وحار له أن يؤخَّرَ طلبَ حَقِّهِ خوفاً الفتنه ، والكلام في هذا  
الموضع مُستقصًى في نصايغنا في علم الكلام .

(١٦٩)

الأفضل :

الأفضلُ يَمْنَعُ مِنَ الْإِرْدِيَادِ .

• • •

الْبُزْخُ :

قد تقدم لنا قولُ مُقْبِسٍ في المُنْعَبِ ! وإعاقن عليه السلام : « يمنع من الإردباد » لأنَّ المُنْعَبَ سمه طائرٌ لأنه قد بلغَ المَرَضَ ، وإنما كُتِبَ الإردَادَ مَنْ يَسْتَشِيرُ التَّعْصِيرَ لَا مَنْ يَشْغِلُ الكَالُ ، وحقيقة المُنْعَبِ طائرُ الإنسانِ سميه استحقاقَ مَرَلَةٍ هو عَمِيرٌ مستحقٌّ لها ؛ ولهذا قال بعضهم لرجلٍ رآه مَجْنُونًا سميه - يَرْتَوِي أَنْ أَكُونَ عِنْدَ النَّاسِ مِثْلَكَ في شَيْءٍ ، وَأَنْ أَكُونَ عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَكَ عِنْدَ النَّاسِ ، فتمتلى حقيقة ما يقدره ذلك الرجل ، ثمَّ عَمِيَ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بعيوبِ نفسه ، كما يَعْرِى النَّاسُ عيوبَ ذلك الرجلِ المُنْعَبِ سمه .

وقيل للحسن : مَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ يَرَى أَنَّهُ حَبِيرٌ .

وقال بعض الحكماء : الكاذب في حياته سُمُرٌ مِنَ الْقَصْلِ ؛ وَالرَّأْيُ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْكَاذِبِ ، لِأَنَّهُ يَكْذِبُ صَاحِبًا ، وَدَائِمٌ يَكْذِبُ قَوْلًا ، وَالْقَوْلُ أَكْثَرُ مِنَ الْقَوْلِ ؛ فَأَتَمَّ الْمُجَبِّ بِنَفْسِهِ فَأَسْوَأُ حَالًا مِنْهَا ، لِأَنَّهُمَا يَوْبَانِ نَقَصَ أَمْرُهُمَا ، وَيُرِيدَانِ إِحْيَاءَهُ ، وَالْمُجَبِّ بِنَفْسِهِ قَدْ نَحِيَ عَنِ عِيُوبِ نَفْسِهِ هَرَأَهَا مُحَاسَنًا وَبُذْرِيهَا .

وقال هذا الحكميُّ أيضًا : ثُمَّ إِنَّ الرُّقِيَّ وَالْكَاذِبَ قَدْ يُنْتَمِعُ بِهِمَا كَمُتْلَحٍ حَافٍ



رُكَّابُهُ الْفَرَقَ مِنْ مَكَانٍ يُخَوِّفُ مِنَ الْحَرِّ ، فَتَشْرَمُ بِتَحَاوُزِهِ قَبْلَ أَنْ يَجَاوِزَهُ ثَلَاثًا  
يَضْطَرُّوْنَ أَنْ يَتَجَبَّلَ عَرَقُهُمْ .

وَقَدْ يُحَمَّدُ رِيَاءَهُ الرَّئِيسَ إِذَا قَعْدَأُ بُتْقَدَى فِي وَجْهِهِ الْحَيْرَ ، وَأُتْجِبَ لَا حِطَّ لَهُ  
فِي سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْخَمْدَةِ بِحَالِهِ .

وَأَمَّا فَلَانُكَ إِذَا وَعَطَتْ الْكَادِبَ وَتَرَأَى فَمِنْهُمَا صِدْقَكَ وَتَتَلَبَّاهُمَا لِمَرْقَبِهِمَا  
سَعِيمًا ، وَالْمَحَبَّ فَيَحْبِلُهُ سَمِيهِ بِطُثْ فِي وَقْفَةِ لَاعِيَا ، فَلَا يَنْتَعِ بِعَدْلِكَ ، وَإِلَى هَذَا  
الْمَعْنَى أَشَارَ سَبْحَاهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ قَالَ سَبْحَانَهُ :  
﴿ فَلَا تَدْعُ نَفْسٌ عَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، نَسَبًا عَلَى آثَمِهِمْ لَا يَقْبَلُونَ لِإِعْجَابِهِمْ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثَلَاثُ مُرْسَلَاتٍ : شَجْعٌ مُطَاعٌ ، وَهَرَى مُتَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ  
بِنَفْسِهِ .

وَقَالَ الْفَلَّاحُ : بَيْنَ بِلْسَانٍ قَدْ إِذَا عَثَرْتُ مِنْ أَسَى آدَمَ ثَلَاثٌ لَمْ أَطَأْ بِهِنَّ مَعْرِيهَا : إِذَا  
أُتِجِبَ نَفْسِي ، وَاسْتَكْتَرَ عَمَلِي ، وَفَسَى وَتَوَكَّلْتُ .

وَقَالَتِ الْحَكِيمَا : كَأَنَّ الْمُحِبَّ مَرَّسَهُ لَا يَرُومُ أَنْ يَسْتَنْدِلَ بِهِ غَيْرَهُ ، كَذَلِكَ الْمُحِبُّ  
نَفْسَهُ لَا يُرِيدُ بِحَالِهِ بَدَلًا ، وَإِنْ كَانَتْ رَدِيثَةً .

وَأَصْلُ الْإِعْجَابِ مِنَ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ ، وَفَدْفَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « حُبَّكَ الشَّيْءُ  
يُمَيِّزُ وَيُفَيِّمُ » ، وَمِنْ قَبِيٍّ وَصَمَّ نَعْدَرُ عَلَيْهِ رُؤْيَا عُيُوبِهِ وَصَحَّاحُهَا ، « ذَلِكَ وَجِبَ عَلَى  
الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَفْسِهِ عُيُوبًا مَعْرُوفَةً عُيُوبَهُ ، بِحَوْلٍ مَا قَالَهُ عَمْرٌ : أَحَبُّ الْإِنْسَانِ إِلَى أَمْرِهِ  
أَهْدَى إِلَى عُيُوبِهِ .

وَيَحِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا رَأَى مِنْ غَيْرِهِ سَيِّئَةً أَنْ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَإِنْ رَأَى ذَلِكَ

موجوداً فيها نَزَعَهَا ولم يَفْلَحْ عنها ، ها أَحْسَنَ ما قال المتنبي :

ومن جعلتْ نَفْسُهُ فِدْرَهُ رأى غيرُهُ منه ما لا يَرَى <sup>(١)</sup>

وأما التَّيَّةُ وماهيتها فهو قريب من .مُجَب ، لكنَّ الْمُجَبَّ يصدق نفسه وهما  
فما يظنُّ بها ، والتَّيَّاهُ يصدقها قصداً ، كونه متحيزاً في تيه . ويُمكن أن يفرق بينهما  
بأمر آخر ، ويقول : إنَّ المُجَبَّ قد يُصحِّح نفسه ولا يؤذي أحداً بذلك الإعجاب ،  
والتَّيَّاهُ يَصُمُّ إلى الإعجاب النَّفسَ من الناس وترفع عليهم ، ويستترى ذلك الأذى لهم ،  
فكلُّ تائمٍ مُجَب ، وليس كلُّ مُجَبٍّ تائماً .

(١٧٠)

الأصل :

الأمرُ قريبٌ ، والاصطحابُ قليلٌ .

\*\*\*

البشرح :

هذه الكلمة تُذكرُ الموتَ وسرعةَ رَولِ الدنيا ؛ وقال أبو العلاء :

نَسِيَ وَحَسِبَى لَمَّا اسْتَحَقَمَا مَمْتَنَا شَرًّا إِلَى فَخْلٍ الْوَاحِدُ الصَّدُ  
فَالْحَسْبُ يَمْدُلُ فِيهِ الْمَوْتُ عَيْنِيَا وَنَكَتَ بَرُّهُمْ أَنَّ الطَّالِمَ الْجَسَدُ  
إِذَا مُمَّا بَدَأَ طُولِ السُّحْتَةِ افْتَرَقَا فَإِنَّ دَاكَ لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ يَدُ  
وَأَصْحَاحِ الْخَوَاصِرِ الْحَسَنُ فِي عَيْنِ مَوْصُولَةٍ وَاسْتَرَاخَ الْآخِرَ الْجَسَدُ

(١٧١)

الأفضل :

قَدْ أَمَاءُ السُّبْحُ لِيَدِي عَيْنِي .

\*\*\*

البُزْج :

هَذَا السَّكْلَامُ جَارٍ بِجَرَى النَّثْلِ ، وَمِثْلُهُ :

• وَالنَّمْسُ لَا تَخْشَى عَنِ الْأَنْصَارِ •

وَمِثْلُهُ :

• إِنَّ الرَّمَالَةَ لَا تَخْشَى عَنِ النَّصْرِ •

وَقَالَ ابْنُ هَازِمٍ يَمْدَحُ الْعَرَّ :

طَسْتِقَطُوا مِنْ رَقْدَةٍ وَتَنَسَّهُوا      مَا مَالِ الصَّبَاحِ عَنِ الْعُيُونِ حَطَاءُ<sup>(١)</sup>  
لَيْسَتْ سَمَاءُ اللَّهِ مَا تَرَوْنَهَا      لَكِنْ أَرْضًا تَحْتَوِيهِ سَمَاءُ

(١٧٢)

الأصل :

تَرَكَ الدِّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ .

\*\*\*

الشرح :

هذا حق ، لأن ترك الدِّب هو الإحجامُ عنه ، وهذا أسهلُّ على من يعرف أثر الدِّب على مدام يكون ، وهو أسهلُّ من أن يُواقع الإنسانُ الله ، ثم يطلب التوبة ، فقد لا يخلص دانيه إليها ، ثم لو حُلص فكيف له محصوله على شروطها ، وهي أن يسلم على المسيح لأنه قبيح ، لا لحوف العقاب ، ولا لرجاء الثواب ، ثم لا بكيفية أن يتوب من الزنا وحده ، ولا من شرب الخمر وحده ، بل لا يصح توبته حتى تكون عامة شاملة لكل القاصح فيندم على ما قال وبود أنه لم يفعل ، ويترحم على ألا يؤاود بمعصية أصلاً ، ومن تقصرت التوبة عادت عليه الآثام القديمة والعقاب المستحق ولا أدى كل سقط بالتوبة على رأى كثير من أبواب مسلم الكلام ؛ ولا ريب أن ترك الدِّب من الأنداء المنهّل من طلب توبته هذه سيقنها .

وهذا الكلام حار<sup>(١)</sup> تحرى القتل يُصرّب لمن يشترى أمره يحاطر فيه ، ويرجو أن يتخلص منه فيما بعد بوجه من الوجوه .

(١٧٣)

الأصل.

كَمْ مِنْ أَكْثَرِ تَمَتَّعُ أَكْلاَتِهِ .

• • •

الشيخ :

أحد هذا المعنى بلفظه الخليلي فقال في كلمات : « رَبُّ أَكْثَرِ هَامَتْ الْأَكْلُ ،  
وَمَتَّعَتْهُ مَا أَكَلَ » ، وأحد أبو العلاف الشاعر فقال في سوره الذي يرثيه :

أَرَدْتُ أَنْ تَأْكُلَ الْمِرَاحَ وَلَا      يَا كُفَّ الدَّهْرِ أَكَلَ مُصْطَلِحِي<sup>(١)</sup>  
بِمَنْ لَتَرِيدَ الْمِرَاحَ أَوْفَى      وَيَحْتَكَ هَلَا فَمَتَّ بِالْقِدْرِ  
كَمْ أَكْثَرِ خَامَرْتُ حَشَا شَرِي      فَخَرَجْتُ رُوحَهُ مِنَ الْحَصْرِ

• • •

[ نوادر المكثرين من الأكل ]

وكان ابن عتياش القشوف يمتاز بحسن التصور أنه جعفر فيحتمله على أنه كان جدياً كنه ؛  
فقدّم للنصور حلقاته يوماً نطفة كثيرة الدهن ، فأكلوا وحمل بأمرهم بالأزدواد من الأكل  
لطيبها ، فقال ابن عتياش : قد عشت غرَضَكَ يا أمير المؤمنين ، إننا نريد أن نرميهم منها  
بالحجاب - بمعنى الحبيسة - فلا يَأْكُلُوا إلى عشرة أيام شيئاً .

وفي المثل : « أَكْثَرُ أَبِي خُلْجِقْ » ؛ وقال أعرابي وهو يدعو الله بواب الكعبة : اللهم

مَيْتَةً كَيْفِيَّةً أَبَى خُرْجَةً ، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : أَكُلْ بِدَحَا - وَهُوَ الْحَمْلُ - ، وَشَرِبْ بِعُطْبَا مِنْ الْبَيْنِ - وَهُوَ يَوْمِي مِنَ التَّيْدِ - وَهُوَ كَالْحَوْضِ مِنْ حُلُودٍ بِسَدِّ فِيهِ ، وَبَامَ فِي الشَّمْسِ فَاتَ فَلَنِي اللَّهُ تَمَالَى شَمْعَانِ رِيَّانَ دَفِيئًا .

والعرب تعبر بكثرة الأكل ، ونعيب بالخشع والشره والهم ، وقد كُنَّ فيهم قومٌ موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية ؛ قال أبو جُحَيْشٍ الدَّائِيُّ فِي « كِتَابِ الْأَكَلَةِ » : كَانِ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ (١) أَرْبَعَ أَكْلاَتٍ أَخْرَاهُنَّ عُطْمَاهُنَّ ، ثُمَّ يَتَشَقَّى مَعْدَاهَا بِتَرِيدَةٍ عَلَيْهَا بِصَلٍّ كَثِيرٍ ، وَهُوَ كَثِيرٌ قَدْ شَمَلَهَا . وَكَانَ أَكَلُهُ فَاحِشًا بِأَكْلِ قَيْطِطٍ مِنْ دِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ قُلُوفٍ أَنْ يَلْرُغُ ، وَكَانَ يَأْكُلُ حَتَّى يَسْتَلْقَى وَيَقُولُ : يَا غِلَامُ ، لَرْفَعِ ، فَلِاقِ وَاللَّهِ مَا شَبِثَ وَلَكِنْ مَلَّتْ .

وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ رَدَادٍ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ حَسْرَ أَكْلاَتٍ أَخْرَاهُنَّ حَتَّى تَنْسَلَّ ، وَيُؤَسِّعُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعْدَانِ يُزْعِجُ الطَّعَامَ غَايًا أَوْ حَذَى فَبَنَى عَلَيْهِ وَحْدَهُ .

وَكَانَ سَلْبَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَصِينِيَّةِ الْمَطْلُوعِي فِي الْأَكْلِ ، دَخَلَ إِلَى الزَّافَةِ فَضَالَ لِعَاصِبِ طَعَامِهِ : أَطْعَمْنَا الْيَوْمَ مِنْ حِرْفَتِ الزَّافَةِ ، وَدَخَلَ الْحَتَامُ فَأَحْطَالَ ، ثُمَّ حَرَحَ فَأَكَلَ ثَلَاثِينَ خَرُوفًا بِنَهْيِ رَجِيْعَا ، ثُمَّ قَمَعَ عَلَى الْمَائِدَةِ فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا .

وَقَالَ الشَّعْرَدُلُ وَكَانَ أَلِيَّ التَّمْرِ وَبِالْمَصْرِ قَدِيمَ سَلْبَانُ انْطَلَقَ وَقَدْ عَرَفَتْ أَسْتِجَابَتَهُ ، فَدَخَلَ هُوَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبُوبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى بَيْتِهِ هُنَاكَ يُعْرِفُ بِالْهَيْطِ فَقَالَ : نَاهِيكَ عَنَّا لَكِ هَذَا نَوْلًا لِحَرَارَةِ فِيهِ ، قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا لَيْسَتْ بِحَرَارٍ وَلَكِنَّهَا حَرَارُ الْفَرَسِ ، فَصَحَّحْتُ ، ثُمَّ حَامَ حَتَّى أَتَى صَدْرَهُ عَلَى عُصْنِ شَجَرَةٍ هُنَاكَ ، وَقَالَ : يَا شَعْرَدُلُ ، أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ تَطْعِمُنِي ؟ وَقَدْ كُنتَ أَسْتَمِدُّوتُ لَهُ ، فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ عَسَى حَذَى كَانَتْ نَمْدُو عَلَيْهِ حَافِلَةً ، وَتَرُوحُ عَلَيْهِ أُخْرَى ، فَضَالَ : عَظَلْتُ بِهِ ، عَظَلْتُ بِهِ

به مشوياً كأنه عُسْكَه سَمْنٌ ، فَأَسْكَه لَا يَدْعُو عَلَيْهِ مَرٌّ وَلَا أُنْثَى ، حَتَّى إِذَا بَنَى فَخْذَهُ قَالَ :  
يَا مَرٌّ ، هَلُمَّ ، قَالَ : إِنْ صَاحْتُمْ . ثُمَّ قَالَ : يَا شَمْرُ دُلْ ، أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، دَهَابِلَتِ  
حَسَّ كَأَنَّهُمْ رِثْلَانِ السَّامِ ؟ فَدُلْ : هَاتِ ، فَأَنَيْتُهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ بِرَجْلِ الدَّجَاجَةِ حَتَّى  
يُزَيِّعُ عِطَاسَهَا ، ثُمَّ يُلْقِيهَا ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ : وَبَعَثْ يَا شَمْرُ دُلْ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟  
قَالَتْ : بَلَى سَوِيْقٌ كَأَنَّهُ قِرَاصَةُ الذَّهَبِ مَكْتُوتٌ بِسَلِّ وَتَمْنٍ ؛ قَالَ : هَلُمَّ ، فَجَثَّتْ بِمُسِّ  
تَغِيْبُ فِيهِ الرَّاسُ ، فَأَحْدَهَ فَنَطَمَ بِهِ جَبْهَتَهُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ تَجَسَّأَ كَأَنَّهُ صَارِخٌ فِي  
حُبٍّ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى طَبَاحِهِ عَالٍ : وَبَعَثْ ! أُرْعَتَ مِنْ طَبِيحِكَ ؟ قَالَ : سَمَ ، قَالَ : وَمَا  
هُوَ ؟ قَالَ : تَغِيْبُ وَتَعَاوِنُ فَيَدْرَأُ ، قُلْ : فُزِنِي مَهَا فَيَدْرَأُ هِدْرًا ، فَمَرَّضَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ  
مِنْ كُلِّ قِدْرٍ لَقْمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَسْتَقْنَى عَلَى قَعَاءَ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَوَضِعَتْ  
الْوَالِدُ ، فَسَمَدًا كُلَّ مَعَ الْمَاسِ كَأَنَّهُ لَمْ يَطْعَمَ شَيْئًا .

قَالُوا : وَكَانَ الطَّعَامُ الَّذِي مَاتَ مِنْهُ سُلَيْمَانُ مِائَةَ قَالٍ لَمْ يَرِ أَنْ كَانَ صَدِيقَهُ قَبْلَ الْحَلَاةِ :  
وَبَعَثْ ! لَا تَقْلَعْنِي أُنْطَافَكَ الَّتِي كُنْتُ تَمِيعُنِي بِهَا عَلَى قَهْدِ الْوَلِيدِ أَحَى ؛ قَالَ : فَأَنَيْتُهُ يَوْمًا  
بِزُنْبِيلَيْنِ كَبِيرَيْنِ أَحَدُهُمَا نَيْضُ مَسْلُوقٍ ، وَالْآخَرُ رَيْبٌ ؛ فَخَالَ : لَقَمِيهِ ، فَكُنْتُ أَقْشِرُ النَّيْصَةَ  
وَأَقْرِئُهَا بِالنَّيْصَةِ وَأَقِمُّهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الزُّنْبِيلَيْنِ ، فَصَاحَبَتْهُ نَحْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَاتَ .

وَيُحْكِي أَنَّ مَرْوِيَّ مَدَّ بِكَرْبٍ أَكَلَ قَرَأَ رَبَاعِيَةً وَفَرَفَا مِنْ ذُرْقٍ وَالْفَرْقُ ثَلَاثَةٌ  
أَصْعَ . وَقَالَ لِأَصْرَائِيهِ : عَالِي لَنَا هَذَا الْكَنْشُ حَتَّى أَرْجِعَ ، فَجَعَلْتُ نُوْقِدُ نَحْمَتَهُ وَتَأَخَذَ عُضْوَا  
عُضْوَا خُفَا كُلَّهُ ، فَطَلَعَتْ إِذَا لَيْسَ فِي الْبَدَنِ إِلَّا الْمَرْقُ ، فَصَامَتْ إِلَى كُنْشٍ آخَرَ فَذَبَحَتْهُ  
وَطَبِخَتْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مَرْوِيَّ فَزِدَتْ لَهُ فِي خُفَّةِ الْمَجِيْبِ وَكَفَعَتْ الْقِدْرَ عَلَيْهَا ، فَذَبَحَتْهُ . وَقَالَ :  
يَا أُمَّ تَوْرَ ، دَوْمَكَ الْمَدَاءَ ؛ قَالَتْ : قَدْ أَكَلْتُ ، فَأَكَلْتُ الْكَشْ كُلَّهُ ثُمَّ أَضْطَجِعُ وَدَعَاها  
إِلَى الْفِرَاشِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَمَلُ ، فَقَالَتْ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَطِيعُ وَيَبِي وَيَبِيكَ كَبْشَانِ !



وقد روي هذا الخبر عن بعض العرب ؛ وقيل : إنه أكل حُوراً<sup>(١)</sup> وأكلت امرأته حاتلاً<sup>(٢)</sup> ، فلما أراد أن يدنو منها وعثر قالت له : كيف تَصل إليّ ويبي وبينك بيران .

وكان الحجاج عظيم الأكل ؛ قال مسلم بن قتيبة : كنت في دار الحجاج مع ولده وأنا غلام ، فتيل : قد جاء الأمير ، فدخل الحجاج فامر بثور فنُصِب ، وأمر رجلاً أن يخبز له خبز الماء ، ودعا بسَمَك ، فاتَّوَه به ، فجعل يأكل حتى أكل ثمانين جاماً من السمك ثمانين رقيقاً من خبز اللثة<sup>(٣)</sup> .

وكتب هلال بن أسمر الساري موصوفاً كثرة الأكل ، أكل ثلاثَ حِضَانٍ ثريد ، وأستسقى ، فجاءوه بقرية مخلوطة سيدة فوصموا فسها في شه حتى شربها مائرها .

وكان هلال بن أبي بُردة أكلوا ، قال قتادة : جاءني رسولُه سحرة فأتيته وبين يديه كانوا فيه بحر ونيس سَحْم ، فقال : دونك هذا . تَبَسَّ بهم فديحته وسلحته ، فقال : أخرج هذا الكانون إلى الرواق وشرِّح اللحم وكُتِّه على النار ، فحملتُ كلُّما استوى شيء قدَّمتهُ إليه حتى لم يبق من التيس إلا اسطام وقطعة لحم على الخمر ، فقال لي : كُنْهَا ، فأَكُنْتُهَا ، ثم شرب خمسة أقداح ، وبأزلى فدحا شرَّهته فهِزَّنِي ، وجاءته جارية برُمَقٍ فيها ناهضان<sup>(٤)</sup> ودحاحتن وأُرْعِيه ، فأَكَلْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، ثم حادته حارية أخرى بقَصْمَة مغطاة لا أدري ما فيها ، فصَحَّك إلى الحارية ، فقال : وَيَحْك ! ألم يبق في بطني موضعٌ لهذا ، فضحكَّتِ الحارية وانصرفت ، فقال لي : الخلق بأفكك .

(١) الحوراء : ولد الثالثة . (٢) الحاتل : الثالثة التي لم تحبل .

(٣) اللثة : الرمد الحار . (٤) الناهض : فرخ الطاب .

وكان عتبة بن ربيعة أكلوا نهماً ، حدث رجلٌ من ثيف قال : دعاني عبيدُ الله الأحمر ؛ فقدت لنبسة : هل لك يا ذمعة - وكل هذا لثقة - في إثبات الأحمر ؟ فقصنا إليه ، فلما رآه عبيد الله رحب به وقال للخبز : صُغ بين يدي هذا مثل ما تصع بين يدي أهل المائدة كلهم ، فجعل يأتيه نقصة وأهل المائدة نقصة ، وهو يأتي عليها ، ثم أتاه بجدي فأكله كله ، ونهش النوم فأكل كل ما تحب على المائدة ، وحرجا فقصنا خلف ابن عبد الله القطامي ؟ فقال له : يا خلف ، أما تدبني يوما ؟ قلت لحلف : وبخك ! لا تحبده مثل اليوم . فقال له : ما تشتهي ؟ قال : تمرًا وسمًا ، فأطلقني به إلى سترله فجاء بحمى حلال<sup>(١)</sup> تمرًا وجرة سمنًا ، فأكل الجميع وحرص ؛ فرّ رجل بني داره ومعه مائة رطل ، وقد قدم لهم سمنًا وتمرًا ، فبعاه إلى التمر كل معهم ، فأكل حتى شكوه إلى صاحب الدار ، ثم حرج فرّ رجل بني يديه وزميل فيه خبز أرز يابس يسيم وهو بيده يحمل يساومه ويأكل حتى أتى على الزميل ، فأعطيت صاحب الزميل نعن حبه .

وكل مبصرة الرأس أكلوا ؛ حكى عنه عبد الهدي محمد بن المصور أنه يأكل كثيرًا ، فاستدعاه وأحضر فيلا ، وجعل يرى لكل واحد منهما رعيما حتى أكل كل واحد منهما تسعة وتسعين رعيما ؛ وامتنع الفيل من تمام المائة ، وأكل مبصرة تمام المائة وزاد عليها .

وكان أبو الحسن السلاب ولد أبي بكر بن السلاب الشاعر الحدث أكلوا دخل يوما على الوديع أبي بكر محمد النهمي ، فأمر الوديع أن يؤخذ حماره فيذبح ويطبخ بساء وملح ، ثم قدم له على مائدة الوديع ، فأكل وهو يبله لحم

(١) الجلال : جمع جلة ، وهو ولاء التمر يصنع من الخوص .

البحر ، ويستطيرهُ حتى أتى عليه ، فمما حرج ليركب طلب الحمار ، فقيل له :  
في جوفك .

وكان أبو العالقة أكولا ، نذرت امرأة حمل إن أنت بدكرت تُشيع أبا العالقة  
خبيصا ، فولدت غلاما ، فأحضرتهُ ، فأكل سبع حطان خبيصا ، ثم أمسك وخرج ،  
فقيل له : إنها كانت نذرت أن تُشيعك ، فذل : والله لو علمت ما شيعتُ إلى الليل .

(١٧٤)

الأسئل :

النَّاسُ أَقْدَاهُ مَا جَهِلُوا .

• • •

الْبَيِّن :

هذه الحكمة قد تقدمت وتقدم منا **بِكُرِّ لَهَا** . واليلة في أن الإنسان عدو ما يجهله أنه يحاف من تربيته<sup>(١)</sup> . **النقص** وسدتم العلم بذلك الشيء ، خصوصاً إذا ضمه نادٍ أو سجع من الناس فإنه تتصاعر معه عنده إذا حاسوا لها لا يعرفه وينقص في أعين الحاضرين ، وكل شيء آذاك ونال منك فهو عيوك<sup>(٢)</sup> .

(١) : « تربيته » . (٢) : « وهو عدو لك » .

(١٧٥)

الأصل :

مَنْ اسْتَفْضَلَ وَجْهَ الْآرَادِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَا .

• • •

البيان :

قد قالوا في النثر : شرّ الرأي الذي جرى .

وقال الشاعر :

وحيرُ الرأي ما استفضلت منه      وليس بأن تنمّعه أساعا

وليس المراد بهذا الأمر سرعة فعل الحال لأوّل حطر ، ولأوّل رأى ، إنّ ذلك خطأ ،  
وقد بما قيل : دَعِ الرَّأْيَ يَنْبَ .

وقيل : كلّ رأي لم يحمرّ وبُيِّتَ<sup>(١)</sup> فلا حيرَ فيه .

وإنما المعنى عنه تصحيح امرؤ في الرأي ، ثمّ محاولة الاستدراك بعد أن فات  
وجهُ الرأي ، فذلك هو الرأي الذي جرى .

(١٧٦)

الأضل :

مَنْ أَحَدٌ سَيِّئَانَ الْمَصِيبِ ثُمَّ قَدَوَى عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ .

\*\*\*

الْبُخ :

هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والكلمة تضمن استمارة تدل على الفصاحة ؛ والمعنى أن من أرهف عزمه على إكثار المنكر ، وقوى عزمه في داب الله ولم يخف ولم يرأب محلوه ؛ أمانته منه على إزالته المنكر ؛ وإن كان قويا صادرا من جهة عزيمة الخاف ، وعنها وقعت الكفاية بأشداء الباطل .

(١٧٧)

الأصل :

إِذَا هِئْتُمْ أَمْرًا فَفَقِّعْ فِيهِ ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوْقِيهِ أَكْثَرُ مِنْ تَخَافٍ مِنْهُ .

\*\*\*

الشرح :

ما أحسن ما قال المتن في هذا المتن .

وإذا لم يكن من الوثِّق مُدَّةً فَمِنْ الْعَمَلِ أَنْ نَكُونَ حَسَنَاتٍ

كَلَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَصَبِ وَالْأَذَى لَمْ يَسِّرْ سَهْلًا فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

وقال آخر :

لَمَعْرُوكٍ مَا لِمَكْرُوكٍ إِلَّا لَوَقَّاهُ وَأَعْطَاهُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

وقال آخر :

صَعْبَةُ الرُّدَى تُنْقَى وَتَوْقِيهِ مُسْتَقْبَلًا وَانْقِصَاهُ الرُّدَى أَنْ يَقْبَلَا

وكان يقال : تَوَسَّطِ الْخُوفَ ثَامِنٌ .

وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْعَامَّةِ : أَمَّ الْقَتُولَ تَامَ ، وَأَمَّ الْمُهْدَدَّ لَا تَامَ .

وكان يقال : كُلُّ أَمْرٍ مِنْ حَيْرٍ أَوْ شَرٍّ صَاعُهُ أَكْثَرُ مِنْ عِيَاهُ .

وقال قوم من أهل اللغة وليسوا عِدَاحًا مُعِيرِينَ : إِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ الْقَتْلُ بِهِ

إِذَا حَلَّ بِمُسْتَحْقِيهِ وَحَدُّهُ أَهْوَنُ مِمَّا كَانُوا يَسْمُونَهُ فِي الدُّنْيَا ؛ وَلَقَدْ أَعْلَمَ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ .

(١٧٨)

الأصل :

آلة الرئيسة سمعة الصدر .

\*\*\*

الفتح :

الرئيس محتاج إلى الأمور ، منها الخود ، ومنه الشجاعة ، ومنها - وهو الأهم - سمعة الصدر ، فإنه لا تتم الرئاسة إلا بذلك .

وكان معاوية واسع الصدر كثير الاحتمال ، وبذلك نفع ما نفع .

\*\*\*

[ سمعة الصدر وما ورد في ذلك من حكايات ]

ومن ذكر من سمعة الصدر حكايتي دتین علی عظم محنه فی الرئاسة ، وإن كان مدموماً في باب الدين ، وما أحسن قول الحسن فيه وقد ذكر عدم عقيب ذكر أبي بكر و عمر ، فقال : كانا والله خيراً منه ، وكان أسودَ منهما .

الحكاية الأولى :

وعد أهل الكوفة على معاوية حين خطب لآبيه يريد بالعهدة ندمه ، وفي أهل الكوفة هاني بن عروة الرادي - وكان سيده في قومه - فذل يوماً في مسجد دمشق والناس حوله : المعجب لمعاوية يريد أن يتسرعاً على بيعة يزيد ، وحاله حاله ، وما ذلك والله بكائن ! وكان



في القوم علامٌ من قريش حالاً ، فتحص الكلمة إلى معاوية ، فقال معاوية : أنت سمعت  
هاشاً يقولها ؟ قال : سم ، قال : فحرج فأت حلفت ، فإذا حص الناس عنه قتل  
له : أيها الشيخ ، قد وصلت كلكت إلى معاوية ، ولست في زمن أبي بكر وعمر ،  
ولا أحب أن تشكلم بهذا الكلام فإنهم بنو أمية ، وقد عرفت جراتهم  
وإقدامهم ، ولم يدعى إلى هذا القول لك إلا الصيحة والإشفاق عليك ، فانظر  
ما يقول ؟ فأنتي به .

فأقبل أعتى إلى مجلس هاني ، فدح من عهده دما منه فصر عليه الكلام وأخرجه  
عرج الصيحة له ، فقال هاني : والله بين أسي ما يلبس سيحتك كل ما أمتع ؛  
وبن هذا الكلام لكلام معاوية أمره ! فقتل أعتى : وما أنا ومعاوية ! والله ما يعرفني ؟  
قال : فلا عليك ، إذا لمسه فقل له : يقول لك هاني : والله ما إلى ذلك من مدبل ، أمض  
يا بني أخى راشداً !

فقام أعتى فدخل على معاوية فأعتمه ، فقال : استعين بالله عليه .

ثم قال معاوية بعد أيام للوفد : ارموا حوائجكم - وهاني فيهم - فمرص عليه كتابه  
فيه ذكر حوائجه ، فقال : يا هاني ، ما أراك صمت شيئا ، رد ؟ فقام هاني فلم يدع حاجة  
عرصت له إلا وذكرها ، ثم عرّص عليه الكتاب فقال : أراك قصرت فيما حدثت ، رد ،  
فقام هاني فلم يدع حاجة لقومه ولا لأهل مصر إلا ذكرها ، ثم عرّص عليه الكتاب ،  
فقال : ما صمت شيئا ، رد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حاجة بقيت ، قال : ما هي ؟ قال :  
أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق ؟ قال : امض ، فزلت لئلا ذلك  
أهلا ؟ فلما قدم هاني العراق قام بأمر البيعة ليزيد عمومتهم من الغيرة بن شعبة وهو الوالي  
بالعراق يومئذ .

## وَأَمَّا الْحِكَايَةُ الثَّانِيَّةُ :

كُلَّ مَالٍ تَحْمِلُ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى مَعَاوِيَةَ ؟ هَذَا مَرَّةً بِالْمَدِينَةِ وَتَبَّ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ ، فَأَخَذَهُ وَقَسَمَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ : مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى  
مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عِبْرًا مَرَّتْ بَا مِنْ الْيَمِينِ تَحْمِلُ مَالًا وَحُلَلًا وَعَصْرًا  
وَمِلْيًا إِلَيْكَ لِتُودِعَهَا حِرَاقِي دِمَشْقَ ، وَتَعْرُفُهَا مِنْهُمُ الْبَهْلُ مِنْ أَيْكَ ، وَإِنِّي احْتَجْتُ إِلَيْهَا  
فَأَخَذْتُهَا . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : مِنْ عِنْدِ عَشْرَةِ أَهْلِ مَعَاوِيَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ :  
سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا نَسَدُ ، فَإِنَّ كَتَبْتُ وَرَدَ عَلَيَّ بِدَعْوَى أَنْ عَرَأَ مَرَّتْ بِكَ مِنَ  
الْيَمِينِ تَحْمِلُ مَالًا وَحُلَلًا وَعَصْرًا وَمِلْيًا إِلَى دُودِعَهَا حِرَاقِي دِمَشْقَ ، وَأَعْلَى بِهَا بَعْدَ الْبَهْلُ  
مِنْ أَبِي ، وَأَمَّا احْتَجْتُ إِلَيْهَا فَأَخَذْتُهَا وَلَمْ تَكُنْ جَدْرًا مَأْخُذًا إِذَا نَسَبَتْ إِلَيَّ ، لَأَنَّ الرِّوَالِ  
أَحَقُّ بِالْمَالِ ، ثُمَّ عَلَيْهِ الْمَرْحُومَةُ ، وَأَمَّا هَذَا فَمَا تَرَكْتُ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ إِلَيَّ ، لَمْ أَتُخَضِّعْ  
حَقْلًا مِنْهُ ، وَلَكِنِّي قَدْ طَعَنْتُ بِأَخِي أَنْ فِي دِمَشْقَ زَوْجَةً وَبُودَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ  
فِي زَمَانِي فَأَعْرِفُكَ قَدْ دَرَكْتَ ، وَأَعْمَارُكَ عَنْ ذَلِكَ ؟ وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَتَخَوَّفُ أَنْ تَمُتَ بَعْدَ  
لَا يُبْطِرُكَ فُوقَ مَاقَةٍ ، وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

يَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بَسْ مَا	حَسْبَ بِلِسَانِي يَوْمًا فِي الْمَلِكِ
أَحَدُكَ السَّالِ وَلَمْ تُؤْمَرْ بِهِ	إِنَّ هَذَا مِنْ حُسَيْنٍ لَمْ يَحُلْ
فَدَأْرُهَا وَلَمْ تَتَّعِبْ لَهَا	وَاحْتَمَلْتَ مِنْ حُسَيْنٍ مَا قَسَرَ
يَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ دَا الْأَمْرَ	لَكَ بِمَدِي وَثَنَةٌ لَا تُحْتَمَلُ
وَبُودَى أُنْسَى شَهْدُهَا	فَلَيْهَا مِنْكَ بِإِطْلَاقِ الْأَجْرِ
إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَقْضَى بَعْدَ	عِنْدَهُ قَدْ سَقَى السَّيْفُ الْمَدَى

وَهَذِهِ سَمْعٌ صَدِيقٌ وَفَرَاغَةٌ صَادِقَةٌ .

(١٧٩)

الْبُخْلُ :

أَزْهَرَ النَّاسُ بِذَوَابِ الْمُخْزِنِ .

\*\*\*

الْبُخْلُ :

قَدْ قَالَ ابْنُ هَالٍ "الْمَرْقُ" فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَوْلَا ابْعَاطُ السَّيْرِ وَهُوَ مُسْتَطٌّ      فِي قَتْلِهِمْ قَتْلُهُمْ  
وَأَفْصَحَ بِهِ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ فِي قَوْلِهِ :

إِذَا حَارِبْتَ بِالْإِحْسَانِ قَوْمًا      وَحَرَبْتَ لِلدَّيْنِ عَنِ الدَّيْنِ  
فَمَا لَكَ وَالنَّاسُ مِنْ بَعِيدٍ      وَبِكَ التَّنَاسُلُ مِنْ قَرِيبٍ

(١٨٠)

الأفضل :

أَحْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ ، يَقْنِعْ مِنْ صَدْرِكَ .

\*\*\*

البَّزْجُ :

هنا يُلَسَّرُ على وجهين :

أحدهما أنه يريد : لا تُصَمِّرْ لأحبيك سوءاً ، فإنك لا تُصَمِّرْ ذاك إلا يضرر هو لك سوءاً ،  
لأنَّ القلوب يشرُّ بعضها بعض ، فإذا سَفَوْتَ لواحدٍ ساء لك .

والوجه الثاني أن يريد : لا تَبْغِ النَّاسَ وَلَا تَتَّبِعْهُمْ عَنْ مَشْكَرٍ إِلَّا وَاتِ مُدْبِعُ عَمَلِهِ ،  
هنا الواو على الذي ليس بركية لا يَصَحُّ<sup>(١)</sup> وفعله ، ولا يؤثر مَبْهِيهِ .

وقد سبق الكلام في كلا المعنيين .

(١) : لا يصح .

(١٨١)

الأصل :

الْبَجَاحَةُ نَسْلُ الرَّأْيِ .

• • •

البسخر :

هذا مشتق من قوله عليه السلام : « لا رأى لمن لا يُفَاع » ، وذلك لأن عدم الطاعة هو اللجاجة ، وهو خلقٌ بترْك من خلقين : أحدهما الكثير ، والآخر الجهل بموافق الأمور وأكثر ما ينرى الولاء لما أحدهم من البرية فالإنم .

ومن كلام بعض الحكماء : إذا اضطرت إلى مُسَاحَةِ السلطان ، فابدأ بالمتنص عن معتاد طمعه ، ومأثور خلقه ، ثم استحدث لنفسك طمعا فزع في قال إرادته ، وخلقاً تركه مع موضع واه حتى تسلم منه ، وبإ رأيه يهوى ما من فتون المحبوبات فأظهر هواك لصدا ذلك الفن ، يسيد منك إرهاده ، بل ويكثر سكوته إليك ، وإذا بدا لك منه فسل دميم فإياك أن تدأ فيه بقول ما لم يستبدل فيه نصحك ، ويستدعي رأيك ؛ وإن استدعى ذلك فليكن ما تدبره فيه بالحق والاستعطاف ، لا بالخشونة والاستسكاف ، فيخيله اللجاج المركب في طمع الولاء على ارتكابه ، فكل والي لجوج ، وإن علم ما يشتمه لجاحه من الضرر ، وأن احتياجه هو الحسن .

(١٨٢)

الأصل :

الطَّمْعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ .

• • •

البَّيْنُخ :

هذا المني مطروقٌ جدًّا ، وقد سبق لنا فيه قولٌ شامٍ .

وقال الشاعر :

تَصَبَّ وَعَيْنٌ حُرًّا وَلَا تَكُ طَائِمًا      فَا قَطَّعَ الْأَعْنَاقَ إِلَّا الطَّامِسُ

وقى النَّتْلَ : أطمع من أشتب ؛ رأى سَلَالًا يصنع سَلَةً ، فقال له : أوْسِنَهَا ؛ قال :  
مَا لَكَ وَدَاكَ ؛ قال : لعلَّ صاحبَهَا يُهْدِي لِي مِمَّا شِئْتُ .

ومرَّ بِمَكْتَبٍ وَعِلَامٌ يَتَرَأَّى عَلَى الْأَسْتَادِ : ﴿ إِنْ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ ، فقال : قم بين يَدَيَّ  
حَفِطَكَ اللَّهُ وَحَمِطَ أَبَاكَ ، فقال : إِنْ عَاكَتْ أَفْرَأَ وَرَدَى ، فقال : أَسَكْرَتْ أَنْ تُفْلَحَ  
أَوْ يُفْلَحَ أَبُوكَ !

وقيل : لم يكن أطمع من أشتب إِلَّا كَلْبُهُ ، رأى سورة القَمَرِ فِي الْبَيْتِ فَطَمَّه رَغِيذًا ،  
فَأَلْفَى نَفْسَهُ فِي الْبَيْتِ يَطْلُبُهُ ، فَات .

(١٨٣)

الأصل :

ثَمَرَةُ التَّعْرِيطِ الدَّائِمَةُ ، وَثَمَرَةُ الْحَرَمِ اسْتِلَامَةٌ .

\*\*\*

الشرح :

قد سبق من الكلام في الحرم والتعريط ما فيه كفاية . وكان يقال : الحَرَمُ مَكَّةُ يُورِثُهَا كَثْرَةُ التَّجَارِبِ ، وَأَصْلُهُ نَوَى الْعَمَلِ ، فَبَيْنَ الْعَاثِلِ حَلَمٌ أَدَا ، وَالْأَحَقُّ لَا يَحَابُ ، وَإِنْ غَابَ كَانَ قَلِيلَ الْخَوْفِ ، وَمِنْ حَابٍ أَمْرًا نَوَقَاهُ ، فَمَهْدَاهُ الْحَرَمُ .

وكان أبو الأسود الدؤليّ من مُعَمِّلِي الرِّجَالِ وَدَوَى الْحَرَمِ وَالرَّأْيِ ، وَحَكَى أَبُو السَّاسِ الرَّدَّ قَالَ : قَالَ رِيَادُ لَأَبَى الْأَسْوَدِ — وَقَدْ أَسَنَ — : لَوْلَا شَفَعُكَ لَأَسْتَمْلِكَ عَلَى نَحْوِ أَعْمَالِهِ ، فَقَالَ : الْمَصْرَاعُ يَرِيدُ الْأَمِيرُ ، قَالَ رِيَادُ : إِنْ تَمَّعِلْ مَثْوَةً ، وَلَا أُرَاكَ إِلَّا نَصَبَ عَمَهُ ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

رَعَمَ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبْرَةِ أَسَى      شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْيَلَى  
صَدَّقَ الْأَمِيرُ لَقَدْ كَبُرَتْ وَإِنَّمَا      بَالُ الْمَكَارِمِ مِنْ يَدَبٍ عَلَى الْعَصَا  
بَابَا الْعَبْرَةِ رَبُّ أَمِيرٍ مَسْهُمٍ      فَرَحْنُهُ بِالْحَرَمِ مَتَى وَاللَّهَ  
وَكُنْ يُقَالُ : مِنَ الْحَرَمِ وَالتَّوَقُّفِ تَرَكَ الْإِمْرَاطُ فِي التَّوَقُّفِ .

لَا تَزُلْ عَمَاقِيهِ الْمَوْتُ وَقَدِّمَ عَلَيْهِ يَزِيدُ اسْمُهُ فَرَأَاهُ مَسْكًا لَا يَشْكُمُ ، بَكَى وَأَنْشَدَ :  
لَوْ فَاتَ شَيْءٌ يُرَى لَفَاتَ أَوْ      حَيَاتٍ لَا عَاصِرُ وَلَا وَكَلُ  
أَلْحَوْلُ الْقَلْبِ الْأَرِيبُ وَلَا      نَدَمُ يَوْمِ الثَّيْنَةِ الرِّجُلُ

(١٨٤)

الاصْل :

مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ ، أَهْلَكَهُ الْخُرْعُ .

\*\*\*

التَّبْرُج :

قد تقدّم لنا قول شافٍ في الصبر والخزع .

وكل يقال : ما أحسن الصبر لولا أن النفقة عليه من العمر ! أخذه شاعر فقال :

وَأَيُّ لَأَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً وَلَكِنْ إِمَّا قَى عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عُمرِي

وقال ابن أبي الملاء يستعلى بعض الرؤساء :

هَنْ مِيلَ لِي صَبْرًا فَلَا سَبْرَ لَدِي عَدَا يَدِ الْأَيَّامِ نَقْتَلُهُ سَبْرًا

وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى لمن مكث الدنيا إذا لم يجد عذراً

فإن قلت : أي « ثمة في قوله عليه السلام : « مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الصَّبْرَ أَهْلَكَهُ الْخُرْعُ » ؟ وهل

هذا إلا كقول مَنْ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَأْكُلْ صَرَّهٗ »<sup>(١)</sup> الخزع ؟ .

قلت : لو كانت الجهة واحدة ، لكان الكلام عبثاً ، إلا أن الجهة مختلفة ، لأن معنى كلامه

عليه السلام من لم يجعله الصبر من هموم الدنيا وُهمومها هلك من الله تعالى في الآخرة

بما يستندله من الصبر بالخرع ؛ وذلك لأنه إذا لم يصبر فلا شك أنه يجرع ، وكل خارج آثم

والإثم مهلك ، فلما اختلفت الجهة وكانت نارة للدنيا ونارة للآخرة لم يكن الكلام عبثاً بل

كان مفيداً .

(١) في د : « أهلكه » .



( ١٨٥ )

الأصل :

وَأَعِيبًا أَنْ تَكُونَ أَلِفًا بِالصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونَ بِالصَّحَابَةِ وَأَقْرَبُ .

قال الرضی رحمہ اللہ تعالى وقد روى له شعر قريب من هذا المعنى وهو :

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّرَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ يَهْدَا وَالشَّيْرُونَ غَيْبُ !<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَبَجْتَ حَصِيمَهُمْ فَتَسْبِرُكَ أَوْلَى بِالنَّسَبِ وَأَقْرَبُ

\*\*\*

الشيخ :

حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر ، أمّا النثر فإلى عمر توجيهه لأنّ أبا بكر لما قال لعمر : امدد بذلك ، قال له عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها ، شدتها ورخائها ، فامدد أنت بذلك ، فقال علي عليه السلام : إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه في المواطن كلّها ، فلم لا صلبت الأمر إلى من قد شركه في ذلك ، وزاد عليه « بالقرابة » ! وأما النظم فوجهه إلى أبي بكر ؛ لأنّ أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة . فقال : نحن مائة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيعتنا التي تفقأت عنه ، فلما بويع احتج على الناس بالبيعة ، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقد ، فقال علي عليه السلام : أمّا احتجاجك على الأنصار بأنك من بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه ، فنيرك أقرب نسباً منك إليه ، أو أمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك ، فقد كان قوم من جلة الصحابة غائبين لم يحضروا المقدفكيف ثبت !

واعلم أن الكلام في هذا تنصّته كتب أصحابنا في الإمامة ، ولهم عن هذا القول أجوبة ليس هذا موضع ذكرها .

ثم الجزء الثامن عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

وبليه الجزء التاسع عشر

## فهرس الكتب\*

- ٦٥ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية . . . ٢١- ٧
- ٦٦ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى عبد الله بن العباس ٢٨
- ٦٧ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى فثم بن العباس وهو عامله على مكة ٣٠
- ٦٨ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته ٣٩-٣٤
- ٦٩ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى الحارث الحمدي ٤٢، ٤١
- ٧٠ - من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف وهو عامله على المدينة ٥٢
- ٧١ - من كتاب له عليه السلام إلى القدر بن الجارود ٥٤
- ٧٢ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ٦٠
- ٧٣ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٦٢
- ٧٤ - من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن ٦٦
- ٧٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة في أول ما يبيع له بالخلافة ٦٨
- ٧٦ - من وصية له عليه السلام عند استخلافه إياه على البصرة . . . ٧٦
- ٧٧ - من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس أيضا لما بعثه للاحتجاج على الخوارج . . . ٧١

٧٨ - من كتاب له عليه السلام أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب

٧٤

كتبه إليه

٧٧

٧٩ - من كتاب له عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

## فهرس الموضوعات •

٢١- ٧	ذكر بنية الخبر عن فتح مكة
٤٣٤، ٤٢	الحارث الأعور ونسبه
٥١- ٤٣	نبذ من الأقوال الحكيمة
٥٧- ٥٥	ذكر المنذر وأبيه الجارود
	حكمه عليه السلام ومواعظه ، ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله وكلامه
٤١٦- ٨٢	التصير في سائر أغراضه
١٢٦-١٢٣	نبذ مما قيل في الشيب والخضاب
١٣٠-١٢٨	نبذ مما قيل في المروءة
١٤٨-١٤٣	نبذ وحكايات مما وقع بين يدي الملوك من اقتناء كتبهم من شعر
١٥٤-١٥٢	في مجلس قتيبة بن مسلم الباهلي
١٦٧-١٥٩	أقوال وحكايات حول الحق والمنفلين
١٧١	خبايا بن الأرت
٢٠٨-٢٠٦	محمد بن جعفر والمنصور
٢٧٠، ٢٦٩	عمدة ابن اللقح
٣٠٩-٢٨٥	فصل في نسب بني مخزوم وطرف من أخبارهم
٤٠٢-٣٩٧	نوازل المكثرين من الأكل
٤٠٩-٤٠٧	سمة الصدر وما ورد في ذلك من حكايات